الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس –سيدي بلعباس-

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية و آدابها

تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في النقد الأدبي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: شرشار فاطمة زهرة

إشراف الأستاذ الدكتور: بلوحي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. بودالي التاج	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د. بلوحي محمد	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د. جلال عبد القادر	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
أ.د. بلحيا الطاهر	جامعة وهران (1)	مناقشا
أ.د. مسعود أحمد	جامعة وهران (1)	مناقشا
د. جريو خيرة	المركز الجامعي عين تموشنت	مناقشا

السنة الجامعية:2017-2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكــــر و تــقــديـــــــر

أتقدم بالشكر الكبير إلى أستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور محمد بلوحي، صاحب الفضل في توجيهي العلمي، وفي الإشراف الحق على هذا العمل المتواضع. كما أشكر كل من ساهم في إمدادي بالمساعدة، وأخص بالذكر والدي.

إهـــــــداء

إهـــــــــداء

إلى النور الذي يضيء لي ظلمة الطريق ومن تعلمت منه سر النجاح......

والدي الكريم أطال الله في عمره

إلى من كان عونا وسندا لي في مشواري وبدّد لي وحشة الطريق.......

زوجي الكريم حفظه الله

إليكما أهدي ثمرة جهدي

المقدمـــــــــــــة

عنوان هذه الأطروحة " **تجليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر**"، أقصد بهذه الصيغة تقديم قراءة في المنهج السيميائي، كما يتلقاها كل قارئ لمدونة الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر من خلال ما نشر في المؤلفات والمقالات العلمية والبحوث الأكاديمية، والدراسات النقدية العامة، حول موضوع السيميائيات باعتبارها نظرية أو منهجا، أو هما معا. وأركز من خلال هذه القراءة -بشكل خاص-على عملية ضبط التصور السيميائي، والكشف عن المنطلقات التي تستند إليها التجربة النقدية للخطاب النقدي العربي، ومن ثم أسعى ما وسعني البحث ذلك إلى إبراز الأهمية العلمية لما يمكن التوصل إليه من تصورات ومفاهيم قصد استثمارها في تعزيز نتائج البحث وتوصياته.

وانطلاقا مما وقفت عليه من خلال استقراء مدونة الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، وما تضمنته هذه المدونة من حراك فكري عرفه المشروع النقدي السيميائي، فإن هذا البحث يسعى إلى تتبع مسار المنهج السيميائي في مواطنه الأصلية، وأثناء انتقاله وهجرته في عملية "مثاقفة" عسيرة مع الخطاب النقدي العربي، بداية من تبني مبدأ النسقية والمحايثة وصولا إلى فتوحات التأويل.

اخترت في هذه الأطروحة استعمال مصطلح "السيميائية" أو "السيميائيات" حسب ما يقتضيه الحال، كمقابل للمصطلح الأجنبي "sémiotique"، عندما أشير إلى السيميائيات وفقا للتعريف الذي ضبطه "غريماس"، والذي نجده في أغلب القواميس المتخصصة، مثل "قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي إنجليزي فرنسي" لمؤلفه رشيد بن مالك. كما أميل إلى استعمال مصطلح "سيميائية" لتسمية هذا الاختصاص، وسوف أورد مبحثا ضمن هذه الرسالة حول مسألة إشكالية ضبط المصطلح أعالج فيه هذه القضية بشكل مفصل.

يندرج موضوع أطروحتي في إطار "**نقد النقد**"، وهو توجه منهجي وموضوعاتي محفوف بالمزالق والمخاطر، حيث يعد هذا الاختيار في حد ذاته من الأمور الصعبة التي لا يمكن لباحث مبتدئ-مثلي- أن يحيط بكل جوانبها ومستوياتها، وبعض متطلباتها المتنوعة. لذا؛ لا

أزعم أنني طبقت منهاج "نقد النقد" بمفهومه الدقيق، وإنما هي محاولة شخصية، محفوفة بكثير من المخاطر. وعلى حد تعبير (أبو حيان التوحيدي) " الكلام على الكلام صعب".

أما عن مقاصد هذه الدراسة، وأهدافها، فقد تمثلت في تسليط الضوء على بعض التطبيقات التي قام بها بعض الباحثين ممن استفادوا من أفكار المشروع السيميائي على بعض الظواهر النصية، ومحاولة اختبارها على النص ذي اللسان العربي، وهي تجربة تحمل أكثر من دلالة، بحيث اعتبرها البعض تطبيقات تضع النظرية السيميائية على محك ملموس، يبين مدى تماسكها، وصلابة الأسس التي تقوم عليها، كما أن ذلك من شأنه قياس ثبات فاعليتها في تحليل النصوص الأدبية بلغات مختلفة. وقد اخترت أن أصوغ إشكالية البحث صياغة استقصائية أكثر منها صياغة إشكالية؛ فالبحث لا يدعي أنه يهدف إلى تجاوز مفارقة علمية معرفية في تطور المعرفة السيميائية، بل هو بحث يميل إلى رصد أهمية النتاج النقدي العربي الحديث والمعاصر، ولا يختلق البحث إشكالية ذهنية لتبرير تحرير هذه الرسالة، وإنما ينطلق من بعض المفارقات، وأهمها تلك المتعلقة بتقديم التجربة النقدية لباحثين وقراءتها، وتلقيها للوصول إلى قياس مدى إسهامها في تطوير المعرفة النقدية العربية الحديثة والمعاصرة. وقد مهدت هذه المفارقات لطرح إشكاليات تخص تجربة الباحثين النقدية، وكيف تأثروا بالنظرية السيميائية، وما طبيعة هذه التأثيرات، وهل استطاع هذا الخطاب النقدي الخروج بتجربة نقدية ناضجة، تأخذ من الآخر، ثم تتجاوزه في سبيل التفرد، وهل ساهمت هذه التجربة النقدية في إثراء وتطوير المعرفة النقدية العربية المعاصرة، وإلى أي مدى أسهمت أيضا في رقي الأعمال الإبداعية وتطويرها.

خطة البحث:

مما سبق ذكره، تقترح الدراسة تصورا للبحث يتضمن مقدمة ومدخلا وثلاثة فصول وخاتمة.

تتضمن **المقدمة** طرح الإشكالية، وتحديد المنهج المتبنى في البحث، بالإضافة إلى ذكر بعض الصعوبات التي عرفتها الباحثة أثناء عملية استقراء المدونة، وضبط المصطلحات.

المدخل: تم التركيز فيه على طبيعة النقلة النوعية التي عرفها الخطاب النقدي العربي في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، نتيجة تأثره بمجموعة من التيارات والمناهج الوافدة من الغرب، وأبرزها المنهج السيميائي الذي استطاع أن يفرض حضوره منذ إرهاصاته الأولى.

كما تضمن حديثا عن ما قدمه أتباع هذا المنهج-السيميائي-على مستوى المرجعيات المعتمدة، وعلى مستوى الرؤية والمنهج، وطريقة التعامل مع النصوص، وفق تمفصلين اثنين، بعد التمهيد لهما:

أولا: المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث

ثانيا: مفهوم المقاربة السيميائية وموضوعاتها

الفصل الأول: الخلفيات الفكرية والأنساق المعرفية في الثقافة والفكر الغربيّيْن للمنهج السيميائي

تم التركيز في هذا الفصل على تقديم قراءة في فعل التأصيل ضمن التصور العام لتأسيس البحث السيميائي وإبراز مرتكزات النظرية التي قام عليها على الرغم من تضارب الآراء واختلاف وجهات النظر حولها نظرا، لما يثيره خطاب التأسيس والتأصيل من جدل حاد في البحوث العلمية الغربية، لا سيما وأن هذا الجدل قد هجر حاضنته الأصلية، وجغرافيته اللسانية، وامتد إلى الثقافة العربية.

تضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث؛ عُني المبحث الأول باستجلاء حيثيات القراءة السيميائية لمقولات النسق المغلق التي تبناها غريماس والمدرسة التي ينتمي إليها والتي ضمنها استثمار فكرة المحايثة في التعامل مع النصوص الأدبية اعتمادا على مرجعيات

لسانية وبنيوية تمثلت خاصة في إسهامات "بروب" و "هيامسلاف" التي ساعدت على بلورة الهيكل الإجرائي في الكشف عن العالم الدلالي من خلال استخدام إجراءات وأدوات بحثية آلت إلى تشكيل فكر سيميائي للسرديات يعتمد على وجود نمط محدد في بنية دلالية مجردة تنتظم داخلها مجموعة من الدلالات تشكل في مجموعها (خطاطة قرائية لا تتجاوز حدود النسق الداخلي).

وعلى الرغم من صرامة المنهج المحايث إلا أن المتتبع لمقولات هذا التوجه يلاحظ أن بعضا من أتباع هذا المنهج تراجعوا عن بعض المقولات وشككوا في بعدها المعياري مما فتح مجالا لظهور تعددية قرائية ونتائج مختلفة في داخل هذا التوجه المحايث نفسه تتنبأ بوجود تحول مستقبلي سيكشف البحث عن جانب منه.

أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه وجهة نظر "**بيرس**" الذي مهد بها لمشروع الدلالات المفتوحة ضمن أبحاثه في العلامة، وقد ساعد هذا المشروع على انفتاح النظرية السيميائية وتعاملها مع أنساق مختلفة تعاملا أكثر انفتاحا بعيدا عن الفهم الانغلاقي وما سعى إليه كل من "**دي سوسير**" و"**غريماس**" إلى ترسيخه. وعلى الرغم من أن سيميائية **بيرس** المعتمدة أصلا في مبادئها الأبستمولوجية على المنطق والرياضيات والظاهراتية إلا أن ذلك لم يمنع من وجود أفق مهد لتصور تأسيسي للبحث السيميائي المنفتح، وجد أتباعا له في الثقافة الغربية وأسس لفكر تأويلي تداولي تطور بشكل لافت في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الجديد من خلال نظرية المقولات التي كانت قاعدة فعلية للانفتاح.

أما المبحث الثالث، فقد خصصناه للحديث عن مستويات التحليل السردي، وكيف أن هذه المستويات تبدو مختلفة على الرغم من انضوائها تحت توجه وتيار واحد، مما يشي بانفتاح هذه النظرية وقابليتها للتطور. وهو التحدي الذي أعلنه شيخها غريماس، وقام بإنجازه بعض أتباعه من مثل جوزيف كورتيس، وفانتني وغيرهما.

الفصل الثاني: التحولات المنهجية في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر

يتعقب المبحث الأول من هذا الفصل الرؤية النقدية التي تمثّلها الخطاب النقدي العربي الذي حاول أن يستثمر مقولات السيميائية المحايثة من قبيل فكرة التشاكل الدلالي والسيرورات الدلالية داخل النص إلى غيرها، وهذا باستجلاء مخلفات انصياع الخطاب السيميائي العربي في بعض نماذجه للنزوع المحايث وللنمذجة الآلية التي فرضتها إجراءات غريماس السردية، حيث أسس هذا الخطاب جهازا مفاهيميا ومصطلحيا أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه فرض نفسه كأنموذج لقراءة كفيلة باستقراء النصوص الحكائية، ووصف أشكال محتوياتها انطلاقا من حيثيات السيميائية المحايثة القائمة أصلا على:

1-النزعة السردية وتقنين المعطيات الدلالية العامة للنصوص.

2-اختزال الخطابات الأدبية ضمن المجال المغلق.

وقد أفرز هذا المسعى مأزقا على مستوى الإجراء تمثل في نمطية هذا الخطاب وتكراره للمقولات نفسها، الشيء الذي طبعه بطابع الرتابة.

المبحث الثاني: السيميائية التأويلية في المنجز النقدي العربي

نتتبع في هذا المبحث تحول مسار الخطاب السيميائي من مستواه الانغلاقي إلى مستواه المنفتح، وركزنا بصورة خاصة على البحث عن التأثيرات التي أحدثها سياق الحداثة وما بعد الحداثة في هذا الخطاب. وتأسيسا على ذلك يأتي هذا المبحث ليوضح ملامح التعديل والتجاوز من خلال عرضه لسياق انفتاح السيميائيات على التأويلات وبيان ذلك التراحم الذي خدم القارئ وخلص النص من سلطة النمذجة والتأطير، وأعاد لمشروع الدلالات المفتوحة مجده. وقد انطلق هذا المشروع من مرجعيات نظرية استمدها بصورة خاصة من النقد الغربي المتمثل في السيميائيات التأويلية لدى كل من "بول ريكر" و"امبرتو إيكو" وتجلى أيضا في بعض النصوص النقدية العربية.

الفصل الثالث: التحولات المنهجية في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر(نماذج تطبيقية)

أما الفصل الثالث فخصصناه لعرض **نماذج من بحوث اكاديمية في السيميائيات**، وكان لزاما علينا أن نتحدث عن طبيعة التغيرات المعرفية والإجرائية التي طبعت الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، من حيث تنويع الرؤى، واختيار الموضوعات، وسواها من الحيثيات الأخرى قبل أن ننبري لعرض هذه النماذج الثلاثة، وكنا نأمل أن تكون هذه النماذج متنوعة، ومختلفة الطرح والرؤية، تمكننا من الوقوف على رسم خارطة "طبيعة الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر" في تعامله مع المنهج السيميائي، وقد حاولنا أن ننقل من خلال هذا العرض الملاحظات التي تم إحصاؤها بكل أمانة، وبالشكل الذي تسمح به الضوابط العلمية المطبقة في هذا المجال في الجامعات الجزائرية.

الخاتمة: حاولنا في هذا الجزء من البحث لملمة النتائج البحثية التي توصلت إليها عملية الاستقراء والتحليل والتعليل والتدليل، وهي عمليات متداخلة لا يمكن تجزئتها، أفضت كلها إلى حصر ما توصلت إليه هذه الدراسة، كما أنها أوصت بضرورة البحث في هذا المجال قصد توسيع مجال مقاربات نقد النقد، للدفع بالخطاب النقدي العربي إلى مصاف الخطابات النقدية العالمية.

أما المنهج المتبنى في هذه الرسالة، فهو منهج الاستقراء الذي يتطلب حركة تركيبية وتعميمية، يقوم بها الذهن متنقلا من المعطيات الجزئية إلى الصيغة التركيبية، ومن الخصوص الموضوعاتي إلى ما هو عام وشامل. ولا يدعي البحث الاتساع لكل ما يمكن أن يستوعبه الاستقراء كمنهج بمعناه الشامل، وإنما هي ممارسة منهجية تطلبها الانتقال التدريجي من الخاص إلى العام، ومن موضوع محدد إلى موضوع أقل محدودية، للوصول إلى نظرة شبه شاملة للممارسة النقدية التي تميز بها الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر.

أما عن **الصعوبات** التي واجهت هذا البحث، فيأتي في مقدمتها معضلة جمع المادة النقدية المتناثرة هنا وهناك، هذا بالإضافة إلى أن مجال البحث في النظرية السيميائية الفرنسية يتطلب أكثر من ازدواجية عادية في اللغة، إنه يتطلب معرفة دقيقة باللغة الفرنسية إن لم يكن أكثر، وهنا لا يكفي الالمام العادي باللغة الفرنسية كلغة ثانية أو ثالثة، بل يجب أن يكون الالمام بها إلمام المتخصصين، ولا أدّعي أنني أملك هذه العدة أو بعضا منها عند إقدامي على هذا البحث. لذلك كان اعتمادي على بعض الترجمات المتوفرة للمصطلح السيميائي وإن كانت لا تساعد كثيرا على ضبط تصور واضح للمفاهيم والأطروحات التي تحملها النظرية السيميائية، نتيجة الاضطراب الحاصل في توظيف المصطلح لدى الباحثين العرب، سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي.

كما واجهتني **صعوبة** أخرى تمثلت في طبيعة موضوع هذه الدراسة ذاته "نقد النقد"، باعتباره مجال بحث معقد ومتشعب يتطلب إلماما كبيرا وإحاطة واسعة بالثقافة النقدية الحديثة. بالإضافة إلى الاطلاع الواسع على المناهج والإجراءات المختلفة التي تعاقبت خلال النصف الثاني من القرن العشرين وبداية هذه الألفية في مقاربة مستويات النص الأدبي والنص النقدي معا.

وعلى هذا الأساس، فإن هذه الدراسة لا تدعي الإحاطة الشاملة بموضوع البحث، كما أنها لا تدعي أنها طرقت جديدا لم تسبق إليه، وإنما ما يمكن العثور عليه في هذا البحث لا يعدو كونه محاولة متواضعة اهتمت بقراءة الممارسة النقدية التي تميز بها الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر.

ولا يسعني في الأخير، إلا أن أقدم الشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور " **بلوحي محمد**" الذي أشرف على هذا العمل، كما أعترف له بالفضل في توجيهه العلمي والمنهجي، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى والدي "شرشار عبد القادر" الذي كان سببا في تذليل صعوبات هذا البحث، سواء أكان ذلك من خلال توجيهاته أو ما وفّره لي من

مراجع متخصصة في الموضوع يحتفظ بها في مكتبته الخاصة، فحفظه الله وجزاه عن ذلك بالخير كله.

الـمدخـــــــــــــل

تمهيـــــــــــــد:

عرف الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر نقلة نوعية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، حيث تطعم بمجموعة من التيارات والمناهج الوافدة من الغرب، وتعامل معها مدا وجزرا تعاملا تفاوتت مستوياته بين الدارسين أنفسهم. ولعل من أبرز هذه التيارات والمناهج؛ المنهج السيميائي الذي استطاع أن يفرض حضوره منذ إرهاصاته الأولى، وهذا من خلال اقتراحه بدائل منهجية لم تلق-أحيانا- قبولا من قبل قراء اعتادوا على التعامل مع النماذج السياقية التي كانت تهتم ببحث المؤثرات الخارجية، وتأثير البيئة والثقافة وغيرها من عناصر النقد السياقي التي شاعت في تلك الفترة من تاريخ الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر. غير أن ما كان يقدمه أتباع هذا المنهج على مستوى المرجعيات المعتمدة، وعلى مستوى الرؤية والمنهج، وطريقة التعامل مع النصوص، بالإضافة إلى معجم اللغة المستخدمة في كثير من المقاربات، بدت أنها تتضمن حمولة معرفية مكثفة نتيجة ما تزاحم فيها من مصطلحات ومفاهيم، وما تخللها من رسومات وجداول، ادعى أصحابها أنها إجراءات من شأنها الكشف عن اشتغال المعنى، وأشكال تجليه، وصيغ تمظهراته. كل ذلك، أو بعضه أثار جدلا حول أهمية هذا المنهج، ومدى صلاحيته في المشهد النقدي الأدبي والثقافة العربية في البلاد العربية.

أولا: المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث:

شكل المشروع السيميائي الذي وجد ضالته في الخطاب النقدي العربي الحديث تحديا ورهانات أسهمت في إثراء المدونة النقدية العربية، على الرغم من عدم اكتمال هذا الاتجاه أو التيار النقدي في مواطنه الأصلية، إن على مستوى التصورات والمفاهيم أو على مستوى الجهاز المصطلحي والإجرائي. لذلك، صنفه البعض ضمن التبعية لخطاب سابق هو بمثابة أصل تجلى في صورة منهجية أو نظرية. وكونه كذلك؛ فإنه من الناحية النظرية نابع من مرجعيات تعلقه بخطاب الآخر، خطاب النقد الغربي الذي يستمد منه قوته عن طريق الإحالة

عليه والانتساب إليه، مع ما يمثله هذا الخطاب من غرابة في تعامله مع السياق الثقافي للنص العربي.

ومع ذلك، تفاعل الخطاب النقدي العربي مع هاجس التجديد، والتجاوز، ولا سيما خصوصيات الاتجاه السيميائي الذي يطمح أصلا إلى التغيير والتجديد. فالتحولات العميقة التي طرأت على بنية التفكير السيميائي طيلة ما يقارب نصف قرن من الزمن الماضي، أو يزيد قليلا، قد أسهمت في تنويع الرؤى المنهجية لدى الدارسين ضمن هذا المجال، وأفرزت تصورات تشمل كل عملية تأمل في تحديد الدلالة وطرق إنتاجها واشتغالها وتداولها. وقد ترتب عنها تفاوت بارز في التعامل مع النسق المولد للدلالة، إذ حصرها اتجاه ضمن مجال مغلق، واختار لها فريق ثان فضاء منفتحا. مع العلم أن أصحاب الحيز المغلق كانوا يعلمون حينها أن المنهج السيميائي المحايث وعلى رأسهم "غريماس"، قد وصلوا إلى مرحلة تأزم البحث السيميائي نتيجة اصطدامه باستحالة الصورنة الشاملة للمعنى، والدلالة، إضافة إلى نفور النصوص الأدبية من عمليات الآليات الإجرائية، التي يقدمها التحليل السيميائي المحايث، علما بأن طبيعة النص الأدبي، بوصفه نسقا مفتوحا، وإبداعا جديدا متجددا، لا يمكن أن تحدد كيفيات قراءته قبل الولوج إلى عوالمه الممكنة.

لهذا السبب وغيره، تحولت القراءات السيميائية بتحليلاتها المستعارة عن الأنموذج السيميائي الغربي إلى مراسيم جافة، عمدت إليها الثقافات المغايرة، وخاصة الفكر النقدي العربي المضطرب آنذاك، مقتصرة على تطبيق نماذج تطبيقية من دون الاطلاع على أسسها النظرية، مما زاد من الإساءة إلى هاته الآليات، وقدمها في صورة مقولات جاهزة، تأخذ من كل قراءة مقاسا للنص، لا لأن تكون مناسبة له، بل من أجل أن يكون مناسبا لها.

وتأسيسا على ما أوردناه في مستهل هذا المدخل، لا يمكننا إنكار نفعية الدراسات المحايثة في المجال اللساني، إذ استطاعت أن تقدم إجراءات جد عملية في الكشف عن المعنى في قالب علمي، تحقيقا لما عجزت عنه البحوث اللسانية سابقا. لهذا أصبح من الضروري اليوم

مراجعة هذا المسار، فضلا عن الاهتمام بالدراسات الأولى التي اشتغلت على النسق وعلاقاته الداخلية في النص الأدبي العربي.

ثانيا: مفهوم المقاربة السيميائية وموضوعاتها:

ما هي السيميائيات؟

لا مفر من طرح هذا السؤال في بحث يتساءل حول مشروع سيميائي، وأحد المبررات لذلك يتمثل في محاولة توضيح صورة المشهد السيميائي الذي يتواجد فيه هذا المشروع. هل يمكن اليوم أن نتحدث عن السيميائيات كما نتحدث عن الرياضات والفيزياء والطب وعلم الاجتماع...الخ؟. نعتبر المدخل السوسري مدخلا أساسيا عند طرح موضوع السيميائيات، ليس فقط لأن مدرسة باريس تعتبر نفسها وريثا للفكر اللساني، وربما مكمله، لأن إشكالية وجود السيميائية أصلا مطروحة في الفكر الغربي بصيغ كثيرة ومتعددة، ذلك لأن فرضيات الربط بين اللسانيات والسيميائية تختلف باختلاف قناعات الباحثين أنفسهم، لكن الصيغة الأكثر تداولا، هي أن المعالجة البنيوية للغة الطبيعية هي التي جعلت دي سوسير يتحدث عن علم حياة العلامات في المجتمع، يسميه "السيميولوجيا"، وكذلك بالنسبة لهيلمسليف، فإن المعالجة البنيوية الصورية للغة بمفهومها الأوسع هي التي جعلته يدرك أن دراسته للغة الطبيعية إنما هي تطبيق خاص باللسان الطبيعي لمفهوم اللغة بمعناه العام؛ أي: السيميائية.[1]

يقوم تصور "السيميولوجيا" عند دي سوسير على أساس سوسيولوجي وسيكولوجي حسب ما جاء في كتاب الـ " دروس في اللسانيات العامة"، وفي الوقت نفسه يرسم الخطوط العريضة

[1]- ينظر: جمال بلعربي، قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، مخطوط دكتوراه، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2012/2011، ص: 127.

لشيء لا يمكن أن نفهمه إلا كعلم للشكل الخالص، وهو تصور للغة كبنية مجردة من التحولات والتبدلات المرتبطة بهذا اللسان أو ذاك، يفسرها انطلاقا من البنيات المماثلة.[1]

هذا هو التعريف الصوري الذي يقترحه هيلمسلاف للسيميائية، ويعتبر أن موضوع نظرية اللغة ليس اللغة الطبيعية وحدها، وإنما كل سيميائية موجودة أو ممكنة، أي كل بنية تقبل هذا التعريف، ولا يمكن اعتبار اللسان الطبيعي سوى حالة خاصة لهذا الموضوع العام.[2] أما خصوصياته فهي لا تؤثر في المشروع المقترح، وبهذا يكون من اختصاص اللساني–وليس صاحب نظرية اللغة أن يركز كل اهتماماته حول اللغة الطبيعية ويترك للاختصاصات الأخرى وعلى وجه التحديد علم المنطق مهمة معالجة الأنساق الأخرى. لكن اللساني لن يتمكن من إنجاز عمله هذا إذا لم يكن عارفا وملما بدراسة تلك البنيات السيميائية.

يتبين لنا من خلال ما سبق ذكره كم هو الفرق واضح بين صيغة النقاش الذي يمكن أن يدور حول تعريف تعليمي للسيميائيات، وصعوبة صياغته، وبين التصور التأسيسي الغلوسيماتي عند هيمسلاف الذي يقدم تعريفة للسيميائية داخل حزمة من التعريفات المتماسكة، والتي يصبح لا معنى لأية سيميائية من دون المرور بها.[3]

إن الانسياق في إغراق البحث في تعريفات جزئية، ومصطلحات ومفاهيم غير ثابتة في نظرية السيميائيات من شأنه أن يفرز نوعا من التفكك والغموض في عرض المادة العلمية، وهنا لا أتحدث عما يسمى بـ"الخامة" أي المادة العلمية من حيث صحتها، ونقل مقابل لها إلى اللغة العربية، وهذا جهد كبير أفاد البحث اللساني العربي مدونة الخطاب النقدي العربي المعاصر، ووجه الباحثين إلى أفق بحثي واسع. ولما كانت "الأطروحة" التي أنا بصدد عرضها والدفاع عن حيثياتها، تتضمن أكثر من رؤية حول المشروع السيميائي، فإن الحفر في كل توجه ورؤية من أجل تقديمها في شكل بسيط (وليس سهلا بالضرورة)، وفق الآليات

[1]- ينظر: جمال بلعربي، قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة،، ص: 121.
[2]- المرجع السابق، ص: 122
[3]- يراجع في هذا الصدد ما ورد في الفصل الأول من كتاب "هيلمسلاف الآتي:
-Hjelmslev, Louis. Prolégomènes à une théorie du langage. Minuit, Paris 1971, PP :14-25

والإجراءات البحثية المعاصرة في المجال اللساني ليس بالأمر الهين والمتيسر للباحث المبتدئ مثلي. لذلك، أفضل عدم إغراق البحث بالترسانة التي اعتاد كل من تصدى للبحث في هذا الحقل المعرفي عرضها سواء أتعلق الأمر بإيراد المفاهيم، أم التعريفات وغيرها، مما تتطلبه القراءة الاستقرائية للمشروع، وأحيل على مظانها كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

يصعب –جدا– حصر المفاهيم السيميائية ضمن تيار معرفي موحد، وهذا تصديقا لما يشير إليه (كوكي Coquet) وهو من منظري التوجه المحايث في سيميائيات باريس إلى تعدد هذه التيارات وتفرعها، لذلك فضلنا تبني المنحى الذي يتعامل مع النص، مفككا مستوياته المختلفة بشكل تدريجي، للتقرب من بنياته المحايثة. انطلاقا من هذه الرؤية المعرفية، نعتقد أن السيميائيات تسعى إلى استجلاء مدلولات معينة بعيدا عن الوقوع في النمطية التي استحوذت على بعض الباحثين وأخضعتهم للممارسة الآلية التعسفية، ذلك أن لكل خطاب أدبي خصوصياته على أكثر من مستوى. وتبقى المزية النقدية المتوخاة من المعرفة – منهجيا–مقترنة بكفية التعامل مع النص، ومن ثمّ ضبط استراتيجية التدرج بدءا بالمستوى السطحي، وصولا إلى المستوى العميق.

وحسب ما جاء في إحدى مقولات جماعة (أنتروفرن Entrevernes): " إن الأمر لا يتعلق بولادة نص أو بتاريخه أو تاريخ مؤلفه، بل إن التوجه السيميائي يهتم بالكيفية التي يشتغل بها/عليها هذا النص أو ذاك".[1] ومن وجهة أخرى رأى غريماس وهو أحد أقطاب مدرسة باريس للسيميائيات أن المعرفة السيميائية فرع من العلوم الإنسانية، يُستبعد ربطه بأي توجهات أيديولوجية، ذلك لأن العمل الأيديولوجي الحقيقي، يعمل عمله في التعامل العلمي مع النص فقط.[2] ومما يستنتج من الرؤيتين السابقتين أن التحليل السيميائي يتأسس انطلاقا من مفهوم المحايثة، مما يعني أن أي نص، هو بالضرورة مظهر أو تجلي لبنية كامنة،

[1] -Groupe d'Entrevernes, Analyse sémiotique des textes, Tobkal, 1987, P.34
[2] -J. Courtes, Introduction à l'analyse sémiotique narrative et discursive, Hachette, 1976, P.5

تستدعي تسليط التحليل قصد الكشف عن المدلولات الكامنة ضمن المستويات العميقة للخطاب.

تُجْمع عدة كتابات ومعاجم لغوية وسيميائية على أن السيميائيات هي ذلك العلم الذي يُعْنَى بدراسة العلامات. وبهذا عرفها فرديناند دوسوسير(F. DE Saussure)، وجورج مونان (G. Mounin)، وكريستيان ميتز(K. Metz)، وتزفيتان تودوروف(T. Todorov)، وجوليان غريماس(A.J. Greimas)، وجون دوبوا،(J. Dubois) ورولان بارث(R. Barthes)، وآخرون. ويبدو أن تعريف مونان أوفى هذه التعريفات وأجودها، إذ يحدد السيميائيات بأنها" العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات أو الرموز التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس".[1]

وانطلاقا من هذا التعريف، يمكن أن نستخلص أموراً ثلاثة :

1- إن السيميائيات علم من العلوم، يخضع لضوابط ونواميسَ معينة كما هو الشأن بالنسبة إلى العلوم الأخرى، وهذا ما تضمنته الكثير من التعاريف التي أوردها كل من (سوسير – تودوروف – بارث..)، ولكن ثمة تعريفات وآراء أخرى تنظر إلى السيميائيات باعتبارها منهجا من المناهج، أو وسيلة من وسائل البحث، بحيث يشير مونان–مثلا– في موضع آخر إلى أن السيميائيات "وسيلة عمل(Instrument de travail) "؛ أي منهج من مناهج البحث. ومن هنا، نقف على شيء من الخلط في كلام مونان؛ فهو تارة يذكر "السيميولوجيا" على أنها علم عام يدرس العلامات المختلفة، وتارة يذكرها بوصفها منهجا بحْثيا. ونجد هذا الخلط بارزا عند بعض الدارسين العرب الذين يعرّفون السيميائيات بأنها علم أو دراسة (أي منهج) في الآن نفسه. يقول صاحبا (دليل الناقد الأدبي) مثلا : "السيميولوجيا (السيميوطيقا)، لدى دارسيها، تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة. أما "السيميوطيقا" فهي عند شارلز ساندرس بيرس" (Charles Sanders Peirce) نظرية عامة، شبه ضرورية أو شكلية للعلامات ." إذن؛ فنحن أمام ثلاثة آراء: رأي يعتبر السيميائيات علما، وثان يجعلها منهاجا،

[1]-سشايفر جان ماري، ديكرو، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر : منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط2، 2007، ص:646.

وثالث يتخذها نظرية عامة.

2- ويبدو أن الدارسين العرب المعاصرين يتعاملون مع السيميائيات باعتبارها منهجا يساعد على فهم النصوص والأنساق العلامية وتأويلها. فإننا نقرأ بين الحين والآخر دراسات وأبحاثا يتوسل أصحابها بالسيميائيات بوصفها منهجا في المقاربة والدراسة، ومن ذلك بعض دراسات محمد مفتاح وعبد الملك مرتاض التي تعمد إلى تجريب المنهج السيميائي في تشريح نصوص أدبية قديمة وحديثة. وممّن يعتبرون السيميائيات منهجا نجد الدكتور عبد الرحمن بوعلي الذي يقول في تقديمه لأحد كتب دولودال (G. Deledalle) التي ترجمها إلى العربية : "تحتل السيميوطيقا –أو السيميولوجيا- مكانة هامة ضمن المناهج النقدية. ولئن كان البعض يعتبرها مجرد موضة من الموضات، فإن هذا الوصف لم ينقص من قيمتها كمنهج علمي وإجرائي في الدراسات الأدبية وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولى، بل ولم يزد المشتغلين بها إلا مقاومة لكل نزعة تبسيطية. ولذلك فهي في الاعتبار الصحيح منهج لا يمكن التقليل من أهميته أو التقليص مما يمكن أن يفتحه من سبل وآفاق جديدة تنير مجاهل التعبير الأدبي والفني ...".[1]

وإذن؛ بات من السهل اليوم التمييز في البحث السيميائي بين سيميائيات متعددة، يفرق بينها –أحيانا- موضوع الدراسة، وأحيانا أخرى المنهج المتبع في ذلك، وهي على هذين المستويين تتفاوت في طبيعة التعامل مع مواضيعها، ومع المنهج أو التوجه البحثي الذي تتبناه، غير أن الثابت في أغلب تلك الدراسات حضور النص الأدبي، الأمر الذي يؤشر إلى أن الثابت في هذه الخطابات النقدية هو الحضور النصي أو المدونة التي يتم الاشتغال عليها، أما المتحول والمتغير في هذه الخطابات النقدية، المنهج الذي يبقى رهين التوجه الأكثر تلاؤما مع طبيعة النص الأدبي.

---

[1]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.2، 2001، ص:38

وهكذا؛ استطاع الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر عبر تفرعاته في دراسات متفرقة، تفردت كل واحدة منها بواحد من التوجهات السيميائيات التي استعصى عليّ في هذا المدخل تحديدها نظرا لما يترتب على الباحث الذي يشتغل في مظانها من ضرورة سرد لتبريرات كثيرة سيتناولها البحث في مباحثه اللاحقة: التنظيرية و التطبيقية. غير أن ما يميزها جميعا، هو انضواؤها ضمن توجهين رئيسيين، هما: البقاء داخل حدود النسق اللساني، من خلال المقاربة المحايثة الخالصة، أو الخروج عن حدود النسق اللساني، وهذا ما يقصيها من دائرة البحوث السيميائية المحايثة. وهذا لا يعني أن المنهج السيميائي عازف عن رصد التناص بين مكونات النص الداخلية وعوالم خارجة عنه، بل يسعى إلى استقراء دلالات مرتبطة بالعوالم الممكنة، وتبقى القيمة الجوهرية التي تميز المنهج السيميائي عن باقي المناهج والمقاربات تكمن في القدرة على استنطاق خطاب النص، وتحليل مستوياته مع مراعاة طبيعته اللغوية، والتعامل معه من منطق معرفي لساني.

وتعد هذه التفرعات إرهاصات علمية جادة لاتجاهات سيميائية فرضت حضورها فيما بعد، اتخذت من البعد السيميائي موضوعا لها، على الرغم مما كان يوجه من نقود –جارحة أحيانا– لمقولات السيميائيات المحايثة، غير أن هذا التوجه البحثي أو المنهجي ساهم وبشكل لا ينازع فيه منازع أو مرتاب في تشييد صرح جيل جديد من المفكرين والنقاد ممن وجدوا في ثنايا هذا التوجه ما يستحق أن يكون موضوعا للدراسة، بعد أن كان مغيبا مجهولا في مدونة الخطاب النقدي العربي الحديث.

3- إن التركيز على هذه الملاحظات النقدية في هذا المستوى من البحث، لا يعني على الإطلاق الإقلال من قيمة البحث السيميائي سواء أكان ذلك مع (غريماس) أم غيره ممن حملوا لواء الدراسات السيميائية المحايثة، لأن لهذه البحوث أهمية كبرى تميزها عما سبقها من دراسات لسانية أقصت الدلالة من بحثها، ولم تهتم إلا بالعلامة المفردة، أو البنيات الصوتية للسلاسل الكلامية، بوصفها المادة التي تسمح للصورنة بأن تطرح موضوعها، إلا

أن الهرم العلمي الذي يبدأ من الصفر ليصل إلى القمة، وصل مرة ثانية إلى الصفر للانطلاق من جديد مع دراسات سيميائية تزيد من قيمة ما بنيت عليه.

الفصــل الأول

الخلفيات الفكرية و الأنساق المعرفية في الثقافة والفكر الغربيّين للمنهج السيميائي

تمهيد:

إن تأثير النظريات العلمية في الفكر الإنساني بعد عصر الأنوار كان جليا، والنقد الأدبي الغربي أو العربي لم يكن بعيدا عن اصطناع هذه النظريات العلمية وتمثلها، مما شكل تراكما معرفيا أسهم بقوة في تطوير المناهج النقدية الحديثة.

وقد أفاد النقد العربي الحديث من هذه الخلفيات المعرفية، التي صارت رصيدا إنسانيا عالميا لا تخص أمة دون أخرى، وكانت المناهج النسقية ومرجعياتها المعرفية الملامح الأساسية البارزة التي رسمت وجه المثاقفة العربية الحديثة مع الغرب، مثلت الأرضية الصلبة التي انطلقت منها مساعي النهضة والتحديث، وكانت تعكس إلى حد كبير نزعة علمية واضحة في مجال البحث والدراسة، بما في ذلك بحوث النقد الأدبي، تمثلت بصورة خاصة من خلال مناهج نقدية ركزت اهتمامها على النص باعتباره بنية مستقلة عن السياق الخارجي، وقد تأثرت هذه المناهج بالنزعة العلمية، ظهر ذلك عبر ولهها باللسانيات والرياضيات بوصفهما نموذجين يجب على العلوم الإنسانية أن تنحو نحوهما.[1]وبذلك ظهرت إلى الوجود المناهج النسقية.

وعلى العموم، شهدت النظرية النقدية في تاريخها المعاصر ثلاثة تحولات كبرى، فبعد أن تمركزت حول المبدع أو المرسل في نظرية (جاكبسون)، انتقلت مع البنيوية والشكلانية الروسية إلى التمركز حول النص باعتباره بنية مغلقة على ذاتها. ومكتفية بذاتها أيضا. في حين بدأ التحول الثالث مع ظهور نظرة التلقي التي أدخلت المتلقي أو المرسل إليه في العملية النقدية، بوصفه عنصرا فاعلا في المعادلة الأدبية، ثلاثية التكوين: الكاتب والنص والمتلقي.

[1]- أحمد يوسف، القراءة النسقية-سلطة البنية ووهم المحايثة- الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص: 147.

أولا: الخلفيات الفكرية والأنساق المعرفية في الثقافة والفكر الغربيين للمنهج السيميائي

إن البحث في الأصول المفاهيمية يحيل حتما إلى المرجعيات الفلسفية والفكرية والمعرفية التي صاحبتها، ونظرا لامتزاج النقد الأدبي بالفكر والفلسفة، صارت المفاهيم والمقولات النقدية مثقلة بحمولة فلسفية وفكرية لا يمكن تجاوزها، لأن ضبط المفاهيم ارتبط منذ القدم بالتحولات والابتكارات التي حصلت أو تحصل في البنية الفكرية للإنسانية، وتبعتها تغيرات جذرية في البنية الاجتماعية. وهذه الحركية المستمرة حتمت تعقبها من قبل الدارسين المحدثين لأنها كانت تحمل جينات النظريات المستحدثة في مجالات المعرفة والنقد الأدبي بصفة خاصة، مكنت على أكثر من صعيد فهم التحولات ومبرراتها المختلفة التي أنتجت آليات ضبط وتحديد لجميع المفاهيم والمصطلحات.

وهكذا؛ عرفت أوربا في نهضتها الحديثة تطورا هائلا في مجال العلوم، وساد الاعتقاد أن المنهج التجريبي وحده القادر على تتبع أسباب الظواهر، تستوي معها أعماق وخيال الإنسان وظواهر الأحياء والطبيعة وسائر مظاهر الكون، كما ساد الاعتقاد أن المعرفة العلمية كفيلة بتحقيق السعادة والكمال للإنسان، وصار نموذج المعرفة السائد هو النموذج الآلي، كما صار فهم الظواهر يقتضي تنظيمها في نسق تكون فيه كل منها مؤدية إلى الأخرى بطريقة آلية خالصة. ودعّم هذا الاتجاه فلاسفة عصر التنوير من الفرنسيين الذين دعوا إلى تفسير كل الظواهر بنفس المنهج الذي ثبت نجاحه في العلم، وأبرز هؤلاء الفيلسوف " أوجست كونت Auguste COMTE (1798-1857) الذي وجه الفلسفة نحو العلم التجريبي الدقيق، وقال إن المعرفة الحقيقية هي تلك التي تستمد من الملاحظات والتجارب العلمية.[1]

هذا الفتح العلمي الذي بلغ ذروته أواخر القرن التاسع عشر، حوّل العالم إلى نظام ميكانيكي، يقابله النظام نفسه في العقل البشري، وهو وحده القادر على إخضاع الظواهر بأنواعها

---

[1]- ينظر: فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، الإصدار 3، 1978، ص:145.

للملاحظة والتجريب، لكشف أسبابها وعلاقاتها، وضبط القوانين التي تتحكم فيها، وبالتالي يمكن حسابها بدقة كاملة.[1]

1- الجذور التاريخية للمنهج السيميائي

يجمع الدارسون على أن الإرهاصات الأولى لعلم السيمياء تعود إلى الحضارة الإغريقية القديمة، إذ يمكن العثور على إشارات داخل الموروث الفكري الذي خلفه اليونان منذ القدم، تلك الإشارات التي يلتقي بعضها مع الكثير من الأفكار التي قالت بها السيمائيات الحديثة. وأهم ما يمكن ذكره في هذا المجال ما أورده الباحثان (محمد خاقاني ورضا عامر) في مقالهما الموسوم بـ" المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته"، وهو تلك الجهود التي قام بها الرواقيون الذين عدوا بحق السباقين في اعتبار العلامة تحتوي دالا ومدلولا، كما يذهب إلى ذلك " أمبرتو إيكو". ولعل هذا التقسيم الذي حفظ عن الرواقيين كان هو الأرضية الفكرية التي انطلقت منها السيميائيات الحديثة ممثلة في فارديناند دي سوسير الذي أعاد الاعتبار لهذا التصور من خلال تفريقه بين مصطلحي الدال والمدلول، كما سنرى في أثناء الحديث عن إسهامه في التأسيس لعلم السيمياء الحديث، ليسهل علينا بعدها إدراك مدى المشابهة الواقعة بين جهود سوسير، وما قال به الرواقيون القدماء، مع اختلاف بينهم في الشيوع والتأثير في من جاء بعدهم.[2]

أما المرحلة الثانية في تاريخ السيميائيات القديمة كما أورده عز الدين مناصرة، فهي تلك المحاولة التي قام بها القديس أوغسطين حول تشكيل نظرية تأويلية يتم تطبيقها على النصوص المقدسة، ثم يختفي مصطلح السيميائية مدة طويلة ولا يظهر إلا في دراسة

---

[1]- عبد القوي أحمد، تجليات المثاقفة الغربية في الخطاب النقدي العربي المعاصر-كمال أبو ديب أنموذجا-، مخطوط أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2017، ص: 94.

[2]- محمد خاقاني ورضا عامر، المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد 2، أصفهان، 2010، ص:45.

الفيلسوف جون لوك (1632-1704) باسم "Sémiotic"، وبدلالة جد متشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية.[1]

أما المرحلة الثالثة التي يتوقف عندها عز الدين مناصرة، فهي مرحلة العصور الوسطى التي لا نعثر فيها على الشيء الكثير، ثم تجيء بعدها المرحلة الرابعة والتي بدأت تتشكل فيها نظرية العلامات والإشارات خلال القرن التاسع عشر، حيث استخدم الفيلسوف (جون لوك) مصطلح " سيميوطيقا Semiotics" وهو عنده علم يهتم بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل البشري في أثناء العملية الإدراكية.[2]

ومن بين الدارسين الذين أكدوا أصالة التفكير العلامي وتجذره عند مختلف الشعوب القديمة الباحث (جان ماري سشايفر (J.M. Shypher) الذي يرى أن ما وصلنا من تصورات وتأملات حول الظاهرة اللسانية تضمنت العديد من المفاهيم الدلالية.[3]

3- الاتجاهات السيميائية الحديثة:

أ- سيميولوجيا دي سوسير:

يرجع ظهور السيميائية كمنهج في حقل الأدب للجهود والأعمال المشتركة لكل من :

*عالم اللسانيات السويسري (فرديناند دو سوسير) باسم " السيميولوجيا"، هذا العلم الذي ستكون مهمته، كما جاء في دروسه" العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية" [4]. ولقد كانت الغاية المعلنة والضمنية للسيميولوجيا هي تزويدنا بمعرفة جديدة ستساعدنا على فهم أفضل لمناطق هامة من الإنساني والاجتماعي ظلت مهملة لوجودها خارج دائرة التصنيفات المعرفية التقليدية. فالسيميولوجيا من هذا المنظور تدرس العلامة اللغوية من حيث العلاقات التي تحكمها والمكونات التي تشكلها والخصائص التي تتسم بها،

---

[1]- المرجع السابق، ص: 45.
[2]- المرجع السابق، ص: 46.
[3]- المرجع السابق، ص: 46
[4] - Ferdinand De Saussure : Cours de Linguistique général, éd2 ENAG/EDITIONS. Alger, 1994,p.33.

والكيفية التي ستظهر بها في التركيب والسياق. إنها علم منظومات العلامات. أو لغة العلامات، وبضم دي سوسير للعلامات غير اللغوية جعل من اللسانيات فرعا من فروع السيميولوجية. إنه يقيم علمه على أساس التواصل، فكل علامة يمكنها تحقيق تواصل فهي قابلة للدراسة. وإلى ذلك يذهب (رولان بارث):" سنفهم من كلمة (لغة)، أو كلام (كلام)، أو كلمة (خطاب) كل وحدة أو توليف دلالي، سواء أكان لفظيا أم بصريا. وسنعد الصورة الفوتوغرافية كلاما بالقدر نفسه الذي نعد به مقالا صحفيا كذلك، بل سيغدو بإمكان الأشياء نفسها أن تصبح كلاما، إذا دلت على شيء ما"[1].

فإذا حصر (بارث) العلامة في اللغة، فإن (دو سوسير) يسحبها على كل أشكال الاتصال الاجتماعي المختلفة، مثل الطقوس والاحتفالات والمجاملة ومنظورات العلوم المختلفة، كما تشمل أيضا الفنون والآداب، انطلاقا من أنها أشكال تواصل تعتمد على علامات: " إن اللغة نسق من العلامات، يعبر عن أفكار، ومنه فهي متشابهة للكتابة. وأبجدية الصم والبكم. والطقوس الرمزية، وأشكال المجاملة..." [2]. ورغم هذا التوسع في العلامة لتشمل شقها غير اللغوي ستظل السيميولوجية فرعا من فروع اللسانيات يحمل على عاتقه عبء وحدات اللغة الدالة. والكيان الذي ينظم هذه العلامات.

---

1 - Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage. Larousse, Paris1994, p.435.

2 -Ferdinand De Saussure , Cours de Linguistique général, p.05.

3- بين السيميائية والسيميولجيا

نتعلم في بداية تعاملنا مع هذا الاختصاص أن" السيميولوجيا Sémiologie هي التسمية الفرنسية، السويسرية، للاختصاص الذي يعرف في الفضاء الأنجلوسكسوني بالسيميائية Semiotics. لكننا نجد مقدمات المعاجم لا تخفي التمييز بين المصطلحين من حيث مجال الاختصاص، فتقر باستعمالهما معا، بفوارق واضحة. ويجري هذا وفق طرح غير الذي تذهب إليه "الغلوسيمية" في استعمالها هي أيضا للمصطلحين في المشروع نفسه وفي موقعين مختلفين من التراتبية السيميائية التي تقترحها."[1]

جاء في قاموس ديبوا أن " السيميولوجيا ولدت من مشروع ف.دي سوسير، وموضوعها هو دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وهي تندرج ضمن علم النفس كفرع من علم النفس الاجتماعي. وفي هذه الحالة لا تكون اللسانيات غير فرع من السيميولوجيا"[2] ، وهو التصور المعروف عند دي سوسير، ثم يضيف القاموس أن السيميائية " تستأنف مشروع سيميولوجيا ف.دي سوسير وتتخذ موضوعا لها دراسة حياة العلامات في الحياة الاجتماعية. لكنها على خلاف السيميولوجيا (...)، ترفض أن تمنح الأفضلية للغة وللمجتمع. فالسيميائية تريد أن تصير النظرية العامة لصيغ التدليل."[3]

مما يعني أن الفرق بين التسميتين ليس فرقا في اللفظة فقط ، بل هو فرق في مفهوم المصطلح وفي ما صدقه، يعني أننا باختيارنا لأحد المصطلحين نكون قد اخترنا وجهة نظر من بين اثنتين متمايزتين.[4]

---

[1]-جمال بلعربي، قراءة في الأسس الإبستمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، رسالة دكتوراه في قضايا الأدب والدراسات النقدية والنقارنة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2012/2011، ص: 135.

[2] -J. Dubois, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage.

[3] - Ibid.

[4]- ينظر: كليكنبارغ- جان ماري، السيميولوجيا أو السيميائية؟ تر.رشيد بن مالك، بحوث سيميائية، مخبر عادات واشكال التعبير الشعبي بالجزائر ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، عدد 3 و4، 2007.

ويستنج الباحث من هذا أن التفضيل بين مصطلحي السيميائية والسيميولوجيا هو "تفضيل بين دراسة توليد المعنى ودراسة بنية أنساق العلامات." [1] وإذا حاولنا إيجاد الجسر الذي يربط بين النظرتين يمكن القول: " إن السيميائية تدرس اشتغال الأنساق التي تدرس السيميولوجيا بنيتها." [2]ويرجع هذا الفرق إلى اختلاف أساسي في تصور العلم عند (ش.س. بيرس) وعند (ف.دي سوسير)، فالسيميائية عند بيرس " هي مذهب العلامات: وتبحث في كيف يجب أن تكون خصائص العلامات التي يستعملها الذكاء البشري في خطواته العلمية؟"[3] ، وليست العلامات داخل النسق في حد ذاته. أما المشروع السويسري فينطلق من دراسة اللغة، وهو مشروع لساني ينحو إلى التجريد، في حين يعتبر المشروع البيرسي " تطور منطقي لا تهمه اللغة بقدر ما تهمه العلامة في حد ذاتها" [4] ، وفي علاقتها بالمعنى من حيث هو منتوج للفكر. غير أن الممارسة تبين أن التمييز بين النظريتين تمييز بيداغوجي، متأثر بتلك الفروق التاريخية.

وهكذا، تهتم البحوث السيميائية في التيارين " بالإشكاليات نفسها، وتعاني كلها من علة في دقة المصطلحات وعدم اكتمال المناهج، وتقريبية الأطاريح التي تقدمها، وهذا ما يستغله الباحثون، فيقومون مع كل بحث جديد بمحاولات لإنضاج الاختصاص وتطوير أدواته."[5] إلى حد أن يصير كل بحث سيميائي جديد رحلة استكشافية في مجال علوم اللغة، تهتم بالجانب التأسيسي للعلم بمقدار ما تهتم بالممارسة التطبيقية التي تبرر البحث.

يعيد هيلمسلاف ترتيب التفاصيل على طاولة البحث اللغوي، ويقيم مشروعا من أجل بناء جديد لنظرية اللغة، بعد أن " يقوم بتعريف اللغة على أنها سيميائية" [6]، أي أنه يختار التوجه السوسيري ويعيد إنتاجه في صورة أكثر علمية. خاصة إذا تنبهنا إلى أن " دي سوسير لم يقم

---

[1]- جمال بلعربي، قراءة في الأسس الإبستمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، ص:136.
[2]-المرجع السابق.
[3] - Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage. Larousse, Paris1994.
[4]- جمال بلعربي، قراءة في الأسس الإبستمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، ص:136.
[5]- المرجع السابق.
[6]- المرجع السابق، ص: 137.

بصياغة مشروعه السيميائي، بل انشغل بتقديم تصوراته الجديدة حول اللسان." [1] وقد كانت تصورات دي سوسير مصوغة صياغة سيميائية، أي أنه كان يمارس الوصف السيميائي للغة، وفي الوقت نفسه يشير إلى المكانة الحتمية للعلم الذي يدرس اللسانيات، وآليات ذلك الوصف، وغيرها من الأنساق اللغوية.[2]ويعني ذلك أن سوسير قد ترك مع كتاب ال"دروس في اللسانيات العامة" مهمة تأسيس السيميولوجيا مع نموذج تطبيقي لساني، لكن بدون خلفية إبستيمولوجية، فاستوعب هيلمسلاف الأثر السويسري وقام ببلورة المشروع من خلال تطبيقه على اللغة وفي الوقت نفسه من خلال صياغة تأطير إبستيمولوجي للمشروع السيميائي.[3]

يقول "يورغن دينس يوهانسن Jorgen Dines Johansen": "إن هيلمسلاف قد تأثر بدي سوسير بشدة خلال الثلاثينات من القرن الماضي بعد قراءته الثانية له، مما يجعل الغلوسيمية تبدو كمحاولة صارمة لإنشاء نظرية وظيفية تجريدية للغة على أساس الأفكار المركزية عند دي سوسير، لكن من غير الصحيح أن نعتبر العمل الذي قام به هيلمسلاف مجرد استمرار لدي سوسير، فمن جهة لأن قراءة هيلمسلاف لدي سوسير هي واحدة من عدة قراءات ممكنة، ومن جهة أخرى لأن هيلمسلاف اتخذ من دي سوسير نقطة انطلاق فقط لبناء نظريته الخاصة التي تتناول اللغة في مستوى من التعقيد والتجريد لا نجدهما عند اللساني السويسري."[4]

4-التوجه الأمريكي: أمّا الفيلسوف الأمريكي " شارلز سندرس بيرس"، فهو يدعو إلى تبني رؤية جديدة في التعاطي مع الشأن الإنساني، وفي صياغة تخومه، وتحديد حجمه، وقياس امتداداته فيما يحيط به، فقد جاء بمقاربة تختلف عن مقاربة " دي سوسير"، هي:"

---

[1]- المرجع السابق.
[2]- ينظر: المرجع السابق.
[3]- بلعربي جمال، مرجع سابق، 136
[4]- المرجع السابق،ص:137

توسّعه في مفهوم العلامات ليستوعب مختلف الظواهر ككيفيات وموجودات وضروريات"[1]. وهو ما اصطلح عليه بالسيميوطيقا المشبعة بالمنطق ذي القيم المتعددة.

إن الخلاف بين هذين الرائدين انعكس على أتباعهما، وتحوّل إلى صراع بين أنصار سيميائيات التواصل وسيميائيات المعنى، وامتد إلى الثقافة العربية بعد انفتاحها وتعاملها على هذا المنهج. ولكن غالبية الباحثين انتصروا لـ "بيرس" لقرب أفكاره من مصطلح السيميائية وذلك بحكم ما أصدرته " جوليا كريستيفا" بقولها:" فعلا نحن مدينون ل (شارل ساندرس بيرس) بالاستخدام الحديث لمصطلح السيميائيات"[2]. أما فيما تعلّق بتداول المصطلحين " السيميولوجيا والسيميوطيقا" فقد حسمت " الجمعية العالمية للسيميوطيقا" المنعقدة في باريس سنة 1969 الخلاف لصالح " السيميوطيقا" علما وأن من أعضاء هذه الجمعية كان كل من (أمبرتو إيكو)، (يوري لوتمان) وغيرهما. وهكذا؛ ومع شارلز سندرس بيرس "صارت السيميائية اختصاصا مستقلا حقيقة، إنها بالنسبة إليه إطار مرجعي يضم كل دراسة أخرى." [3] ولقد كان لهذا المنهج في نقدنا نصيب وافر من البحث والدراسة سواء ما تعلق بالتأسيس أو التأصيل.

يبدو أن السيميائيات مادة جديدة لم تدشن دخولها إلا منذ عهد قريب حسب ما جاء في مؤلف(جون ماري كليكنبارغ Jean-Marie Klinknberg[4]) ،وإذا كان الفيلسوف شارل س. بيرس، من جهة واللساني فرديناند دي سوسير، من جهة ثانية، طرحا وجودها كمسلمة في بداية القرن، فإن التباشير الأولى لتأسيسها ظهرت انطلاقا من الستينيات، حيث استمدت السيميائيات أصولها من المكاسب التي حققتها اللسانيات، مع دي سوسير الذي نجح في استنباط مبدأ دراسة اللغة من اللغة ذاتها، بعدما كشفت النتائج التي توصل إليها المنهج النقدي التقليدي في تعامله مع الظاهرة الأدبية هشاشة القواعد التي ارتكز عليها، لأنه تعامل

---

[1]- مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحميداني وآخرون، افريقيا الشروق، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص.04.

[2]- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، 2010، ط3، ص.96.

[3]- المرجع نفسه، ص.96.

[4] - Jean-Marie Klinknberg, Précis de sémiotique générale, de Boeck université, Paris, 1996. P.19

مع النص الأدبي من الخارج، كما أنه عدّ الأدب ضربا من ضروب الغيب والإلهام، يتنزلان على بعض الناس الموهوبين، وهو ما تلغيه المناهج النقدية الحديثة. ومع ذلك، لا يسعنا إلا القول: إن هذه المادة الجديدة جاءت تتويجا لاهتمامات قديمة جدا. وأن أصولها التي تنحدر إلى العصور القديمة نابعة من الاهتمام بإقامة القواعد الكبيرة التي تحكم التبليغ الإنساني في المجتمع، وقد عرفها دي سوسير بالمادة التي تدرس "حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية".[1]

وعلى الرغم من أننا لا نجد في الوقت الراهن إجماعا حول الموضوع نفسه للمادة، وبدرجة أقل حول منهجها، حسب ما جاء في كتاب "كلينكنبارغ"، فإن هذه الوضعية من وجهة نظره تعود إلى عاملين: يتعلق العامل الأول بخاصية حديثة العهد ومربوطة بالتأسيس للسيميائيات. وتتمثل في سعة الأسئلة التي تطرح بشأن هذه المادة، ومع ذلك، نلقى نواة صلبة للمادة، مشتركة بين كل السيميائيين، حيث يعتبر سوسير السيميولوجيا " العلم العام لكل أنظمة العلامات (أو الرموز) بفضلها يتواصل الناس فيما بينهم". أما بيرس فقد كتب بخصوصها ما يلي: " المنطق، في معناه العام (...) ليس إلا اسما آخر للسيميائية، وهو مذهب شبه ضروري أو شكلي للعلامات."[2]

وهكذا؛ فإن الأبوين المؤسسين يلتقيان في نقطتين مهمتين: الأولى في اتخاذ ما يسميه الواحد سيميولوجيا والآخر السيميائية علما للعلامات، والثانية في تصدير الفكرة القائلة إن هذه العلامات تجري مجرى النظام الشكلي."[3] وحتى إن اختلفا في المنطلقات الإبستيمولوجية والمفاهيم الإجرائية، لكنهما يتفقان- على الأقل- حول فكرة تأسيس سيميائيات لا ينحصر موضوعها في العلامة اللسانية، أو البصرية، أو التصرفات والقيم.. كانت الغاية القصوى من وراء هذا العلم، وهي دراسة أي شيء حامل للدلالة. ولعله لهذا السبب يلاحظ من نتائج البحث ثبوت الصلة الوثيقة بين السيميائيات الأوروبية واللسانيات السوسيرية، في الوقت الذي ينظر إلى مثيلتها الأمريكية بصلتها بالصرح الفلسفي المنطقي.

ولعل ما نستخلصه من هذه المقارنة، هو أن الرجلين يؤمنان بغاية علمية واحدة هي البحث في العلامة، على الرغم من اختلاف وجهة النظر حول المنطلق، المنطقي والفلسفي لدى

---

[1]- **جون ماري كلينكنبارغ،السيميولوجيا أو السيميائية؟ الموضوعات والأهداف**، ترجمة رشيد بن مالك، مجلة بحوث سيميائية، العددان: 3-4، 2007، الجزائر، ص:18

[2] -C.S Peirce, Ecrits sur le signe, trad. G. Deldalle, Paris, éd. Seuil, 1978, P. 120

[3]- **جون ماري كلينكنبارغ،السيميولوجيا أو السيميائية؟ الموضوعات والأهداف**، ترجمة رشيد بن مالك ، ص: 18.

بيرس، ووجهة المنطلق البنيوي اللساني لدى دي سوسير. إذن؛ إن اختلاف المنطلق لم يؤثر، ولم ينف نتائج ما توصل إليه الرجلان حول تشكيل علم العلامات.

أما على مستوى المصطلح، فقد عرفت السيميائيات بعض التداخل، بدءا من مصطلحي: السيميولوجيا والسيميائيات (Sémiologie et Sémiotique)، إذ نشأت في البداية اختلافات بخصوص المصطلحية المستعملة، غير أن كثيرا من الدارسين اليوم يستعملون المصطلحين في آن واحد. والواقع أن المصطلحين مترادفان على مستوى الدلالة المعجمية، فهما يدلان في الأصل على علم في الطب، موضوعه: دراسة العلامات الدالة على المرض.

وهكذا يلاحظ الباحث عبد العالي بشير أن السيميائية تتداخل بالسيميولوجيا تداخلا مريعا في الكتابات الغربية والعربية، ويمثل لذلك بما قدمه ديكرو وتودروف في استخدامهما لهذين المصطلحين بصيغة التخيير (la sémiotique **ou** sémiologie est la science des signes).[1]

واحتفظ القاموس الموسوعي الجديد بالصيغة نفسها، مع تغيير طفيف في التعريف، حيث جاء فيه أن :" السيميائية أو السيميولوجيا هي دراسة العلامات والسيرورات التأويلية".[2]

وقد ظل هذا الترادف يستعمل في بحوث كل من "تودوروف" و "ديكرو"(Todorov et Ducrot)،فبالنسبة لهذين الباحثين: السيميائية هي علم العلامات، وإن كنا قد عثرنا على استخدام هذا المصطلح في وقت مبكر من قبل "جان لوك" في القرن الثامن عشر، لكن الدراسات السيميائية في عصره، ظلت ملتبسة، ومتداخلة في نطاق ما كان يطلق عليه بالنظرية العامة للغة. وكان لا بد من انتظار أعمال الفيلسوف شارل سندر بيرس في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، لتستغل السيميائية كنظام معرفي، وقواعد مستقلة عن أي اختصاص آخر.

يفرق (رولان بارت) بين السيميولوجيا والسيميائية،في كون الأولى علم عام، يستمد أصوله النظرية من اللسانيات، والسيميائية فرع منه. في حين ترى (جوليا كرستيفا) و(بريكل) في كتابه "علم الدلالة" أن السيميائية نظرية عامة في العلامات، وهي بهذا المفهوم، منهج نظري في المعرفة. وقد دعا قبل هؤلاء جميعا دي سوسير في "**محاضراته العامة في اللغة**" إلى اعتبار اللسانيات فرعا من علم العلامات أو السيميولوجيا، وهي الدعوة التي يعارضها (رولان

[1]- عبد العالي بشير، سيميائية أم سيميولوجيا ؟، مجلة بحوث سيميائية، العددان: 7-8، عدد مزدوج خاص بأعمال الملتقى الدولي حول: البحث السيميائي المعاصر-الواقع والآفاق، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، 2011، ص:213.

[2] O. Ducrot, J.M. Schaeffer et autres, Nouveau Dictionnaire Encyclopédique des sciences du langages, édition du seuil, paris,1972.

بارت)،إذ يرى أن العلامية العامة أو السيميولوجيا فرع من اللسانيات. ولم تصبح السيميائيات علما قائما بذاته إلا بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي (*شارل أندرسون بيرس*). وتبعا لرؤيته، هذه، فإن هذا العلم يضم جميع العلوم الإنسانية والطبيعية، ويمكن الاستئناس بالفقرة المشهورة له حول هذا الفهم: "ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في هذا الكون كالرياضيات، الأخلاق، وعلم النفس، علم الاقتصاد إلا على أساس أنه نظام سيميولوجي".[1]

إذن؛ ينبغي أن نقر أن مسألة اختلاف المصطلح وما انجر عنها من اختلاف في الموضوع والمنهج لم يحسم بعد، ذلك أن التمييز بين السيميولوجيا والسيميائية يوحي بغياب الإجماع حول تعريف المادة، ومن ثم يجب أن ندرك "أن السيميولوجيا أو السيميائية لا تملك موضوعا خاصا على نحو ما نلحظ في السوسيولوجيا أو علم النفس، ولكنها تشكل شبكة تحليل خاص لبعض الظواهر. فهي تقترب من هذه الظواهر بطرحها سؤالا يظهر أصالتها: ما هو معناها؟."[2]

بدأت المرحلة الأولى التي مرت بها اللسانيات بالتركيز على دراسة البنى اللغوية، وإبراز العلاقات التركيبية بين عناصر الجملة، دون الاهتمام بالبعد الدلالي الناتج عن تغيير التراكيب، ومن نتائج هذا التركيز، ظهر مفهوم البنيوية كمنهج في البحث تجاوز اللسانيات إلى العلوم الإنسانية الأخرى. وتبدأ السيميائية من وجهة نظر الكثيرين عام 1956 بمقالين لغريماس، وتتكرس كنظرية بنشر مؤلفه: "القاموس الممنطق (Dictionnaire raisonné de la théorie du langage) عام 1979،يمكن الوقوف بالتفصيل على ذلك ضمن المؤلف الجماعي "*مدرسة باريس السيميائية*".[3]

---

[1] -CS Peirce, Ecrits sur le signe, éd. Seuil, p.67

[2]- السيميولوجيا أو السيميائية؟ الموضوعات والأهداف، مرجع سابق، ص: 20-21

[3] -Algiradas Julien GREIMAS et Joseph COURTES, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979

ثانيا: المقولات المعرفية والمنهجية للسيميائيات السردية

إن أي دراسة علمية موضوعية، وبخاصة في مجال العلوم الإنسانية واللغوية المعاصرة، يجب أن تبدأ بتحديد أهدافها، ومجالاتها، ومفاهيم المصطلحات المستخدمة فيها. وفي هذا السياق، سنتعرض في هذا المبحث إلى أهم المقولات المعرفية والمنهجية للسيميائية السردية. ويأتي كتاب " **مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات**"[1] مصدرا لا غنى عنه في تأطير الأسس المعرفية والمنهجية للسيميائية السردية، ولا أعد–هنا– بتلخيص مادة الكتاب، لسبب جوهري، هو أن الكتاب لصغر حجمه، وشدة تركيزه لا يحتمل أي تلخيص. لذا فإنني في هذا العرض، أحاول تتبع الخطوط العامة المتصلة بـ"**المنطلقات المعرفية والمنهجية للسيميائيات السردية**" [2]بشكل يؤدي إلى تكوين صورة مجملة لمادته. أما الكتاب فمتاح لمن يريد أن يلم به تفصيلا.

1- السيميائية ومدرسة باريس:

أصبحت السيميائية مادة منتشرة جدا بعد الملتقى الذي عقد بباريس عام 1973 حول "سيميائية الفضاء"، وقد صرح أثناءها غريماس أن السيميائية أضحت مسألة مودة، وهو لا يستبعد اختفاءها في حدود ثلاث سنوات، غير أن تنبؤه لم يكن صائبا، وما وقع هو انتشار الحديث عن السيميائية بعد ذلك.

أ- عن أي مادة علمية يتعلق الأمر؟

وسمت السيميائية بتحديدات وتعريفات كثيرة منها ما أطلقه أ. إيكو في كتابه: "البنية الغائبة:"السيميائية هي علم العلامات.."[3] ، في حين يعرفها قاموس Le petit Robert "نظرية عامة للعلامات"، وترى مدرسة باريس غير ذلك، كما سنتحدث عن ذلك مطولا لاحقا حيث يعتقد أتباع هذا الاتجاه أن السيميائيات تطمح إلى إنجاز مشروع لنظرية عامة لنظام الدلالة، وبالنسبة لوجهة نظر بعض السيميائين، تكون العلامة موضوعا للملاحظة.

وهكذا يبدو أن الحديث عن العلامة وفهمها ودراستها هو فهم للسيميائيات، وحديث عنها. فكما لا يمكن أن نتصور بنيوية بدون بنية، وأسلوبيات بدون أسلوب، وموضوعاتية بدون

---

[1]- **عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، 2015.**

[2]- المرجع السابق، يراجع في هذا الشأن: الفصل الأول من الكتاب "**المنطلقات المعرفية والمنهجية للسيميائيات السردية**، الفصل الأول، ص:24 وما بعدها.

3-أمبرتو ايكو "المرسلة الشعرية". نص مترجم. مجلة الفكر العربي المعاصر. مركز الإنماء القومي 1982، بيروت لبنان العددان 18 ص: 102.

تيمة، كذلك لا يمكن تصور سيميائيات بدون علامة. لقد اقترن في أذهان كثير من الدارسين بأن العلامة مرادفة للسيميائيات. صحيح أن الاعتراف بمركزية العلامة في السيميائيات جوهري، إلا أن كثيرا من الدارسين اليوم لا يختزلون موضوع السيميايات في العلامة وحدها.

أما بالنسبة لمدرسة باريس، فالسيميائيات قبل كل شيء موضوع منجز، أو مادة منجزة فعلا. وما يلاحظ هو أن هذه الاختيارات، كانت محفوفة بثقل النتائج النظرية والتطبيقية، فالتسمية(السيميائية أو السيميولوجيا) في حاجة إلى توضيح، لأن هناك مدارس سيميائية، كما هو الحال بالنسبة للسانيات، وعلم النفس، والسوسيولوجيا وغيرها. وإذا عدنا إلى ما قاله أ.إيكو في كتابه المذكور سابقا (**البنية الغائبة**) ،وبخاصة في الجزء الأخير منه، نلاحظ أن رؤيته تتعارض مع توجه مدرسة باريس. ولكن هل يمكن توحيد تيارات السيميائية إلى حركة واحدة، أو تصنيف موحد..؟

قد يكون هذا الاختزال غير ذي بال بالنسبة للملاحظ غير المختص، ولكنه موضوع شائك بالنسبة للباحثين في هذا الحقل المعرفي.

ب- المدارس المؤسسة للاتجاهات السيميائية المختلفة:

يحصر الباحث جميل حمداوي من المغرب المدارس السيميائية المؤسسة للسيمائيات في اتجاهين رئيسيين اعتمادا على ما قدمه (مارسيلو داسكال) في مؤلفه: " الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة"، الذي قام بترجمته حميد لحمداني وآخرون:

-"المدرسة الأمريكية المنبثقة عن بيرس والتي يمثلها كل من موريس وكارناب وسيبووك .

- والمدرسة الفرنسية أو بالأحرى الأوربية المنبثقة عن سوسير والتي يمثلها كل من بويسنس وبرييطو وجورج مونان ورولان بارت وغيرهم.

وذكر ذات الباحث بعض الاتجاهات الفرعية الأخرى، يمثلها كل من غريماس وبوشنسكي وجوليا كريستيفا. لكن ما يلاحظ على مارسيلو داسكال **Marcelo Dascal** هو إغفاله لاتجاه أو مدرسة تعد من أهم المدارس السيميولوجية الروسية، وهي مدرسة تارتو التي يمثلها كل من يوري لوتمان وأسبنسكي وبياتغورسكي وإيفانوف."[1]

1- جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، .www.arabicnadwah.com /article/madkhal-hamdaoui.htm

أما الأستاذ محمد السرغيني فهو يرتضي تقسيما ثلاثيا للاتجاهات السيميولوجية تتمثل في الاتجاه الأمريكي والاتجاه الفرنسي والاتجاه الروسي.[1] بل هناك من يقترح تقسيما آخر على النحو الآتي:

المدرسة السيميائية الإيطالية: وجه أريفي الأنظار إليها، واعتبرها حركة علمية ذات أهمية كبرى،دون أن يعطي توضيحات بشأن ذلك.

مدرسة كونستانس الألمانية: وجه الأستاذ "قنير ستاين" بجامعة "بوخام" الأنظار إلى هذه المدرسة، وأصالتها، وهو ينتمي إليها، وقد أشار إلى أن مفهوم النص التداولي ليس من اكتشاف مدرسة باريس كما هو شائع، وإنما الفضل يعود كله لمدرسته: كونستانس الألمانية.

وأخيرا، هل يمكن أن تكون هذه الإشارات كافية للحديث عن ظهور أبحاث سيميائية؟ ثم ما الأثر الذي تركته مفاهيم من قبيل "مدرسة باريس"، و"المدرسة الإيطالية"، وّمدرسة كونستانس" في البحث السيميائي؟

لا نجد ما يمكن أن يجيب عن ذلك في البحوث السيميائية الراهنة، اللهم إلا حديثا مختزلا حول مفهوم "مدرسة"، وكيف يمكن أن يساهم هذا المفهوم في تقسيم عالم البحث. كما أن إلحاق اسم مدرسة من شأنه أن يحيل على اختلاف الرؤى، وتصنيف المعلومات، وهي كما نلاحظ معلومات عامة، لا تصلح للبحث السيميائي وحده، بل يمكن إدراجها في أي حقل معرفي آخر.

ج- تسمية المادة العلمية:

المعمول به منذ عام 1970 هو استعمال مصطلح **Sémiotique**، وقد أدمجت مدرسة باريس ضمن عناوينها، هذه التسمية، كصفة أو اسم يحيل على العناوين الآتية:

1970 –المعنى، محاولة سيميائية

1970 –سيميائية سردية/ سيميائية نصية

1973 –محاولة في السيميائية الشعرية

وإذا أضفنا إلى هذا الكاتالوج المختصر، مجلة منشورة من قبل (مركز تحليل الخطاب الديني)بليون–فرنسا:" السيميائية والإنجيل"، نكون قد أشرنا ولو بطرف خفي إلى تواتر مصطلح "سيميائية" .

---

[1]- محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1. 1987، صص:55-66.

2- السيميائية :الطموح والآليات المنهجية

يبدو أن السيميائيات تجاوزت هذا الفهم المتحجر، فقد أصبح ينظر إليها باعتبارها لعبة التفكيك والتركيب، وتحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا. كما تحولت السيميائيات إلى منهج يبحث عن حيثيات أسباب التعدد، ولا نهائية الخطابات والنصوص والبرامج السردية، وتسعى في الوقت نفسه إلى اكتشاف البنيات العميقة الثابتة، والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمل.

إن السيميائيات لا يهمها ما يقول النص، ولا من قاله؛بل ما يهمها هو:كيف قال النص ما قاله؛أي أن السيميائيات لا يهمها المضمون ولا حياة المبدع بقدر ما يهمها شكل المضمون.

فالسيميائيات، إذن: دراسة شكلانية للمضمون، تمر عبر الشكل لمساءلة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى. ولتحديد منهجية السيميائيات في المجالات التطبيقية في معالجة النصوص السردية، لا بد من مراعاة ثلاثة مبادئ ضرورية، ورد ذكرها كثيرا في أكثر من مرجع ، وهي:[1]

1-التحليل المحايث: تبحث السيميائيات عن الشروط الداخلية المولدة للدلالة، ومن ثم فالتحليل المحايث يتطلب الاستقراء الداخلي للوظائف النصية التي تساهم في توليد الدلالة، ولا يهمها العلاقات الخارجية ولا الحيثيات السوسيو-تاريخية التي أفرزت عمل المبدع. كما أنها تبحث عن تحديد شكل المضمون عبر العلاقات التشاكلية أو التضادية الموجودة بين العناصر داخل العمل الفني نفسه.

2-التحليل البنيوي: تتضمن السيميائية داخلها المنهج البنيوي، القائم على النسقية، والبنية، وشبكة العلاقات، والسانكرونية. فالسيميائية لا تفهم المعنى من خلال الاختلاف، ذلك أن دي سوسير ويامسليف يقران بأن المعنى لا يستخلص إلا عبر الاختلاف، ويبدو أن مفهوم الاختلاف كان سببا من أسباب تطور الدراسات البنيوية واللسانية.

3-تحليل الخطاب: تفترق السيميائية النصية عن لسانية الجملة، لأن الأخيرة تركز على الجمل في تمظهرها البنيوي أو التوزيعي: تريد فهم كيفية توليد الجمل اللامتناهية العدد، وكيفية توزيع الجمل حسب مكوناتها الفعلية، والاسمية والحرفية مع تحديد وظائفها التداولية،

---

[1] جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، مرجع سابق.

في حين أن السيميائية تبدو أكثر شمولية واتساعا من ذلك، تحاول البحث عن كيفية توليد النصوص واختلافها سطحيا واتفاقها عمقيا.

إن علم السيميائية جاء ردا على اللسانيات، ذلك أن انفصاله عنها في مستوى الهدف المنشود تحقيقه، لم يؤُلْ إلى قطيعة منهجية، ولكن أيهما أصل وأيهما فرع؟. .يؤكد دي سوسير أن اللسانيات ليست سوى فرع من علم العلامات العام، مثلها في ذلك مثل سائر وسائل التعبير الأخرى، بينما يتبنى رولان بارت وجهة نظر مخالفة، معتبرا علم العلامات/السيميولوجيا فرعا من اللسانيات، وقد جاء قوله واضحا في السياق الآتي: "الألسنية ليست فرعا متميزا من فروع العلامات العامة، بل العكس هو الصحيح. فما هذا العلم الذي يتخذ من الوحدات الدلالية الكبرى موضوعا لدراسته سوى تابع للألسنية".[1]

يعين بارت في هذا النص الاختلاف بين المادتين في الأسس والغايات: ففيما ترمي اللسانيات إلى عزل الوحدات الدالة الصغرى المميزة انطلاقا من الجملة، تستوي الدراسة السيميائية على صعيد أشمل، استنادا إلى وحدة أكثر اتساعا من الجملة، وهي الخطاب الذي ندركه جملة، وفي كليته، وهو ما يطلق عليه بنفنيست "**المعنى الشامل**".

وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فإن السيميائيات أفادت من اللسانيات القول بأن المعنى شكل، وليس مادة. وهذا المبدأ يناقض الاتجاه التقليدي السائد في فهم الدلالة، والقائم على اعتبارها مادة مستقلة بذاتها، وأن وظيفة اللغة لا تغدو سوى أنها رداء خارجي يكسو الفكرة، ويعكسها بأمانة وشفافية.

وهكذا؛ ينطلق التحليل السيميائي من آخر مرحلة وصل إليها التحليل اللساني على المستوى الأفقي، ليدخل مرحلة تفسير المعطيات وتأويل العلاقات الترابطية بين الدلالات. وقد تمثل عمل التحليل السيميائي بصورة خاصة في محاولة تجاوز البنية اللغوية الداخلية إلى الأنظمة الخاصة، بما فيها المرجعيات الثقافية والدينية وغيرها التي ينتمي إليها الخطاب، والملابسات التأويلية المختلفة. وقد أحصت الدراسات النقدية اتجاهات ثلاثة رئيسية:

---

[1]-رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار قرطبة للنشر بالدار البيضاء ، ط1، 1986.

-اتجاها يرى أن السيميائية هي دراسة الأنظمة الدالة من خلال الظواهر الاجتماعية والثقافية الملابسة للنص من منظور أنها جزء من اللسانيات، وقد مثل هذا الاتجاه رولان بارت، غريماس وكورتيس.

-بينما يرى الاتجاه الثاني أن السيميائية دراسة لأنظمة الاتصال عامة: اللغوية منها وغير اللغوية، ويسعى أتباعه إلى تحديد الأنظمة المختلفة وفق عدد من الإشارات. وقد تبنى هذا الاتجاه جورج مونان وأتباعه.

-ووفق الاتجاه الثالث بين الرمز اللغوي وغير اللغوي باعتبارهما يتكاملان مع اللسانيات، مثل هذا الاتجاه: أمبرتو إيكو الإيطالي، جوليا كرستيفا، ومحمد مفتاح من المغرب.

3- إشكالية السيميائية كمنهج في منظور النقد المعاصر:

تعترف الدراسات النقدية المعاصرة بالنجاحات التي حققها البحث السيميائي في الفكر الأوربي المعاصر في فترة قياسية، نصف قرن تقريبا، حيث تطورت المناقشات بشكل ملحوظ حول هذا المنهج النقدي الجديد، وقد تركزت هذه النقاشات حول الجانب التأسيسي للنظرية، ومن ثم تعمقت لتشمل في وقت لاحق الأعمال التطبيقية التي عرفت رواجا كبيرا امتد عبر المعمورة كلها. غير أن هذا الرواج صحبه تنوع في الأداء، والفهم في بعض الأحيان لنظريات بعينها. وتشكل فيما عرف بعد ذلك بالاتجاهات التي سبقت الإشارة إليها في هذا المبحث بالذات. وتتجسد هذه الإشكالية-بالذات- في صراع المصطلح الذي يقف عائقا في طريق تقدم وتطور العلم.

أما البعد الثاني لهذه الإشكالية فيتعلق بالعلم ككل، والذي لا يزال في بداية طريقه، ومن ثم غموض بعض مفاهيمه. ويعتقد أن (مارسيلو داسكال) كان يرى أن الصورة المعاصرة للسيميائيات لا تزال في طفولتها، وهي لم تتحول إلى سيميولوجيا واحدة متوفرة على تجانس منهجي ومفاهيمي. لذلك، فإن السيميولوجيا لا تزال في مرحلة ما قبل الأنموذج من تطورها كعلم.

وقد أشار "داسكال" إلى تعارض المدارس السيميائية، وحصرها في مستويين:

-المستوى الأول: تعارض في النظريات والمقترحات السيميوطيقية.

-المستوى الثاني: والمتمثل في التصورات التي تحدد مجال السيميولوجيا وما هو داخلي في مجالها، وما هو خارج عنها.[1]

بينما يرى غيره أنه على الرغم مما قدمته أعمال كل من بيرس، دي سوسير، بارت، غريماس، ياكبسون، هيامسليف وغيرهم، فإن السيميائيات تظل مجموعة من الاقتراحات، أكثر منها علما، أو كيانا معرفيا مؤسسا تأسيسا سليما. غير أن رولان بارت وتودوروف يعترفان بأن السيميولوجيا كما هي في حدودها الراهنة، ليست فخا ميتافيزيقيا، وإنما هي علم من بين علوم أخرى، تعد ضرورية، لكنها غير كافية. إلا أن هناك من أنكر السيميائية تماما، ورأى أنها لا تصلح لكل المجتمعات، ومن هؤلاء الناقد الشيلي "روفائيل دال فيلار" ضمن مقال له:" **السيميائية في الشيلي اليوم:تاريخ،قطيعة،وحقل نظري**"،فهو يرى أن حاجة المجتمعات المتقدمة إلى السيميائية جاءت لملء فراغ.. فهي مقابل نقص، لأنها تبرز غير المنظور.. ويعتقد أن حاجة المجتمع الأبيض لهذا العلم كانت بسبب الاختلال الذي يعاني منه، ولذلك فالسيميائية غير ضرورية لمجتمعات أخرى، لا تعاني هذا النقص وهذا الاختلال.

[1]- مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة حميد لحميداني وأخرين، ط1 ، 1987، أفريقيا الشرق، دار البيضاء.ص:13.

I

*- موضوع السيميائيات السردية

إن موضوع السيميائيات السردية علم جديد، حتى وإن كانت مصادره وبعض مصطلحاته الإجرائية متضمنة في أكثر من مصدر سابق لرواد هذا العلم. وضبطا للبدايات يعتقد أن التحليل السردي (Narrativité) وفق المناهج الحديثة بدأ منذ صدور مورفولوجيا الحكاية العجيبة (La morphologie du conte) لفلاديمير بروب، أو بصفة أكثر دقة، منذ عرض هذا الكتاب في فرنسا من قبل كلود ليفي ستروس(1960) ثم كلود بريمون (1964) وغريماس عام (1966).

لقد هيأت اللسانيات والأنثروبولوجيا البنيوية جوا علميا وثقافيا أبرز قيمة هذا الكتاب العلمية وأهميته الإجرائية، على الرغم من أن تاريخ صدوره كان قديما جدا حينها (1928)،وقد تحول هذا الكتاب منذ صدور هذه الدراسات إلى إنجيل كثير من الباحثين في مجال السرديات وتحليل الخطاب الروائي.

ولعل أهميته لا تكمن في النتائج التي توصل إليها حول موضوع الحكاية الخرافية بقدر ما تكمن في الطريقة التي عالج بها بروب قضايا تحليل الحكاية، أي المورفولوجيا ذاتها.

إن التفاعل والانفتاح والمرونة التي تتميزت بها نظرية غريماس؛ بقدر ما تدل على قدرتها على محاورة عناصر معرفية أخرى، واستيعابها وتمثلها، بقدر ما تعبر عن مدّ جسور التحاور مع نظريات عديدة تتقاسم معها موضوعا واحدا للدراسة، فهي تطرح إشكالا يفرض على الدارس التعامل معه بحذر كبير، نظرا لما يحفّ بالنظرية السيميائية من ثراء وتعقد؛ فهي تتميز بصرامة منهجها، ودقته العلمية، كما تتوفر على حشد هائل من المصطلحات يصعب وجود نظير له في نظريات أخرى معاصرة لها، وهو ما يؤكد عمقها ورصانة أدواتها الإجرائية، وقدرتها على التحليل، والنفاذ في عمق المعنى ووصف كثير من آليات توليده.[1]

ولا ينحصر موضوع السيميائيات السردية في وصف التواصل، وتحديد القصديات، وإيجاد أنحاء للغات، ووضع نمذجة للعلامات وتصنيفها، بل يشمل كل هذا ويتعداه، مختزلا

---

[1]- **دايري مسكين، سيميائيات جوزيف كورتيس، أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، إشراف: أ.د. أحمد يوسف، جامعة وهران، السنة:2007-2008، ص:25 (مخطوط).

موضوعاته في قضية المعنى والدلالة.[1] ولتعبيد الطريق نحو فهم موضوع السيميائيات السردية، يستحسن معرفة قضاياه الجوهرية، ومنها المعنى.. **فما المعنى، وكيف يمكن وصفه، وهل يمكن القبض عليه؟** أنتجت هذه الأسئلة جملة من الافتراضات للإجابة عليها، لكنها غير قابلة للإحصاء والحصر، وتوسم بالافتقار إلى التحديد الواضح، والرؤية المنهجية السليمة، ذلك أنها في مجملها كانت وفية للتعريف التقليدي للمعنى على "**أنه جوهر نفسي**"، وهذا يعني أن البحث عن المعنى تابع لعلوم أخرى كاللسانيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.. ولم يتحقق استقلال مبحث الدلالة إلا عندما اتخذ لنفسه رؤية جديدة ومنهجا جديدا.[2]

ويبدو –بعد التحري في هذا الموضوع الذي لم يعن به الدرس اللغوي والدلالي على السواء– أن إشكالية المعنى تطرح على مستويات أكثر عمقا في تخصصات عدة؛ لدى اللسانيين، والمنطقيين، والدلاليين. فوجود المعنى لا يشك فيه أحد، لكن من الصعب الكلام عليه، وللتحقق من ذلك، لا بد من وجود لغة خالية من المعنى على حد قول غريماس.[3] ويبدو أن هيامسليف كان قد سبق غريماس في الإشارة إلى هذا الجانب الحيوي، عندما قال: إن المعنى لا شكل له، ولكنه قابل للتشكّل، أي أننا لا نستطيع التعرف على المعنى إلا من خلال تشكله.[4] ويقر غريماس في ذات السياق أن الكلمات ليس لها معنى، ولا وجود إلا للتقابلات والعلاقات التي تعطي تمظهرات لهذا المعنى، ذلك أن المعنى جوهره حدسي، وغير قابل للتحديد، فلا يمكن تصوره على أنه ذاك الذي تحيل إليه الكلمات. كما يقلل –في موضع آخر–من دور المعاجم في إعطائنا نظرية حول طبيعة المعنى في اللغة، على الرغم من وظيفتها في إبراز ما هو معنى، وما ليس بمعنى.[5]

وهكذا؛ فإن افتراض انتماء المعنى إلى ما هو مشترك بين الألسن، أي تشابهها، افتراض مردود، لأن كل لسان يتخذ شكلا خاصا به، أي: لا يوجد تشكيل كلي متشابه، بل كل ما في الأمر من وجهة نظر هيمسليف وجود مبدأ كلي للتشابه. أما المعنى، فلا شكل له، لذلك

---

[1] - J. Coutes, Introduction à la sémiotique, Op. Cit., P.33.

[2]-دايري مسكين، ، مرجع سابق، ص:27.

[3] -A.J. Greimas, du Sens, 1970, P.08.

[4] - L. Hjelmslev, Prolégomènes à une théorie du langage, Op. Cit,. P.99.

[5] - A.J. Greimas, Du Sens, Op. Cit., P.17.

يبقى عصيا على المعرفة، لأن شرط كل معرفة، هو التحليل، مهما كانت طبيعته، فلا يمكن التعرف على المعنى إلا من خلال التشكيل، الذي بدونه لا يكون له وجود علمي.[1]

لهذا السبب، يقول الباحث جمال بلعربي: "يرى هيلمسلاف أنه يستحيل أن نأخذ المعنى سواء معنى التعبير أو معنى المضمون، أساسا للوصف اللساني. ولهذا ينتهي بنا النحو على النسق الأنطولوجي المضارب(كذا ؟) بالفشل تماما كما يفشل بناء نحو لسان ما على لسان آخر، كأن نبني قواعد نحو اللسان الفرنسي على قواعد اللسان اليوناني أو اللاتيني بحجة أنهما أقرب إلى المنطق أي إلى التفكير الصحيح."[2]

ووفق هذا التصور، يسعى البحث السيميائي إلى استخلاص الأنساق الدلالية التي يتمظهر من خلالها المعنى في الخطابات والنصوص المتعددة. بل وحسب رؤية غريماس:" فإن السيميائيات في سعيها لوصف المعنى لا تستطيع أن تكون سوى آلية من آليات نقل مستوى لغوي إلى آخر؛ أي: نقل لغة في لغة أخرى مختلفة عنها".[3]

وهكذا؛ فإن الإحاطة بالنظريات والمناهج التي تشتغل على تحليل الخطابات صعبة المنال، على الرغم من توفر مرجعياتها في أكثر من لغة، وذلك نظرا للتطور السريع الذي تعرفه هذه البحوث والدراسات في العالم الغربي والعربي على حد سواء.

II

*- الأسس المعرفية والمنهجية للسيميائيات السردية عند غريماس

لا يمكننا الحديث عن النظرية السيميائية السردية عند غريماس واختبار فاعليتها الإجرائية وأدواتها التطبيقية دون تحديد أصولها العلمية والكشف عن خفايا خلفياتها النظرية، وضبط امتداداتها المعرفية في تقاطعها مع حقول معرفية أخرى، لأنه لا يمكن ترسيخ وعي نقدي لنظرية ما، دون الوقوف على السند المعرفي الذي يتيح فهم المسار التاريخي للأسس المعرفية لهذه النظرية.[4]

---

[1]-جمال بلعربي، **قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التاسيسي حول نظرية اللغة،** أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف:أ.د. رشيد بن مالك، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص:161

[2]- المرجع السابق، ص. 161 عن :

Donzé, Roland. La grammaire générale et raisonnée de Port-Royal. Edition francke Berne, 1967. P.173

[3] - Greimas, Du Sens, P. 13

[4]- نظرية المنهج الشكلي، ترجمة: إبراهيم الخطيب، ص: 31.

تطمح النظرية السيميائية السردية عند غريماس إلى صياغة نظرية شاملة يمكن أن تطال تحليل الخطابات والأنشطة الإنسانية كلها، وقد يتماشى ومحاولاتها استقطاب صنوف المعرفة الحديثة جميعِها، واحتضانها ضمن مشروعها المتميز بالشمولية. ويمكن تفسير ذلك على أنه لا يمكن تصور نشوء نظرية من عدم، وأن مسألة القطيعة المعرفية أمر لا وجود له.[1]

لقد استمدت السيميائيات السردية عند غريماس بعض مفاهيمها من اللسانيات والأنثروبولوجيا البنيوية لكلود ليفي ستروس، ومن الشكلانية الروسية (بروب) ونظرية العوامل (تينيير) وفلسفة العمل، والنحو التوليدي، والمنطق وغيرها. غير أن ما يلاحظ هو أن هذا الاستلهام المعرفي المتنوع، وهذا التكامل المنهجي كان خاضعا لأحكام صارمة، تجنبا للسقوط في الخلط والتلفيق.

وما يمكن استخلاصه مما تقدم، هو أن الجذر المعرفي لهذه المعارف والعلوم واحد، وإن اختلفت التجليات بسبب اختلاف الموضوع المدروس، واختلاف اللغات والمرامي من وراء دراسة كل نظرية. ولعل ما أعطى صفة النظرية لسيميائية غريماس هو هذا الإثراء الذي تميز به مشروعه العلمي عبر التلاقح الذي ميزه، وأهله لأن يكون أشمل نظرية لتحليل الخطاب الإنساني. وفي الوقت نفسه لم يتسبب هذا الانضواء تحت معارف متعددة في السقوط في التبعية المطلقة أو الذوبان الكلي في أي من العلوم التي استمد منها بعض مفاهيم نظريته. ومن إحدى نقاط قوة هذه النظرية، قدرتها على امتصاص نتائج كثير من العلوم، واستثمار توجهاتها وغاياتها، مما جعلها تستقل بأدوات إجرائية متماسكة جدا.

وهكذا أضحت السيميائيات السردية عند غريماس منهجا يكتسب هيئة جديدة، لا يشبه المناهج التي استقى منها بعض مفاهيمه، ولم يلزم بها نفسه، أي أن التفاعل مع النظريات الأخرى أكسب السيميائية الغريماسية دينامية وحرية.

وبعد استعراض هذه المعطيات حول بعض المنطلقات المعرفية والمنهجية للسيميائيات السردية، نركز فيما تبقى من هذا المبحث على أهمية نظرية غريماس في مجال التحليل السردي، دون غيره من المجالات النظرية السيميائية الكثيرة، في محاولة للتعرف على إمكانياتها التحليلية ومردوديتها التطبيقية. فعلى الرغم من أن مسيرة غريماس كانت متوجهة

---

[1]- ميشال فوكو، مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية، تر: محمد العمري، مجلة دراسات أدبية ولسانية، الدار البيضاء، ع.2، 1998، ص: 22.

نحو الحكاية الشعبية(النص السردي بصفة عامة) فإن هذه النظرية أضحت تستخدم كأداة لمقارنة ظواهر نصية متنوعة: نصوص قانونية، ظواهر اجتماعية، إشهار ، خطابات سياسية وسواها من الخطابات المتنوعة، والتي لا يمكن إحصاؤها في هذا الباب.

توصل غريماس بعد ذلك إلى اكتشاف بنى سردية في كل مكان تقريبا، حتى في الخطابات العلمية والإيديولوجية، وهكذا تحولت قواعد الرواية إلى خطاب سردي، ثم إلى قواعد سيميائية، ثم تحولت البنى السردية إلى بنى سيميائية. ولعل ما تتميز به فعلا نظرية غريماس السيميائية، هي أنها نظرية يمكن أن تشمل اللغات كلها، وأنساق الدلالات كلها أيضا، نظرا لمرونتها، وقدرتها الفائقة على تحيين الجوانب المكونة للنظرية حسب نوعية النص المعالج.

كل ما قلناه، لا يخفي حقيقة جوهرية يجب تذكرها دائما وهي أن النظرية السيميائية السردية عند غريماس في طموحها اللامحدود إلى الشمولية، والآمال التي فتحتها، وما يمكن أن تفتحها ما زالت في طور الإنجاز والتشكل، بحيث لم تكتمل ملامحها بعد، ولم تزل مجرد اقتراحات. وقد ذهب (مارسيلو داسكال) إلى القول: إن الصورة المعاصرة للسيميائيات ما تزال في طفولتها لكونها لم تتحول بعد إلى سيميولجيا واحدة متوافرة على تجانس منهجي ومفاهيمي، ومن ثمة فإنها لا تزال في مرحلة ما قبل الأنموذج من تطورها كعلم، مشيرا إلى تعارض مدارس سيميائية عديدة، لا من حيث النظريات المتنافرة التي تقترحها كل واحدة، ولكن من حيث تصورها أيضا لما يجب أن يشكل نظرية سيميولوجية منسجمة ومتكاملة.[1]

ويؤكد هذه الرؤية كل من ديكرو وتدوروف في معجمهما، حيث يعتبران أن أعمال بيرس، دي سوسير، جاكبسون، رولان بارت، هيامسليف وغيرهم لا يمكن أن تعبر عن بناء علمي متكامل للسيميائيات، لكون هذه الأعمال تظل عبارة عن مجموعة من الاقتراحات أكثر منها علما. يبقى أن هذه المعلومات وليدة فترة السبعينيات من القرن العشرين، فهل تغير الأمر اليوم بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود أو يزيد..؟

وما نستنتجه من كل ذلك هو أن السيميائيات لم تكتسب بعد أركان العلم، فهي جملة من النظريات التي لا تكوّن صرحا متكاملا من المعارف، وهذا الوضع حسب زعم (ديكرو

وتودوروف) يرجع إلى هيمنة اللسانيات ومناهجها على ميادين خاصة بعلم العلامات.[1] ولعله لهذا السبب بالذات دعا تودوروف إلى فصل السيميائيات عن اللسانيات، واقترح أن تنصهر السيميائيات الأدبية ضمن ظاهرة أشمل وهي الرمزية اللغوية.[2]

وبغض النظر عن هذا الجدل الحاد المثار حول حدود السيميائيات وآفاقها، وصلتها بغيرها من النظريات الأخرى، فإننا نستطيع القول: إن نظرية غريماس ترتكز على شبكة من المفاهيم لها صلة أساسية بأبعاد نظرية تتصل في نهاية المطاف بنظريات أخرى، فهي باختصار سليلة فروع معرفية ثلاثة ترمي منذ مطلع القرن العشرين إلى تأسيس علمي لتحليل الدلالة، وهي: اللسانيات، الأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم المعرفة–الإبستيمولوجيا.[3]

وتأسيسا على ما ذكرنا نستأنس بقول (ج.ك.كوكي) القائل:" إذا كانت السيميائيات قد وجدت نماذجها الشكلية في أعمال دي سوسير أو في أعمال حلقة براغ (النظام الصوتي) أو في أعمال يمسليف (نظرية الكلام) فإن الميثولوجيين والفلكلوريين هم الذين قدموا لها النماذج الدلالية الأولى."[4] ومن خلال وجهة النظر هذه، تكون السيميائيات قد تحددت بوصفها لغة واصفة (Métalangage) في علاقتها بعالم المعنى الذي تعتبره موضوع تحليل. وبالمقارنة مع تحليلات علم النفس، وعلم الاجتماع، تتميز المقاربات السيميائية بكونها تؤمن بالتعدد والتميز، فهي لا تنفي المقاربات الأخرى، وإنما تؤمن بإمكانية وجود مقاربات غيرها للموضوعات نفسها بل وتنشئ معها علاقات تكامل في حالة تلاؤمها معها.[5]

وهكذا فالوردة، مثلا في حالة إهدائها إلى من نحب، تمثل علامة عاطفية. لكن نفس العلامة، يختلف تصورها لدى عالم النبات، وبائع الورد؛ فكل منهما يقدم مستوى تحليليا معينا: جمالي، علمي، اقتصادي..[6] وتكون استراتيجية السيميائي في هذه الحالة البحث عن التعامل مع هذه المستويات دون التفكير قط في نفيها أو إقصائها.

---

[1]- ماري زيادة،السيمياء والأسطورة،ترجمة: بسام بركة،الفكر العربي المعاصر،لبنان-بيروت،ع:38،1986،ص.53.
[2]- سعيد بن كراد، مدخل إلى السيميائيات السردية،ص.15.
[3] -C . L. Strauss, Anthropologie structurale, Ed. Plon, 1973, P.158.
[4]-عبد الحميد بورايو، منطق السرد،صص.15-20.
[5] Coutes, Introduction à la sémiotique, P. 35.
[6]- سيميائيات جوزيف كورتيس، أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، مرجع سابق، ص:29

III

*- مصادر السيميائيـــــات المحايثة عند غريماس

1-لوي هلمسليف: (1895-1965)

يبدو أن هلمسليف لم يستطع الحصول على جميع الإرث السوسيري، ويرجح أن ما توفر له من هذا الإرث هو ما طبع قبل 1939، في حين أن الكتاب الذي نشره عام 1943 'مقدمات في نظرية اللغة' جاء نتيجة تحضير استغرق أكثر من أربع سنوات بالتنسيق مع "أولدال" بين 1939-1943، وما يستخلص من هذا الجهد أن حلقة" **كوبناهغن اللسانية**" اكتشفت بجهودها الخاصة جوانب كثيرة من الطريق الذي سلكه دي سوسير. وعلى الرغم من الإحالات الكثيرة في "المقدمات.." على دي سوسير إلا أن هناك ابتكارات شخصية لم تشر إليها "الدروس.."، ولكنها تشبه شيئا من الصدى للملاحظات المدونة في المخطوطات التي نشرها أنجلز فيما بعد لمعلم جونيف. ولعل ما يمكن تأكيده هاهنا، هو وجود نصوص كثيرة بيّن من خلالها هلمسليف بكل وضوح تصورا نظريا شديد القرب من ذلك الذي أمكن استنباطه من نصوص دي سوسير.[1]

إن ما يمكن تأكيده هو أن مؤلف:" مقدمات في نظرية اللغة"[2] يتضمن إشارات واضحة إلى ما جاء فيه تمهيدا لتمهيدات اللسانيات الجديدة، ويهدف هذا العمل التمهيدي للسانيات إلى بناء نظرية للغة تكشف المقدمات، وتبين المناهج التي بني عليها علم اللسانيات، كما أنها تكشف جانبا من وفاء هلمسليف لملاحظات وافكار دي سوسير؛ فقد أكد على أولوية النظري، ولعل هذا ما قامت عليه نظريته الشخصية للوظيفة، حيث يتجلى مصطلح "الوظيفة" عبر معنى يحتمل منزلة وسطى بين المعنى المنطقي الرياضي، والمعنى الاشتقاقي الذي أدى دورا كبيرا في كل العلوم، بما في ذلك اللسانيات، ذلك أن الوظيفة السيميائية تتحقق بين عنصرين، متى كان هذان العنصران مرتبطين، بحيث لا يمكن تحديد الواحد دون الآخر.

إن الأفكار اللسانية والإبستيمولوجية التي يطرحها كتاب " مقدمات.." أكثر من نظرية حسب تعبير الباحث جمال العربي في أطروحته الموسومة: "قراءة في الأسس الأبستمولوجية

---

[1]- رشيد بن مالك، السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2006، ص: 45.

[2] -Hjelmslev, L, Prolégomènes à une théorie du langage, Paris, les éditions de Minuits, 1968-1971.

لسيميائية هيلمسليف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة"[1]، ذلك أن أسلوب التأليف جعله يحتوي في الآن ذاته على النظرية وعلى الأسس الإبستيمولوجية التي تعقلن تأسيسها وتبرره. غير ان هناك من يعتبر أن كتاب " مقدمات في نظرية اللغة.." لم يقدم نظرية بالمعنى العلمي للمصطلح، وحجته هو أن الأدوات(المفاهيم) واستخدام هذه المفاهيم غير منسجم وحبل البناء العام لهذه النظرية المزعومة الذي يعرف خللا ابتداء من اختيار المفاهيم وضبطها، وكذلك الحال في توظيف المصطلحات التي لا تعرف هي الأخرى انضباطا. ويكفي للتدليل على أن هذا العمل لا يرقى إلى مستوى النظرية، المقال الذي يقترحه (Henrik PREBENSEN) في مجلة (Langages .) والموسوم:" هل الغلوماسية نظرية؟"[2]

وعلى الرغم من ردود الفعل حول هذا المؤلف إلا أن الأمر يتعلق بمشروع سيميائي، ربما يتجاوز مجرد نظرية سيميائية، ذلك أننا "عندما ننظر إلى المشروع في إطاره السيميائي نجده لا يقتصر على النظرة السيميائية للغة أو للسان معين أو نسق من أنساق التعبير، بل هو يقدم نفسه كبناء أول وأساسي لإخراج التفكير السيميائي من حالة الكمون إلى حالة الوضوح..".[3]

والقارئ لهذا المؤلف العلمي المؤسس للنظرية السيميائية يشعر بنوع من الحيرة والقلق في قضايا التعامل مع المصطلح، فعندما يتحدث هيلمسليف مثلا عن السيميائية واللسانيات ونظرية اللغة والمنهج البنيوي في اللسانيات، فإنه لا يتعامل مع اختصاصات علمية متمايزة، بل يضع المؤلف كل ذلك داخل إطار ما يسميه بالغلوسيمية، بل نجد أحيانا تطابقا صريحا بين :لسانيات–سيميائية– غلوسيمية– نظرية اللغة، مترادفات متطابقة تمام التطابق.[4]

وقد يتساءل البعض عن معنى هذا التطابق الذي من شأنه أن يحيل على نوع من التداخل بين المستوى اللساني والمستوى السيميائي، وهذا من شأنه التدليل على أن هذه النظرية لا تبقي ولا تذر.. فالقطيعة تشمل حتى مبادئ دي سوسير الذي يتحدث في "دروسه.." عن وجود مثل هذين المستويين على الأقل. وعلى العموم يمكن القول: إن هذا المشروع استوحى

---

[1] - جمال بلعربي، **قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التاسيسي حول نظرية اللغة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: رشيد بن مالك، جامعة الجزائر 2011-2012

[2] - Henrik PREBENSEN, La glossématique est-elle une théorie ?, In. Langages, n° 6, 1967, PP :12-25

[3]- جمال بالعربي، المرجع السابق، ص:.38

[4]- المرجع السابق، ص:39

منطلقاته الإبستيمولوجية وأدواته الإجرائية من مناخ التفكير العلمي الذي عاصره، وكان هذا المناخ متأثرا بالروح العلمية.

2-السرديات وتأثيرات فلاديمير بروب:

إذا كان المعنى هو النواة التي تشكلت حولها الدراسة السيميائية، فإن السردية تعتبر من أهم الموضوعات التي يهتم بها البحث السيميائي؛ فمن خلال الأشكال الخطابية الممكنة (حكايات، أفلام، مقالات.. الخ..) تسعى السيميائيات إلى تحديد مجموع القواعد التي تسمح بالتعرف على هذا العامل المركزي في حياتنا اليومية، وهو فعل الحكي[1]،والذي نجد حضوره في الأسطورة والخرافة والحكايات الشعبية والملاحم والتراجيديات والدراما والتعبير الجسدي حسب زعم رولان بارت.[2]

وقد مثل هذا المحكي سندا للدراسات المؤسسة للنظرية السردية مع بروب وغريماس، كما يمثل عمل بروب مصدرا رئيسا في تشكيل النظرية السردية، ذلك أن بروب سعى من خلال هذا العمل إلى إرساء منهجية جديدة في تحليل النصوص السردية، انبنت على نتائج الدراسات السابقة التي اقتصرت على تقسيم الحكايات حسب التيمات أو الموضوعات أو حسب الخريطة التاريخية الجغرافية كالتي قدمها (آرن ومدرسته).[3]

لم يركز بروب اهتمامه على القصة المحكية، ولا توزيعها الجغرافي ولا على موضوعاتها أو تيماتها، وإنما ركز على تعريف الحكاية العجيبة كجنس(Genre) في مقابل أشكال أدبية أو شعبية أخرى. حيث اختار 100 حكاية من مجموعة Afanasief المرتبة حسب (آرن وتوبسون) ضمن الحكايات العجيبة. وكان القصد من هذا الكم تعميم النتائج، فإذا كانت الشخصيات والموضوعات في تغيير مستمر من حكاية لأخرى،فإن بروب لاحظ أن الأفعال ثابتة، لا تتغير،كما توصل إلى اكتشاف بنية تركيبية ثابتة: فالحكايات لها شكل تتابع واحد لوظائف مرتبة لا تتعدى 31 وظيفة،بينما يتعذر حصر التيمات والموضوعات.[4] كما لاحظ بروب أن الثابت لا يتجلى في التمظهر الحكائي، وإنما يخص المحتوى، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

---

[1]- دايري مسكينن مرجع سابق، عن:Coutes, Introduction à la sémiotique, P. 35

[2] - R . Barthes, Introduction structurale du récit, Paris, Ed. Seuil, 1977, P.13

[3] -C.Brémond, Logique du récit, Paris, E/ Seuil,1973,P.13

[4]- سيميائيات جوزيف كورتيس، أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، مرجع سابق، ص: 30

*–يعطي الملك صقرا للبطل، يحمله الصقر إلى مملكة أخرى.
*–يعطي الشيخ حصانا لـ:سونسنكر، يحمله الحصان إلى مملكة أخرى.
*–يعطي الساحر مركبا لـ: إيفان، يحمله إلى مملكة أخرى.
*–تعطي الأميرة لإيفان خاتما، يخرج منه أشخاص يحملونه إلى مملكة أخرى.

وهكذا فالأفعال الحكائية في اختزال مقابل الشخصيات المكلفة بتنفيذها، وانطلاقا من: ثابت/متحول تم تصنيف الوظائف البروبية.[1]

3–القاموس المعقلن بجزئيه(1979–1986):

شكل هذا الإنجاز المشترك بين غريماس وكورتيس علامة تحول في المفاهيم السيميائية التي أصبحت اليوم في حاجة إلى تجديد وتحديث، لأن آفاق السيميائية توسعت لتشمل مجالات لم تعرف من قبل. وفي حدود معلوماتي يشتغل الدكتور رشيد بن مالك مع مجموعة بحثية من طلابه حول هذا الموضوع في إطار البحوث التي تنجز على مستوى (مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية) بالجزائر العاصمة.

ويعتبر هذا العمل من أهم مصادر السيميائيات السردية، لما يتضمنه من مفاهيم ومصطلحات أسست لموضوع السيميائيات السردية، وهو على أهميته، يضم مادة دسمة، يصعب التعامل معها لمن هم في تخصصات قريبة من السيميائيات، ولذلك ألفينا كورتيس في مؤلفاته الأخيرة يسعى إلى بسط بعض المفاهيم السيميائية الرئيسة الواردة في القاموس، من أجل توسيع فضاء التلقي.

وفي سياق الحديث عن إسهام جوزيف كورتيس السيميائية المتميزة في المجال النظري، يشير الباحث (دايري مسكين) إلى هذا العمل النظري العظيم (كذا.. !)[2] الذي ساهم فيه كورتيس مع غريماس والمتمثل في القاموس السيميائي الذي بات في أمس الحاجة إلى تجديده ليساير البحث السيميائي. وهكذا يتضح أن المشروع السيميائي في كل مرحلة من مراحل تطوره، قدم مجموعة فرضيات قابلة للتطور والتوسع لتكون ملائمة لتأويل النصوص والخطابات.[3]

[1] - Ibid.PP.12-15.

[2]- إشارة من الباحث إلى أهمية هذا الإنجاز، ص: 51.

[3] -J.Courtes, Analyse sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation, Hachette, Paris, 1991.

IV

*– في المفاهيم الإجرائية للسيميائيات السردية عند غريماس

تسعى البحوث السيميائية إلى التوسع الدائم والتفتح على المباحث العلمية والمناهج التي حظيت مفاهيمها العلمية وإجراءاتها التطبيقية بقبول واعتراف لدى الأوساط العلمية، ومن أدلة ذلك، توسع الإطار المفاهيمي العام للسيميائيات ليشمل اللسانيات السوسيرية واليامسلافية والياكوبسونية ومورفولوجية بروب، وبنيوية ليفي ستروس، والنماذج التطبيقية المختلفة، كالمربع السيميائي، مما يعكس الأفق النظري المفتوح للسيميائيات. كل ذلك، وسواه من الطروحات، يهدف إلى إنشاء نظرية للدلالة، وليس نظرية تواصلية قصدية(فقط)، وإنما نظرية تتكفل بالألسن وباللغات كلها.[1]

يعود الفضل في التوجه نحو الانفتاح في النظرية السيميائية إلى الدعوة التي تضمنها العمل النظري القاعدي لغريماس ومؤلفه **الدلاليات البنيوية** الذي أحدث ظهوره أثرا كبيرا، ونقاشا واسعا لدى اللسانيين، تبناه مجموعة من الباحثين من تخصصات مختلفة. كما كشفت البحوث التالية التي تبنتها مجموعة باحثين ينتمون إلى مدرسة باريس أن القصد من النظرية السيميائية لم يكن الاكتفاء بالبحث عن شروط القبض على إنتاج المعنى، اعتمادا على مبدأ الاختلاف الذي تبناه التقليد السوسيري واليامسلافي، إنما تعداه إلى تجاوز المتن المستهدف في التحليل، حيث لم ينحصر في الخطابات اللفظية، وإنما امتد ليشمل الوقائع والأنساق الدالة التي تنتجها الممارسة الإنسانية، على حد تعبير الباحث "دايري مسكين".[2]

ولعل ذلك تطلب الانفتاح على مقارباتهم اللسانية وغير اللسانية كالعامل والقيمة والموضوع والكفاءة، والأداء والصيغة والتلفظ والأيقونة والبنية وهلم جرا. كما استعان التحليل السيميائي بمفاهيم أخرى مبتدعة، كالتشاكل، المحور الدلالي، البنية الأولية للدلالة وغيرها. وينبغي الإشارة هنا إلى التطور الذي حصل منذ نشأة مدرسة باريس خلال الستينيات من القرن العشرين، وحالها اليوم، حيث لا يزال المشروع السيميائي يعرف حراكا ونموا مستمرين، ويصعب حصر التحولات التي ميزت مساره الحافل بالاكتشافات والإضافات.[3]

---

[1] - A.Hennault, Questions de sémiotique, Paris, PUF, 2002, P.107.

[2]- سيميائيات جوزيف كورتيس أسسها النظرية والتطبيقية، مرجع سابق، ص:49.

[3] -A. Hénault, Histoire de la sémiotique, P. 104.

1- السيمياء والسرد: إن الإحاطة الشاملة بالنظرية السيميائية سواء في أصولها العلمية أم في مفاهيمها الإجرائية ليس بالأمر الهين، ويعود ذلك حسب ما أشرنا- سابقا- إلى "طموح هذه النظرية ونزعتها الشمولية، وتشتت مصادرها المعرفية وتداخلها .ومن المفاهيم المثيرة للجدل عند غريماس مصطلح السرد، لما يلفه من الشمولية حيث تغدو السردية المستوى العميق لكل عملية سيميائية. لقد رأى غريماس أن النص السردي يستمد تماسكه الدلالي من وجود بنية عميقة موظفة كبنية كبرى للنص، وكذا من وجود منطق سردي ينظم العلاقات بين الوحدات السردية، كما تبدو من خلال الخطاب، أي من خلال العلاقة بين القصة والمحكي والخطاب."[1]

كما يشير غريماس في موضع آخر إلى ضرورة التمييز الواضح بين مستويين للتمثيل والتحليل: المستوى الظاهر للسرد حيث تخضع تجلياته المختلفة للضرورات الخاصة بالمواد اللسانية التي يظهر من خلالها، والمستوى الكامن (البنية العميقة).

لقد انصرفت السرديات الفرنسية بصفة عامة إلى الاهتمام بمكونات الخطاب السردي بحثا عن مظاهره وأبنيته، ومستوياته الدلالية، وهي عبر ذلك لا تخرج عن تيارين اثنين يؤطرانه[2]:

-تيار السردية اللسانية

-تيار السردية الدلالية أو السيميائية السردية

يعنى التيار الأول بدراسة الخطاب السردي في مستوياته التركيبية والعلائقية التي تربط الراوي بالمتن الحكائي ، ولاتهمها الحكاية كمصوغ بل المحكي كصيغة للتمثيل اللفظي. يتزعم هذا التيار كل من :جيرار جينيت، تودوروف، رولان بارت.

أما التيار الثاني-السردية الدلالية-فهو يعنى برصد البنى العميقة التي تتحكم بمظاهر الخطاب، وتهدف إلى تحديد قواعد وظائفية السرد كما هو الشأن عند غريماس، بريمن وبروب. وهكذا فالتيار الثاني يهتم-كما هو واضح-بسردية الحكاية، دون الاهتمام بالوسيلة الحاملة لها: رواية، فيلم، رسم. فهو يدرس مضامين سردية بهدف إبراز بنياتها العميقة، دون اعتبار للبعد اللسانياتي، ذلك لأن السرد في المنظور الغريماسي **يتجاوز حدود الأدبية** مما

1- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص: 40.

2- ينظر: المصدر نفسه.

يجعله يتحقق في أي عمل حكائي مهما كانت الأداة التي يتوسل بها في عملية التواصل والحكي.

يركز مسعى هذا الإجراء على النظر إلى السرد كمجموعة من الأحداث المترابطة فيما بينها، ولذلك فهو لا يعنيه مقول النص وقائله بقدر ما يعنيه كيف يقول هذا النص ما يقوله.

إن ما يهم السيميائي حسب هذا التوجه في تعامله مع النصوص هو" الشروط الداخلية للمعنى دون اعتبار لتلك العلاقات التي يقيمها النص مع أي عنصر خارجي عنه، مما يستلزم أن يظل التحليل **محايثا** مقتصرا على فحص الاشتغال النصي لعناصر المعنى دون غيرها، أي أن المعنى يعتبر كأثر وكنتيجة مستخلصة بواسطة لعبة العلاقات بين العناصر الدالة".[1]

انطلاقا مما سبق نستنتج أنه لا يتم –في نظر غريماس على الأقل–استخراج المعنى إلا بالكشف عن شبكة العلاقات القائمة في صلب النص وحصرها، بربط الوحدات السردية وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها أي: أن العلاقة التي تربط جوهر الدلالة بالخطاب الأدبي هي علاقة توليدية، من حيث خضوع المعنى لديمومية النص، أي بنيته المتكاملة المقلقة، والاحتكام إلى عناصره الداخلية فقط، في تحركها وتوزعها ضمن محاور دلالية، يحكم امتلاكها الطاقة الكافية على تغيير الدلالات الأصلية المشحونة فيها. إذن؛ **كيف يمكن الوصول إلى عزل هذه المستويات وتحديدها، ثم كيف يمكن وصفها وضبط قواعدها المنظمة؟!**

لعل الإجابة عن هذا التساؤل تكمن فيما قام به غريماس عندما عمد إلى تقسيم النص إلى مستويين يتفرع كل واحد منهما إلى قسمين (مستويين)هما:

–المستوى السطحي

–المستوى العميق

2–البنية العميقــة:

على الرغم من تنوع وتداخل الأطر المرجعية لنظرية السيميائيات السردية عند غريماس ، إلا أن تصنيف هذه المادة المكثفة، والمتداخلة، بالطريقة التي قدمتها بها الباحثة (قوتال فضيلة) كان مقتضبا جدا، ربما ساعد القارئ على التعرف على بعض القضايا الجوهرية التي تربط

[1]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات، ص: 45.

السيميائيات السردية بكثير من العلوم، كالرياضيات والمنطق والكيمياء، وسواها.. لكن تبقى قضايا أخرى جد أساسية في مشروع غريماس السيميائي مغيبة في هذا البحث المتميز، الذي لا يعدو كونه بداية في البحث الأكاديمي، وقد عرف مسار الباحثة تطورا ملحوظا في هذا المجال البحثي بعد ذلك.[1]

أ-**المكونات المورفولوجية:** تسعى نظرية غريماس إلى تحديد الأشكال المختلفة كحضور المعنى، وكيفيات تمظهره، ومن ثم المرور إلى تأويله حسب العلافة الموجودة بين المستويين: السطحي والعميق. ولما كان موضوع السيميائيات هو المعنى فإن ذلك يتطلب وجود شكل لجوهر هذا المعنى، ولذلك لجأ غريماس إلى إخراج آليات مختلفة تسهل الانتقال بين المستويين وتزيح عنها الصعوبة المحتملة. اعتمد على اللسانيات، والآليات المطبقة فيه، الأمر الذي استلزم الحديث أحيانا عن وحدات دلالية صغرى.[2]

ومن خلال عرض الباحثة (قوتال) نتعرف على مجموعة مفاهيم إجرائية للسيميائيات السردية عند غريماس، نورد بعضها في ما يأتي[3]:

***السيمsème:** اعتبر غريماس "السيم" الوحدة الدلالية الصغرى في كل محتوى، متأثرا بالسيميائيات في تقسيمها للظاهرة اللغوية في مستواها التعبيري انطلاقا من القيم:

مستوى التعبير ← Le Sème ↔ Sémème

مستوى المحتوى ← Le phème ↔ phonème

فالسيم هو واحد من المكونات للسيمام تماما كما هو الحال بالنسبة للفونيم، إذ تتماثل عمليتا التمفصل، فالسيم باعتباره أصغر وحدة دلالية لا يظهر إلا في علاقة مع عنصر آخر

1- قوتال فضيلة، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، دراسة نقدية في نظرية غريماس السردية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في السيميائيات وتحليل الخطاب، إشراف: الدكتور: أحمد يوسف، مخطوط بجامعة وهران، 2003-2004، ص: 01.

2- المرجع السابق، ص: 52.

3- ينظر: المرجع السابق.

مختلف عنه، فهو ذو وظيفة تقوم على الاختلاف، ولذلك لا يمكن إدراك السيم إلا في بنية معينة، ولعل هذا ما يكسبه طبيعة علائقية تجعله لا يظهر إلا في علاقة مع غيره.

مثلا: **ولد** ⟵ **بنت** لهما سيم مشترك على مستوى محور الجيل، وسيما مختلفا على مستوى الجنس.

المحور السيميائي Axe Sémiotique

بنت (الجنس) ولد

***النواة السيمية Le Noyau Sémique**

هناك نوعان من السيمات[1]:

1- **السيم النووي:** وهو النوع الذي يدخل ضمن تشكيل الوحدات التركيبية المعجمية (المستوى السطحي)

2- **السيم التوزيعي:** يظهر في وحدات تركيبية أوسع حيث يربط بين ليكسيمين على الأقل.

السيمات النووية القائمة على انتظام توزيعي:

لاحظ الجملتين الآتيتين: "*رأس الشجرة*"، و"***عليه ديون حتى رأسه***" تتحدد الدلالة هنا كما يأتي: الحد الأقصى+ العلوية+ العمودية.

أما في الجملتين التاليتين:

- " *رأس خط مستقيم* " ⟵ الحد الأقصى+ الأمامية+ الأفقية + الاستمرارية.

-"*رأس القطيع*" ⟵ الحد الأقصى+ الأمامية+ الأفقية+ الانتهاء.. الخ

ما يلاحظ هنا هو أن النواة السيمية (الحد الأقصى) كانت حاضرة ضمن جميع التحليلات التدريجية للسيمات النووية.

---

[1]- ينظر:المرجع السابق،

*الكلاسيم **Classème** :

يختلف مفهوم "كلاسيم" عند غريماس عما هو عند برنار بوتيي (B- Potier) ففي الوقت الذي يعده غريماس نوعا من السيمات السياقية التي تتحق بالخطاب، وتحقق الدلالة داخل الكلام، وهو بذلك لا ينتمي إلى النواة السيمية الثابتة التابعة للمعنى المعجمي للكلمة. والمثال الذي ذكرناه سابقا حول كلمة *"رأس"* يوضح المعاني المختلفة والتغييرات المنبثقة من نواة سيمية واحدة وثابتة. في حين يعده **بواتيي** عبارة عن مجموع السيمات التي تدخل في تكوين السيمم.[1]

*السيمم **Sémème** : يمكن تعريف السيم عبر هذه التركيبة التي يسميها غريماس سيمم[2]

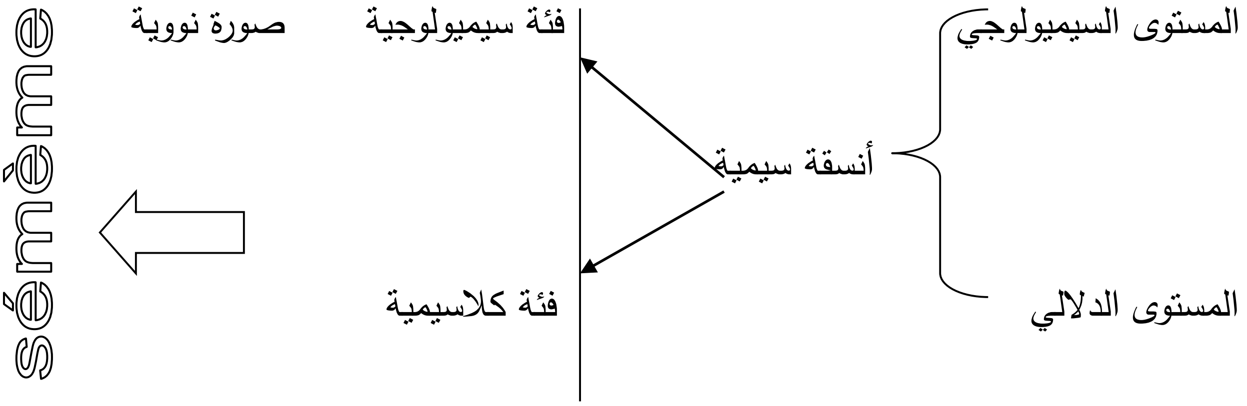

وتشير ذات الباحثة إلى أن هناك فرقا بين مفهوم "برنار بواتيي" ومفهوم غريماس للسيمم، فهو يقابل اللكسيم عند الأول، ويعتبره غريماس فعلا بنيويا أو وحدة من مستوى المحتوى، وهو فرق في المفهوم كبير.

ثار جدل حاد حول هذا التقسيم للمكونات المورفولوجية، ولا سيما حول قضية: هل هي خصائص تميز المرجع ذاته أم أنها أجزاء من المفهوم، أم أجزاء من المحتوى..؟ !

1-فصل غريماس بين المستوى السيميولوجي/والمستوى المحايث، أي أنه انطلق من تقسيم بنيوي للمعنى، والمشكل هو: هل هذه السيمات تابعة حقا للمستوى الذي حصرها فيه ، إذا أخذنا بعين الاعتبار الفصل بين المفاهيم الآتية: المرجع-المفهوم-المحتوى..

1- المرجع السابق، ص:54.

2-المرجع السابق،ص: 55.

2- والمشكل هو أن هذه النظرية تقصي المرجع في التمثيل النظري للعلاقة، ومعروف أن غريماس انتقل من العالم إلى المعنى، حيث فرق بين الواقع -بمعناه الخاص-ومعنى الواقع ومن ثم خصائص الشيء ومكونات السيمم المتمثلة في السيمات. ويبدو أن هذا الفصل يعدّ إجراء منهجيا استدعته دقة علمية غريماس.

3-التشاكل Isotopie:

يتسم هذا المفهوم عند غريماس بالغموض إذ يقدمه باعتباره وظيفة تقديم القراءة الناتجة عن قراءات جزئية للملفوظات من أجل البحث عن قراءة واحدة. ويشير غريماس من خلال مبدأ التشاكل إلى مستوى من المعنى في النص، يتأسس عن طريق ما يتكرر فيه من سمات تسهم في فهمنا للموضوع، وهو ما ينظر إليه اليوم في البحوث العلمية بمبدأ "التماسك "في أي بحث أكاديمي، عندما يقرأ المرء فصلا من فصول الرسالة، يتكون لديه إدراك بما يدور حول نص البحث كله، ومن ثم يربطه بالنقطة المركزية للإحالة وهي الإشكالية.[1]

النتيجة المستخلصة: يمكن تطبيق هذا المبدأ خارج إطار السرد، وبما أنه يوجد نوعان من السيمات: السيمات النووية، والسيمات السياقية، يفترض وجود اتساقين: التشاكل الدلالي، والتشاكل السيميولوجي، ويسمى تشاكلا دلاليا كل تشاكل يتحقق بواسطة السيمات السياقية؛ أي أنه يقوم أساسا على وحدة الكلاسيم الذي يكون مسؤولا (تشاكل دلالي)عن انسجام أجزاء الخطاب، كما أنه يسمح بتوضيح معنى الملفوظ المنتج.[2]

التشاكل السيميولوجي: هو كل تشاكل تحققه السيمات النووية، لأن كل لكسيم يحتوي في الحقيقة على نواة سيمية، مثلا: كلمة كنز: تحتوي على سيمات نووية من بينها: ثمين الذي يمكن أن ينتمي إلى سيمات مشابهة لأنوية صور أخرى .

إن العلاقة بين المستويين الدلالي والسيميولوجي لا ينفصلان عن بعضهما إلا في التقديم النظري لأن عمليهما مندمجان ومتساوقان.

يصرح غريماس وكورتيس في (القاموس المعقلن) بأنهما اقترضا المصطلح Isotopie من مجال الفيزياء-الكيمياء وحولاه إلى مجال التحليل الدلالي، وأضافا إليه معنى خاصا يلائم المجال الجديد الذي أقحم فيه. ففي المجال الكيميائي، يخص هذا المفهوم العناصر

---

[1]- المرجع السابق،ص:65.

[2]- المرجع السابق.

الكميائية المتشابهة ،والتي لا تختلف إلا في ممارستها مع أنويتها ،مما يوضح التقارب النظري بين استثمار المفهوم في مجال الكيمياء واستثماره في الدلالة كلها، حيث الاهتمام بالتماثلات العلامية بين الكلمات المنتمية إلى نسق واحد ،على الرغم من اختلافها في المبنى ، وعلى تباين العمليات الداخلية التي تقدمها كل كلمة على حدة ،مع العلم أن التماثل الكيميائي يخص الماهية، بينما يقصد بالتماثل في مجال اللسانيات أو السيميائيات التماس الذي يجمع كلمات الخطاب ضمن إطار واحد يحققه الاتساق.[1]

ويعتقد أن هذا المفهوم الذي اقترحه غريماس يعود في أصله إلى المشروع الدلالي الذي قدمه بوتيي « B. Potier». [2] أما فيما يخص مصطلح الكلسيم فيعده هذا الأخير جزءا من السيمم يضم مجموع السيميات النوعية sèmes génériques ،حيث يختلف هذا التعريف عما قدمه غريماس لذات المصطلح بوصفه سيما سياقيا.

إن مفهوم بوتيي يقارب منهجيا التقديم النظري لمصطلح التشاكل عند غريماس الذي يعرفه بوصفه "مجموع المقولات الدلالية المكررة، والذي يضمن بوضوح قراءة المحكي المبني على التجزيئات الحركية للملفوظات. ونظرا للقصور الذي شاب هذه المفاهيم فإن فرانسو راستي يرى أن آلية التشاكل لا تقوم على السلسلة النظمية أو الترابطية للكلام وحدها، وإنما ينشئها كذلك المحور الاستبدالي اللاخطي لكل لكسيم، حيث يمكن تعريف التشاكل بوصفه ظاهرة استبدالية paradigmatique."[3]

وعلى العموم، ونظرا للصفة التعقيدية التي صيغ بها هذا المفهوم، فإن التشاكل لا تحده الجملة في مفردها، ولا في ازدواجها ولكن في تسلسلها وتتابعها، بل قد يتجاوز ذلك إلى النص إلا أنه على مستوى الكلام العادي يمكن أن يتحقق التشاكل على مستوى الجملة الواحدة.

ويبقى مشروع غريماس متميزا عما سبقه من بحوث لسانية و سيميائية، لما طرحه من قيم علمية وعملية، اكتسبها نتيجة التحول المنهجي الجديد المتعلق بما فجره من أسئلة تخص التأزم، والرؤية التجاوزية التي فرضها منطق التحول والتطور العام. وعلى الرغم من ذلك، تبقى مسألة التشاكل من المفاهيم المعقدة؛ إلا أن فهمها يسهل فهم الحركية والتحول الذي

---

[1]- المرجع السابق،ص: 66.

[2] - B. Potier, Linguistique générale. Théorie et description, Klincksieck, Paris 1974, P. 30.

[3] -françois Rastier, sémantique interprétative, p.89.

شهده المشروع السيميائي المحايث من (غريماس إلى فونتاني)، والتداخل الحاصل بين المفاهيم ذات العلاقة بلسانيات النص، كالانسجام والاتساق وغيرهما .

4-المربع السيميائي :

من المناسب جدا أن نموضع هذا المفهوم ضمن النظرية السيميائية السردية التي نحن بصدد الحديث عن بعض مفاهيمها الإجرائية، ونحدد المجال الذي يحتله هذا المفهوم ضمن الشبكة البنائية التي يسميها غريماس المسار التوليدي، "حيث يميز بين بنيات سيميا-سردية وبنيات سيميا-خطابية. وبالنسبة لغريماس، فإن المربع السيميائي هو قبل كل شيء بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتم إنتاج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الإبداعية لمواقع متباينة. ويبدو أن المربع السيميائي قابل للتماثل مع التركيب السردي السطحي الذي هو بدوره، بنية انبثاق للدلالة. هاتان اللغتان الوصفيتان متعادلتان لأنهما متشاكلتان ولكنهما ليستا متناظرتين."[1]

وتأسيسا على هذا المنظور، يفهم المربع السيميائي باعتباره تجسيدا شكليا لإجمالي دلالات النص، وحصيلة نهائية للتحليل السيميائي، على أنه تأليف تقابلي لمجموعة من القيم المضمونية . ولذلك ألفينا غريماس يعتبره تمثيلا مرئيا لعملية التمفصل المنطقي لمقولة دلالية ما، لأنه يقوم أساسا على البنية الأولية للدلالة المتمثلة في العلاقة التي تجمع بين كلمتين ضمن مقولة التقابل التي حددها، حيث تمثل الحالة(1) أ/ أ نوع التقابل الذي ينبني أساسا على حضور سمة معينة أو غيابها، وتمثل الحالة(2) أ/ لا أ حضور السمات ذاتها، ولكن بأشكال مختلفة. وتعتبر هاتان العلاقتان الصيغة النمطية المؤسسة للفعل الإنساني.

ومن مجموع العلاقات المستخلصة من العلاقتين 1و 2 تمكن غريماس من أن يقدم تمثيلا ذا شكل مرسوم على النحو الآتي:

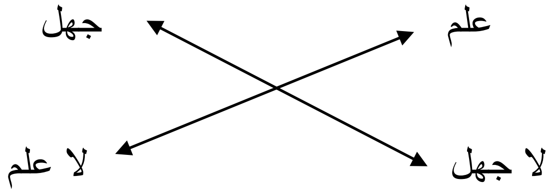

1- دانيال باط، المربع السيميائي والتركيب الدلالي، ترجمة: عبد الحميد بورايو، مجلة بحوث سيميائية، العدد المزدوج:4/3، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي و مركز البخث العلمي والتكنولوجي لتطوير اللغة العربية، الجزائر، 2007، ص: 145.

تتحدد من خلال الشكل ثلاث علاقات مختلفة:

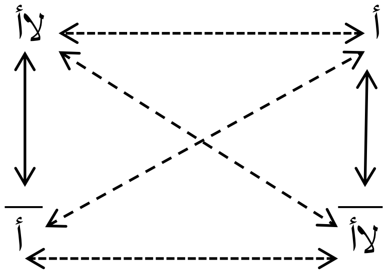

علاقة تناقض

علاقة تضاد

علاقة تداخل

1-تتمثل الأولى أ/لاأ أو جهل/ لا جهل، وهي علاقة تناقض، يكون من المستحيل فيها حضور الكلمتين معا (contradiction) والتي تقوم أساسا على عملية النفي (La négation)، علم/لا علم، جهل/ لا جهل.

2-علاقة تضاد بين علم/جهل، حرام/حلال.

3-علاقة اقتضائية (تضمينية) (Assertion)، وهي العلاقة التي تمثلها جهل/لا علم، علم/لا جهل.[1]

ويشترط في نهاية العلاقة أن تكون الكلمتان منتميتين إلى مقولة دلالية واحدة، تؤسس لمحور دلالي تتكامل فيه الفرضيتان: (جهل/علم)، (لا علم/لا جهل). ويشكل المربع السيميائي الذي اقترحه غريماس أنموذجا مرئيا ممثلا لتمفصل الوحدات الأولية لأي خطاب؛ وبخاصة الخطاب السردي، ويعود ذلك إلى الإسهام المنطقي سواء أكان ذلك في شكله أم في بنائه

[1]- أخذ شكل الترسيمة والتعليق عليها من المرجع السابق: معالم السيميائيات المحايثة وحدودها..، ص:76.

المنطقي الذي يقوم أساسا على علاقات تربط بين أركان هذا المربع(تضاد، تناقض، تداخل)،ذلك أن الموروث الفلسفي الأرسطي يقدم مربعا أشبه بالمربع الغريماسي.[1]

إن المربع السيميائي باعتباره نموذجا شكليا لا تعدو وظيفته استقراء حركية المعنى وتحوله من طور إلى طور، بمعزل عن العالم الخارجي الذي لا تربطه باللغة أية رابطة، أو علاقة انعكاسية وآلية. فهو والحال هذه، يجسد شكل المعنى الذي ينبني عليه النص في جملته، بالإضافة إلى أنه يهيئ بحكم فاعليته وقدرته على ضبط العلاقات المنطقية القائمة بين الوحدات الدلالية الكامنة في عمق النص واكتشاف بنية الدلالة العميقة المؤسسة للنص والمتحكمة في بنيته السطحية. وفي هذا السياق ترى الباحثة (قوتال فضيلة) أن المربع السيميائي يتقدم في النظرية السيميائية كأداة منهجية فعالة في وصف الدورة الدلالية للنص السردي وصفا يستند إلى النتائج المحققة على مستوى التركيبتين السردية والخطابية، ويسهم إسهاما فعالا في تفجير بنية الدلالة، وسبر أغوار عمقها المؤسس للنص السردي، وبذلك يمكن للناقد أو المحلل أن يكتشف نوعية العلاقة بين المستويين: السطحي والعميق.[2]

5-البنية السطحية: La structure de surface

المكون السردي:Composante Narrative

السردية والبرامج السردية La narrativité et le programme narratif

السردية:

أ- المفهوم العام للمصطلح:

يُعرّف الدكتور رشيد بن مالك السردية بقوله:" يطلق مصطلح السردية على تلك الخاصية التي تخص نموذجا من الخطابات، ومن خلالها نميز بين الخطابات السردية والخطابات غير السردية."[3] وقد لاحظ أن إميل بنفنيست استخدم هذا الطرح للتمييز بين الحكاية

---

[1]-يمكن العودة إلى البحث القيم للباحثة قوتال فضيلة، حيث خصصت مبحثا مفصلا للمربع السيميائي ، قدمت فيه شرحا إضافيا للمفهوم، وأصوله الابستيمولوجية، حيث ربطته بالإسهام المنطقي الذي يقوم أساسا على علاقات تربط بين أركان هذا المربع (تضاد-تناقض- تداخل)، ورأت أن هذا التوجه في البحث مرتبط بالموروث الفلسفي الأرسطي الذي قدم مربعا شبيها بما ذكره غريماس، في إشارة منها إلى استثمار غريماس المنطق الأرسطي في بناء إجراءاته التطبيقية في مجال السيميائيات السردية، وتنوع مصادرها، ولا سيما المنطق والرياضيات..(ص:78-79)

[2]- المرجع السابق،ص:80-81.

[3] - رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص(عربي-إنجليزي-فرنسي)،دار الحكمة،2000،ص:121.

التاريخية والخطاب (في معناه الضيق)،معتمداً في ذلك على مقياس مقولة المتكلم؛ حيث يميز استخدام الغائب الحكاية، والمتكلم "الأنا" و"الأنت" الخطاب.[1]

يُدعى خطاب– في مفهوم بنفنيست –كلّ تلفظ يتصور متكلما ومتلقيا، تكون فيه نية الأول التأثير على الثاني بطريقة مّا.[2] أما الحكاية(القصة)،فهي ما جرى فعلا(الطرح الموضوعي التاريخي).فإذا كان الخطاب هو الكيفية التي يقدم بها السارد الأحداث، فإن تحليل الحكاية (القصة) هو تحليل للمضمون، أما تحليل الخطاب فهو تحليل للشكل" كيفية الأداء .."[3]

وقد أظهرت السرديات في مقارباتها المختلفة وجود تنظيمات مجردة وعميقة، تحتوي على معنى ضمني، منظم لإنتاج هذا النموذج من الخطاب. وعملت السردية بالتدرج كقاعدة لتنظيم كل خطاب سردي وغير سردي باعتباره يمثل إمكانيتين: إما أن يكون الخطاب تسلسلا منطقيا بسيطا للجمل وبالتالي فإن المعنى لا يكون إلاّ نتيجة لاطراد يتجاوز إطار اللسانيات أو السيميائية. وإمّا أن يكون الخطاب دالا، وفعلا لغويا واعيا ومحتويا على تنظيمه الخاص.[4]

ويعني السرد فعل الحكي المنتج للمحكي، أو إذا شئنا التعميم، مجموع الوضع الخيالي الذي يندرج فيه، والذي ينتجه السارد والمسرود له. ونقصد بالمحكي النص السردي الذي لا يتكون فقط من الخطاب السردي الذي ينتجه السارد، بل أيضا من الكلام الذي يلفظه "الممثلون"، ويستشهد به السارد. فالمحكي إذن يتكون من تتابع وتناوب خطابَيْ السارد والممثلين. وكما أن المحكي يوفق بين خطاب السارد وخطاب الممثلين فإن القصة أيضا تشمل الأحداث التي تكون موضوع خطاب السارد وكذا الأحداث التي يحكيها خطاب الممثلين، ومن ثمّ فهي تتضمن العالم المسرود والعالم المتمثل به في آن واحد.[5]

المحكيّ= خطاب السارد + خطاب الممثلين.

القصة أو الحكاية= العالم المسرود + العالم المتمثل به.

وتأسيسا على ما قدمنا؛ فليس السرد سوى الانطلاق من بداية نحو نهاية معينة، وما بين البداية والنهاية يتم فعل القص أو الحكي من جانب الراوي.

---

[1] - المرجع السابق، ص:121.

- [2]Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale,T.1, Gallimard, Paris, P.241-242.
- [3]T.Todorov, Les catégories du récit littéraire, In.« Communications » n°8, Du Seuil, Paris, 1966, P.126.

[4] -قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص:122.

- [5]Encyclopédie Encarta 2000, Microsoft, (CD). « Récit –Discours ».

ويتضمن السرد الوقائع والأحداث في تركيبته اللغوية وتخضع هذه الوقائع والأحداث لنظام معين وتحترمه.

والرواية هي سرد للأحداث والشخصيات، وعلاقات معينة تحكمها مجموعة من الروابط السردية، وبالتالي لا يمكن الدخول إلى عالم الرواية إلا انطلاقا من الرموز التي يشكلها السرد، ويشترط في هذه الرموز أن تكون خاضعة لنظام يكشف عن أيديولوجية النص، وكيفية تواصله مع الواقع، فيصبح السرد عبارة عن نظام من التواصل وليس مجرد عرض للأحداث.[1]

ولا يستغني أي مقصوص على مرتكزين أساسيين، هما:

أولا: أحداث القصة أو الرواية، وهو احتواء النص الأدبي على قصة تضم أحداثا معينة.

ثانيا: الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وتدعى هذه الطريقة سردا، لأن كل قصة يمكن أن تحكى بطرق كثيرة، ولذلك يعتمد على السرد في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي.[2]

وإذا كانت الرواية نسيجا متكونا من مضمون –ويقصد به الأحداث–ومن شكل يقدم به هذا المضمون، وهو السرد، فإن "كيزر W.Kayser " لا يرى ميزتها في مادتها، ولكنها تكمن في هذه الخاصية الأساسية المتمثلة في الشكل:(والشكل هنا هو الطريقة التي تقدم بها القصة المحكية في الرواية) بمعنى أن يكون لها بداية ووسط ونهاية.[3]

ولئن كان الحكي بالضرورة قصة فإن هذه القصة تفترض وجود شخص يحكي، وآخر يُحكى له، ولا يتم التواصل إلا بوجود هذين الطرفين، ويدعى الطرف الأول ساردا « Narrateur » والطرف الثاني مسرودا له « Narrataire »،والسرد « Narration » هو الكيفية التي تروى بها أحداث القصة عن طريق قناة يمكن تصورها على الشكل الآتي:

السارد ⟵ القصة ⟵ المسرود له

---

1 - بسام قطوس، شعرية الخطاب وانفتاح النص السردي في رواية إميل حبيبي،مجلة أبحاث،جامعة اليرموك،الأردن،ع/2،1996،ص.200

2 - حميد لحمداني، بنية النص السردي،ص.45

3 - المرجع السابق،ص.46

ب-مفهوم السرد وتحليل الخطاب عند الشكلانيين الروس:

حظيت الأبحاث العلمية المشتغلة بالسرد باهتمام كبير، منذ ظهور الشكلانيين الروس، الذين وضعوا أسسا لثورة منهجية جديدة في دراسة الأدب، واللغة، وذلك في محاولة لجعل الموضوعات الأدبية مادة للنقد الأدبي، هادفين من وراء ذلك إلى خلق علم أدبي مستقل انطلاقا من الخصائص الجوهرية للمادة الأدبية.

ويؤكد "بوريس إيخنباوم"(وهو أحد أقطاب الحركة الشكلانية) أن هدف الشكلانيين كان الوعي النظري والتاريخي بالوقائع التي تخص الفن الأدبي بما هو كذلك.[1] وقد كان لهم أثر كبير في إرساء نظرية أدب تضع العمل الأدبي موضع اهتمامها الرئيس، رافضة المقاربات النفسية والاجتماعية، التي كانت تؤلف جوهر الموروث النقدي من قبل.[2]

ومن أهم مزايا هذه الحركة النقدية، تركيزها على العناصر النصية، دون غيرها من العناصر الأخرى، إن وجدت، وعلى العلاقات المتبادلة بينها، وعلى الوظيفة التي تؤديها هذه العناصر في مجمل النص. كما ساعدت أعمال الشكلانيين على إثراء لغة واصفة لخصوصيات الظاهرة الأدبية، وقد تجلى ذلك في توظيفهم مفاهيم نقدية، يهدفون من خلالها إلى تحليل الخطاب الأدبي.

وقد وصل البحث في تحليل الخطاب السردي إلى ما هو عليه اليوم بفضل الجهود التي بذلها الشكلانيون ومن سار على هديهم، حيث كان التفكير منصبا لا على البحث عن نظام منهجي جديد، ولكن حول اكتشاف علم مستقل مادته الأدب باعتباره ظاهرة نوعية تتضمن أحداثا خاصة ومتميزة.[3]

ولعل ما ميز الشكلانيين ليس الشكلانية(Formalisme) باعتبارها نظرية جمالية، ولا المنهج الذي يعكس نظاما علميا محددا، ولكن الرغبة في استحداث علم للأدب مستقل بذاته، ينبع من الخاصية المتميزة للمادة اللغوية والأدبية.[4]

ومنذ انتشار أعمال الشكلانيين الروس، وشيوع منطلقاتهم الفكرية والمنهجية، بدأت المواجهة والصراع بين النظم والأحكام التقليدية في التفكير، والاتجاه الجديد الداعي إلى الموضوعية في تناول النصوص الأدبية، والعقلانية في تحليلها ومقاربتها، وقبل ذلك كان

[1] - ت.تودوروف، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس،ترجمة: إبراهيم الخطيب ،مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،1982،ص.30
[2] - عبد الله إبراهيم وآخرون ، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي،ص.9
[3] - بوريس إيخنباوم، النظرية الشكلية، في: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس،ص.31-32
- [4]CHKOLOVSKI, L'art comme procédé, In. Théorie de la littérature, Textes des formalistes russes, Op. Cit. P.9

النقد الأدبي ينطلق من مقولة" الفن هو التفكير بواسطة الصور"، والصورة بهذا المفهوم توفر طاقات فكرية ، وانعكاس الإحساس بالجمال ليس إلا واحدا من هذا الاقتصاد وتوفير الطاقة الفكرية.[1]

وهكذا؛ يمثل المعنى محور اهتمام السيميائيين، ويتحكم فيه قانون الاختلاف، بحيث ينتفي المعنى عند ما ينعدم الاختلاف، ولذلك كان التحليل السيميائي للنص –أصلا– هو تعريف، ووصف، ورصد لما في النص من اختلافات تتجلى وتتكشف عن الصيرورة والمتواليات التي تشكل ذاك النص.

إن دلالة القصة تتكشف عبر معاينة الائتلاف الحاصل بين حالتين مختلفتين، لأنه عندما يبحث عن مستوى المكون السردي فإنه يبدو وكأنه عبارة عن تعاقب حالات وتحويلات طرأت، أو هي حالات يقوم بها فاعل، حيث حالة(أ) تتحول إلى حالة (ب)؛مما يعني أن السردية في حقيقتها، هي تتابع حالات وتحويلات مدونة في الخطاب ومسؤولة عن إنتاج المعنى. ولذلك يمكن الحديث عن ظاهرة عامة؛ وهي أن كل نص ينطوي على مكون سردي، يخضع حتما للتحليل السردي، ويستنتج مما سبق أن أول خطوات التحليل السردي تتطلب التمييز بين الحالات والتحويلات، والتمييز بين ما يتعلق منها بالكائن، وبين ما يتعلق بالفعل، حيث تكون الحالة في النظرية السيميائية تستعمل للدلالة على الكينونة (Etre) أو الملكية(Avoir)،كما أن الحالة تؤطر العلاقة الوظيفية التي تربط الفاعل بالموضوع.

أما التحويل فيعبر عنه بالفعل، ويفهم منه ذلك التعالق بين موضوعين أو مواضيع سيميائية متعددة، وهو يؤطر عمليات الوصلات والفصلات التي تربط بين الفاعل وموضوع القيمة(Objet de valeur) ضمن مسار سردي، حيث يبدأ من وضع أولي ثم ينتقل إلى وضع نهائي، وفق التتابع والاختلاف، وهذا ما يكشف عنه الزمن الحكائي القائم على مفهومين: قبل/بعد الذي يظهر الثنائية: الثابت والمتحول.

إن الطبيعة الخاصة التي يتميز بها النص السردي والمتمثلة في الانتقال من حالة إلى أخرى، مرورا بفعل تحويلي يقوم به فاعل معين هي التي مكنت غريماس من وضع تصنيف أولي للملفوظات السردية (Les énoncés narratifs) باعتبارها أصغر الوحدات الخطابية المكونة للنص السردي:

- [1]Ibid. P. 76.

*-ملفوظات الحالة:

**- ملفوظات الفعل:

ملفوظ سردي

ملفوظات الحالة **ملفوظات الفعل**

وللقيام بالتحليل السيميائي يجب أن نتمكن من ضبط تصنيفات ملفوظات الحالة، وملفوظات الفعل، وللقيام بذلك، ينبغي التعرف على مستوى الظاهر (ما يقدم في النص للقراءة والتي تمثله الجمل في تتابعها في النص)، ومستوى المعنى (الذي تمثله ملفوظات الحالة أو الفعل) {Modèle actantiel} من حيث هو نظام خاضع لعلاقات قارة بين العوامل، ومن حيث هو صيرورة قائمة على تحولات متتالية (أي من حيث هو إجراء)، ذلك أن السرد يبنى على التراوح بين الاستقرار والحركة، والثبات والتحول في آن. فمضمون الأفعال يتغير باستمرار، والقائمون بالفعل يتغيرون كذلك، لكن الملفوظ-العرض- Enoncé-spacial يظل ثابتا، ويضمن استمرار توزيع الأدوار مرة واحدة .

8-النموذج العاملي أو النظرية العاملية:

توصف العوامل كونها وحدات تركيبية ذات طابع شكلي، يقوم عليها المحكي لأنه يحتوي غالبا على مجموعة من العوامل المهيمنة، وتمثل حسب غريماس أنموذجا عامليا يحقق انسجام النص في مستوى بنياته الكبرى، انطلاقا من الجملة، وتجاوزا لها إلى الخطاب.

يهدف هذا التنظير(المنمذج) للعالم السردي إلى إنشاء نحو سردي يقوم على وحدات تتمفصل فيما بينها من خلال علاقات تركيبية، استوحاها غريماس من مشروع (تينيير) ليقدم نحوا وظيفيا. والترسيمة المعتمدة في هذا الصدد، هي الآتية:

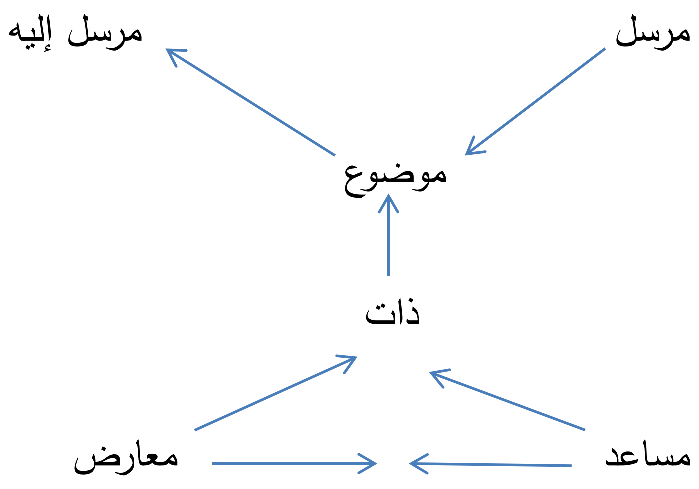

هذه الترسيمة هي الأصل الذي اعتمده غريماس، إلا أن "آن أوبرسفالد" طرحت تساؤلا حول الموضع الدقيق لكل من المساعد والمعارض بالنسبة للذات، والموضوع، حيث تقترح توصيلهما بالموضوع لا بالذات، لأن الصراع يقوم أصلا حول الموضوع، لا الذات. فالذات ليست مستهدفة، ومع ذلك يمكن توجيه السهمين إلى كليهما. وعلى العموم، يقتضي الأنموذج نظريا التحقق من أنه لا ينتمي إلى داخل النص، ولا هو جزء منه، وإنما هو شكل يصف المسارات الداخلية للنص."[1] وهكذا، تمثل النظرية العاملية التي وضع أسسها غريماس" صورة تمثل تحول الشخصيات إلى عوامل تسعى إلى إنجاز الفعل المحين. وفي هذا السياق يحيل مصطلح العامل على المفهوم الخاص بالتركيب، كما أنه يحل محل الشخصية، غير أنه لا يغطي الكائنات الإنسانية، وإنما الحيوانات، والتصورات، وسواها من الأشياء.. فالعامل يمكن أن ينظر إليه كمنجز للفعل، أو مفعول وقع عليه الفعل "[2].اقترح هذا المفهوم (تسنيير Tesniere) وكان يعني به " أن العوامل هي كائنات أو أشياء تشارك في صياغة المشهد، فهي بهذه الرؤية وحدة تركيبية صورية شكلية.[3]

فمن وجهة نظر (تسنيير) يتجاوز معنى العامل رتبة الفاعل إلى توابع الفعل جميعا، وهي الخلفية التي اعتمدها غريماس في فهمه للعامل باعتباره مجموع الشخصيات والأشياء التي تشارك في الفعل.

---

[1]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية، نماذج وتطبيقات،ص:66.
[2]- المرجع السابق.
[3] -Tesniere, éléments de syntaxe structurale, klincksieck, Ed., Paris 1969, P.106

وللتمييز بين الممثل والعامل، يعتبر غريماس العامل وحدة تركيبية للنحو السردي، تدرج ضمن بنيته السطحية، وينقسم إلى مجموع أدوار عاملية على مستوى المسار السردي. أما الممثل فهو وحدة خطابية، يعتبره موضوع استثمار لدور عاملي، ودور موضوعي، ومن ثم فإن العامل والممثل يمثلان فضاء استثمار لتقييم البنى السردية والخطابية بصورة عامة.[1]

6-النموذج العاملي باعتباره نسقا:

ترى الباحثة (قوتال فضيلة) في بحثها الموسوم: "معالم السيميائيات السردية المحايثة.." أن النموذج العاملي يمثل شكلا قانونيا لتنظيم النشاط الإنساني، أو هو النشاط الإنساني المكثف في ترسيمة ثابتة على الرغم من تغير عناصر تمظهرها. يرتكز النموذج العاملي على ثلاثة أزواج من العوامل، هي: الفاعل/الموضوع، المرسل/المرسَل إليه، المساعد/المعارض، وتنهض بين هذه العوامل علاقات. إن بساطة هذا النموذج وفاعليته تكمن حسب غريماس في أنه متمحور كله حول موضوع الرغبة الذي يسعى الفاعل لأجله، ويقع كموضوع للتواصل بين المرسل والمرسل إليه، ورغبة الفاعل من جهته موجهة وفق إسقاطات المساعد والمعارض.[2]

تتحدد الأزواج الثلاثة المكونة للنموذج العاملي من خلال محاور ثلاثة، هي:

1-محور الرغبة: وهو المحور الذي يربط الفاعل بالموضوع.

2-محور الإبلاغ: وهو عنصر الربط بين المرسل والمرسل إليه.

3-محور الصراع: وهو العنصر الذي يجمع بين المساعد والمعارض.

-الفاعل/الموضوع:** تشكل هذه الفئة العاملية العمود الفقري داخل النموذج العاملي، لكونها مصدرا للفعل ونهاية له.

إن تصورا كهذا جعل غريماس يعتبر الملفوظ البسيط علاقة موجهة مولدة لحديْها النهائيين: فاعل/موضوع، مما يعني أن علاقة الحد الأول(الفاعل)لا تتحدد إلا من خلال دخولها في علاقة مع الحد الثاني(الموضوع)،كما أن هذا الأخير لا يمكن أن يدرك إلا من خلال علاقته

[1] -Greimas, Courtes ; Dictionnaire Raisonné, Op. Cit., P.5

[2]- قوتال فضيلة، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، مرجع سابق، يمكن الاطلاع على المزيد في الصفحات:90-100.

بالفاعل، فبدون غاية ما (محتملة أو محينة)لا يمكن الحديث عن ذات فاعلة، كما أنه خارج عنصر الرغبة لا يمكن للموضوع أن يتحدد كعنصر داخل علاقة.

ومما سبق يتضح أن الحديث عن فاعل أو موضوع بمفرده وبمعزل عن العنصر الآخر يعتبر شيئا غير ذي جدوى، بسبب تلك العلاقة التكاملية أو الاستتباعية(Implication)التي تجمع بينهما، فلا وجود /لا معنى لموضوعات في ذاتها أو فواعل لذاتها. وتبرز قيمة العلاقة بين العنصرين عندما يدخل الموضوع دارة اهتمام ورغبة فاعل ما، أو ذات معينة، ليصبح موضوع قيمة. وهذا يعني أنه لا وجود لفاعل، دون وجود موضوع يرتبط به ارتباط تعريف، كما أنه لا وجود لموضوع دون فاعل يعرف به.

تحدد النظرية السيميائية لملفوظ الحالة شكلين اثنين، انطلاقا من نوعية العلاقة التي يقيمها فاعل الحالة بموضوع رغبته:

ف U م ملفوظ حالة فصلي Enoncé d 'état disjonctif

ف ∩ م ملفوظ حالة وصلي Enoncé d' état conjonctif

***-المقطوعة السردية وأطوار البرنامج السردي** La séquence narrative et les phases du P.N

يمكن تقسيم كل برنامج سردي في إطار التحليل السردي إلى وحدات دنيا تشكل مراحل صيرورة الحدث السردي من بدايته إلى نهايته، يسميها غريماس (المسارات) وهي التي تكون ما يسمى في السيميائيات السردية: الترسيمة السردية، وتتمثل في أربع مراحل متعاقبة ومتدرجة منطقيا:

1-التحريك

2-الكفاءة/القدرة

3-الانجاز/الأداء

4- التقييم

ويكفي أن نتعرف على مرحلة من هذه المراحل لنهتدي إلى البقية في البرنامج السردي، لأن بعضها يستدعي البعض الآخر، مما يجعلها بنية عامة ومجردة للسردية.[1]

[1]- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص:78وما بعدها.

التقييم	الإنجاز	الكفاءة	التحريك
مدى تحقيق موضوع الرغبة	فعل الفعل	القدرة على فعل الفعل	الرغبة في الفعل

← البنية التعاقدية →

ثالثا: السيميائيات التداولية /التأويلية:

تعد السيميائيات التداولية أحد أبرز الاتجاهات الحديثة التي " أقيم بناؤها، من بين ما أقيم عليه، على أوليات منطقية رياضية كشأن السيميائيات القديمة والوسيطة وامتداداتها"[1] ،فقد اهتم هذا الضرب من السيميائيات بالتصورات الرياضية، حيث " أوليت الرياضيات بوصفها علما دقيقا مكانة مميزة في صنافة بيرس الذي جعلها على رأس العلوم كما فعل كانط"[2]، لأنه كان يتصورها علما واقعيا ينصرف عن البحث في الماهيات وفي تحديد المقومات، لينشغل بالبحث في أكثر إمكانات احتمالات تشكل الظواهر، فالرياضيات هي " العلم الوحيد الذي لا يهتم بالبحث في تحديد الأحداث الواقعية، بل يحصر شغله في الاحتمالات"[3]، وهذا يعني أنها تختص بالبحث في التشكلات الدلالية المحتملة.

تمثل اللغة أحد أهم العوامل التي يشترك فيها البشر، وذلك ما جعل اللجوء إلى تحليلاتها سبيلا إلى "فصل الأشياء والأحداث، وإبداع تصورات آلية عن الواقع، وعلى الرغم من الوعي القائم باختلاف الواقع عن التصورات المبتدعة، فإن ما سيستنتج بهذه الصورة سيكون ملائما ونافعا، ومن ثم مسوغا بالنسبة إلى الحياة، لأن الشعور بأهمية العمل العقلي والعلمي يبعث على رصد المعنى وتحري مظانه، ويتيح مجاراة الواقع"[4]، لكن مع ذلك يبقى الحرص أمرا لا مناص منه مخافة الانسياق وراء الأوهام المتعلقة بالقيمة الماورائية للغة والعلامات.

يتصور بيرس أن كل شيء في تجاربنا الواقعية يقدم بوصفه علامات تتطلع لأن تتطور، أو لأن تكون حاملة لكم من المعاني، وهذا يقود إلى القول بإن "التفكير بدا في تصور بيرس نشاطا إبداعيا تطوريا للعلامات، حيث تقتضي كل علامة بحثا من قبل الفكر، وهذا البحث

---

[1]- محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، ع03، مجلد 35، يناير-مارس 2007، الكويت، ص.133.

[2]- طائع الحدادي، سيميائيات التأويل. الإنتاج ومنطق الدلائل، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي،2006،ص.13.

[3] -C S Peirce, Le Raisonnement et La Logique des Choses ,tr. Ch .Chauviré-cl .Tiercelin-P. Thibaud ,Paris, éd Du Cerf , 2002, p.162.

[4]- ابن يخلف نفيسة، السيميائيات التداولية قراءة في سيميائيات ش.س.بورس، مذكرة ماجستير، تحت إشراف: الدكتور أحمد يوسف، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2009/2008، ص: 84.

سيختص بمحاولة الإمساك بالمعاني التي تتيحها السيرورة التأويلية للعلامات[1]، لكن سيبقى وضوح الفكرة غير متاح حتى في ظل وجود منطق ينشغل باستكشاف العلاقات إذا ما بقيت السيرورة الدالة تمارس حركيتها دون الاستناد إلى أي معيار، من ثم ما المعيار الذي اقترحه بيرس للحد من التأويلات المفرطة والارتقاء إلى الوضوح"[2].

فجاءت سيميائيات بيرس بمثابة تحويل انعكاسي لفلسفة الإدراك الديكارتية إلى فلسفة للغة، حيث "انطلق من فرضيتن هما " **الإنسان العلامة**" و"**التفكير من خلال العلامات**" ليسوغ اعتقادا فحواه أنّ الفكر يتحدد بفعل العلامات وضمن إطار التجارب المتكررة، وعلى هذا الأساس ترد تجربة التفكير من خلال العلامات بوصفها الشرط الضروري والكافي لكل نشاط فكري"[3].

ينشأ الفكر إذاً وفق سيرورة من العلامات المتفاعلة التي تخضع لقواعد عامة للنشاط، وهذا يعني أنّ" ثمة تأكيد على الخاصية المستمرة للمعرفة ورفض لكل إقرار بأسبقية الفكر على العلامات، فالمعرفة سيرورة مفتوحة لا يمكن أن تحدد إلا في علاقتها مع ما سبقها من المعارف، والفكر نسيج قوامه العلامات ومبدؤه عملي تداولي يتيح تحديد قيمة الصدق تبعا لما يقتضيه الواقع من ضرورات"[4].

فكل قضية في السيميائيات هي" علامة تحيل إلى موضوعها دون عزله عن الواقع، إنها تتفاعل معه وذلك يجعل صدقها مرتهنا بصدق تأويلها"[5]، وقد مثل بيرس على ذلك بالرسم الذي وسم أسفله باسم معين فذكر أنه" يمثل قضية لكن ما إن يراه مؤول معين حتى تنشأ في تصوره فكرة عن الموضوع الآلي الذي يمثله الرسم، وبهذا فإنّ العلامة لا تكون فاعلة إلا إذا

[1] -C S Peirce , Pragmatisme et Pragmatismes, Op. cit, p.38.

[2]- ابن يخلف نفيسة، السيميائيات التداولية،ص: 88.

[3]- المرجع السابق، ص: 89.

[4]- المرجع السابق.

[5]- المرجع السابق.

تم تأويلها وحددت بذلك علامة أخرى للموضوع ومن ثم فإن الأحكام تصدق ما تصدق العلامات الخارجية"[1].

***-الفكر والعلامة:**

ترتكز السيميائيات على أسس نفسية غايتها" إشباع الفكر واختزال الشعور بالنقص الذي يحفزه الشك فيبث في الإنسان نزوعا نحو بذل جهد يتوخى من خلاله تثبيت اعتقاده"[2]، وهذا الجهد ينعته بيرس بالبحث، والغاية منه هي تأسيس اعتقاد أو تبني سلوك يكون على قدر كبير من الملائمة للموضوع وفق " أنسب طريقة لتثبيت الاعتقادات، وهي التشبث أو التحقيق."[3]

وأصر بيرس على القول" بقصور الإنسان عن بلوغ اليقين لأنه كان يؤمن بأن البشر لا يملكون القدرة على تجاوز حدود إمكاناتهم العقلية، وبأن الوعي بالذات لا يمكن أن يؤدي إلى أي حقيقة لأنه لا يرتكز إلا على ذاته، في حين أن التفكير وفق العلامات يجعل الإنسان يواجه حقيقة قصوره عن معرفة ماهيته، ويتقبل أن إمكانيته العقلية محدودة"[4] فالوعي لا يمكن أن يتجرد من استعمال العلامات.

ومن هنا تسلم سيميائيات بيرس بضرورة ربط التفكير بالعلامات، لكن هل يمكن القول بإن السيميائيات منهج جديد للعلوم بمختلف أنواعها؟ ثم هل يمكن أن تتمخض عنها قوانين تصلح لأن تكون مرتكزات للممارسات الدلالية؟ وهل يمكن أن تكون السيميائيات علما يستطيع الإحاطة بجميع مظاهر الوجود؟

تشغل العلامة مركز أبحاث سيميائيات بيرس، حيث تتجلى بوصفها نقطة البدء التي يرتكز عليها تعريف كل عنصر، وتعد بذلك" المبدأ الذي يحكم تفسير مجموعات العناصر سواء

1 - C S Peirce , Pragmatisme et Pragmatismes, Op. cit,p.69.

2- ابن يخلف نفيسة، السيميائيات التداولية،ص: 90.

3C S Peirce , Pragmatisme et Pragmatismes, Op. cit, p.378.

4- ابن يخلف نفيسة، مرجع سابق.

كانت مجردة أو ملموسة"[1]، وهذا يعني أن بيرس ينظر إلى الإنسان في كليته بوصفه حوار علامات، وبما أنه كان يتطلع إلى " إعادة تأسيس المعنى الشامل للمجتمع انطلاقا من العلاقات التي تقوم عليها البنى التي تربط أنساق العلامات في هذا المجتمع"[2]، ارتأى أن يكون موضوع السيميائيات هو" دراسة جميع الأنساق الدالة"[3]، فقد ذكر أنه لم يكن في استطاعته " دراسة أي شيء سواء كان رياضيات، أو أخلاق، أو ميتافيزيقا أو علم أحياء، أو جاذبية (...) إلا بوصفه موضوعا من موضوعات السيميائيات"[4]، وبذلك جعل مشروعه مفتوحا وشاملا.

لقد كان المشروع السيميائي التداولي الذي صاغه بيرس " يكتسي صبغة فلسفية غير إنه لم يكن واضح الحدود، كما أن أدواته الراصدة لم تمكنه من تحقيق الأهداف العلمية التي كان يتوخاها على الرغم من أنها كانت تتسم بقدر كبير من الدقة، ولعل ذلك مرده ارتكاز بحثه على تحليل مقولي للوجود، واختزاله جميع الأنساق الدالة إلى خطاب منطقي، ليغدو المنطق في معناه العام إلا اسما آخر للسيميائيات التي تعد العلم الضروري للعلامات والشبه صوري لها"[5]، فيتعدى بذلك الحدود التي رسمتها له التصورات والحدود ويصير منطقا للمعنى يختص بالعلامات وبتأويلاتها، ويعالج الشروط العامة التي تستند إليها العلامات لتنتظم على شكل قوانين للفكر.

*- العلامة:

لقد اقتضى تحديد المقولات الأساسية للوجود دراسة للمفاهيم العامة التي تتيح الانتقال من الجوهر إلى الوجود، وقد حظي التجريد بالقدر الأوفر من هذه الدراسة لأنه بدا الأساس الذي يكفل انسجام العلامات، كما أنه قام على فكرة فحواها أن" صوغ القضايا أو تعيين كيفيات

---

[1] -Ibid, p.400.

[2] -Ibid,p.419.

[3]- ابن يخلف نفيسة، السيميائيات التداولية،ص:93.

[4] - C S Peirce, Ecrits sur le Signe, tr. Comm. G. Deledalle, Paris éd Du Seuil,1978, p.56.

[5] -Ibid, p.135.

الأشياء ليس بقراءات مرتجلة، بل يتعلق بالانكباب على ممارسة نشاط فكري مفتوح يتمثل في التأويل. على هذا الأساس يتبين أن العلامة لدى بيرس لا تحيل مباشرة إلى موضوعها، بل تمثله بواسطة علامة أخرى مؤولة".[1]

وقد حدد بيرس نظريته ضمن إطار العلاقة الثلاثية، حيث ذكر أن " الإحالة إلى الموضوع لا تتم إلا بوساطة تمثيل هو المؤول الذي يقوم على وجه مجرد مقتطع من الموضوع هو الأساس"[2]، وهذا يعني أن علاقة العلامات تكتفي بذاتها لرصد المعنى، ومن ثم تكون السيرورة السيميائية " علاقة جامعة لثلاثة حدود هي العلامة والموضوع والمؤول"[3]، إذ لا يمكن أن تحيل العلامة إلى موضوعها إلا في حال وجود مؤول يؤولها، وتبعا لذلك يقتضي كل ترتيب دخول العلامات في ثلاثة أنماط من العلاقات [4] يمكن إجمالها على الترتيب فيما يأتي: " الكيفية" وتمثل المرجعية إلى الأساس، و" العلاقة" التي تمثل المرجعية إلى الموضوع، و"التمثيل" الذي يمثل المرجعية إلى المؤول.

وبيرس " لم يهتم بالعلامة ذاتها، وإنما اهتم بنشاط هذه العلامة، إذ انشغل بإنتاج كل أشكال العلامات وتأويلها"[5]، مما يدل على أن سيميائيات بيرس "تختص في وصف صيغ توظيف العلامات، وتفسير نشاطاتها الدلالية المفتوحة التي وسمها بيرس بالسيميوزيس أو الدلالات المفتوحة."[6]

وتدل حركة الدلالات المفتوحة على "أن التفكير ليس إلا استعمالا للعلامات، وهذا ما سيؤكد أننا نتحدث عن علامات من خلال علامات، ونفكر في علامات بوساطة علامات أخرى، وقد يكون من الأنسب لو أننا عبرنا على هذا التصور بطريقة مغايرة لنقول أننا نمثل الفرصة

---

[1]- بن يخلف نفيسة، السيميائيات التداولية، ص:101.

[2] - C S Peirce, Ecrits sur le Signe, p.228.

[3] - G. Granger, Essai D'une Philosophie du Style, Paris, 1968, p.114.

[4] - C S Peirce, On a new List of Categories, op. Cit , sec.11.

[5] - Ibid, p.284.

[6]- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:105.

التي تتاح للعلامات لكي تواصل مساراتها"[1]، حيث إن " العلامة تكتسب تعريفات أثناء الانتقال من مؤول إلى آخر"[2]، وهذا يدفعنا إلى تصور الكون وكأنه كم هائل من العلامات، فيتجلى هدف بيرس من صوغ المقولات الوجودية ويبدو أكثر وضوحا، إذ يمكن القول إن "تحديد بيرس للمقولات يتجلى بوصفه تمييزا للخصائص الأساسية للعلامات، ومن ثم فإن سيميائياته لا تختص بتجديد جوهر العلامة، بل تأخذ على عاتقها وصف النشاط التأويلي المفتوح وتفسيره."[3]

وذكر بيرس أن " العلامة هي أول يرتبط مع ثاني هو موضوعه وفق علاقة ثلاثية أصلية تحدد عنصرا ثالثا هو المؤول"[4]، إن هذه العلاقة الثلاثية تعكس" تفاعل ثلاثة عناصر في سيرورة مفتوحة تتيح توالد المعنى وتناسله، وقد وسمها بيرس ب "**الدلالات المفتوحة**"، وهي ذلك النشاط الذي تمارسه العلامات أثناء عملية التأويل"[5]، فالدلالات المفتوحة هي " سيرورة تقتضي تفاعل الممثل وموضوعه ومؤوله، وهذا التفاعل لا يمكن أن يختزل البتة إلى علاقات زوجية"[6] وبناء عليه يتضح أن هذه العلاقة الثلاثية تقوم على ارتباط الممثل بالموضوع من خلال فعل التوسط الإلزامي الذي يقوم به المؤول، ولإدراك هذا التفاعل الذي يحدثه المؤول لابد من تحديد عناصر العلامة.

تعد العلامة في تصور بيرس وحدة ثلاثية المبنى غير قابلة للاختزال في عنصرين، حيث إنها " تشكل علاقة ثلاثية تتضمن ثلاثة أبعاد هي بعد الممثل وبعد الموضوع وبعد المؤول، وهذا الأخير يشكل العنصر الفاعل في العلاقة كونه المسؤول عن إقامة العلاقة السيميائية بين الممثل والموضوع"[7].

---

[1]- المرجع السابق، ص:106.
[2]- قوتال فضيلة، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها،ص .55.
[3]- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:107.
[4] - C S Peirce, Ecrits sur le Signe, op, cit , p.274.
[5]- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:111.
[6] - C S Peirce, Ecrits sur le Signe, p.482.
[7] - Ibid , p.484.

يتبين مما سبق، أن العلامة تمثل "مجموعة من العلاقات التي تجمع دوما بين ثلاثة أطراف، يمثل المؤول مركزها التداولي، لأنه يحيل إلى الموضوع وفق قاعدة معينة أو بالارتكاز إلى أساس معين يمثل القانون أو المحك الجماعي"[1]، وهذا يعني أن الإمساك بالمعنى لا يتاح إلا في حدود الخضوع لسلطة القانون.

***- التداوليات وسيرورة التأويل:**

يعد المؤول العنصر الأساس في حركية الدلالات المفتوحة، إذ لا يمكن الحديث عن العلامة بمعزل عن المؤول، لكن إذا كان المؤول هو العنصر الوسيط في السيرورة الدالة فهل هذا يعني أن التأويل يستند إلى معارف سابقة؟

يعرّف بيرس المؤول بوصفه " الفكرة التي تنشئها العلامة في فكر الشارح"[2]، وقد يلتبس الأمر على القارئ، فيعتقد لأول وهلة أن "المؤول بهذا المعنى هو تمديد لتعريف الحد أو ترجمة للعلامة، إلا أن المؤول في تصور بيرس يتعلق بكونه أداة تفسيرية، لأنه يختص بسيرورات تتسم بدرجة عالية من الدقة تنسجها حركية الدلالات المفتوحة"[3]، وقد كان بيرس على وعي بما قد يثيره المؤول من غموض، فحاول جاهدا تفسير دوره من خلالا تصنيفه إلى ثلاثة أنواع، كان أولها " المؤول المباشر الذي يعين المعنى المباشر أو الظاهر للعلامة، أما المؤول الثاني، فهو المؤول الدينامي أو الحركي"[4] الذي يسهم استحضاره في توليد الدلالات ضمن سيرورة تأويلية لا يمكن إيقافها، ليلج التأويل دائرة اللامتناهي، لكن بيرس كان يعي أن "التأويل اللانهائي يجب أن ينتهي، ومبدأ اختزال المتعدد يبين وجهة النظر هذه، حيث إن

[1]- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:112.

[2] - C S Peirce, Ecrits sur le Signe, p.338.

[3]- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:113.

[4] - Ibid, p.473.

هذا الاختزال يشير لا ريب إلى وضع حدود للتأويل."[1] ليأتي المؤول الثالث" المؤول المنطقي وهو تأكيد على ضرورة الكبح الجزئي للمعنى".[2]

لقد اعتمد بيرس ثلاثة معايير لتصنيف السيرورات الدالة، فصنف العلامات تبعا لعلاقاتها بذاتها، ثم في علاقاتها بموضوعاتها، لينتهي إلى صوغ معيار علاقة العلامات بمؤولاتها.

***- الدلالات المفتوحة وإنتاج المعنى:**

تقوم سيميائيات بيرس على مبدأ الحركية في التأويل الذي يعكسه مفهوم الدلالات المفتوحة، ففي" سيرورة الدلالات تلك يتجلى عنصر أساسي يؤدي دور المحرك أو بمعنى آخر يكون بمثابة تخصيب للعملية الدلالية، لأن المؤول يتيح انتقال العلامات من سيرورة إلى أخرى وهذا يعني أن الحديث عن بناء نصي في غياب سيرورة الدلالات المفتوحة يبقى أمرا مستحيلا."[3]

يثير التساؤل حول المعنى تساؤلا عن الإنتاج لأن المعنى لا يوجد خارج الإنتاج ولا يمكن أن يستقل عنه ولعل ذلك ما جعل الاهتمام بالنص بوصفه إنتاجا موضوعا تناولته عدة أبحاث بالدراسة ولعل أهم هذه الأبحاث[4] تلك التي نشر أصحابها مقالاتهم في مجلة" Tel ,Quel ".

صاغت " كريستيفا" Kristéva أعمالها محاولة تحرير الدوال، فاقترحت تحليلا وسمته بالتحليل الدلالي sémanalyse وفي صلب هذا التحليل الذي كان بمثابة انعكاس حول الدال قدمت كريستيفا مفهوم الإنتاجية [5] الذي يعكس الدور الحيوي للتدليل بوصفه انفتاحا.

في الاتجاه ذاته تعامل "بارت" R .Barthes مع النص الأدبي بوصفه إنتاجا يصدر عن القارئ حيث رأى أن " رهان العمل الأدبي هو جعل القارئ منتجا للنص"[6]، فالنص في

1- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق.

2- المرجع السابق.

3- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق،ص:125.

4- في إشارة إلى بارت، كريستيفا، وديريدا.

5 - J. Kristéva, Sémiotiké, Recherches pour une sémanalyse, Paris, éd Du Seuil, 1969,p.52.

6 - R. Barthes , S/Z , Paris, éd Du Seuil, 1970, p.10-11.

تصوره دائم الحضور، إنه "مجموعة من الدوال وهو قابل للإخراج لكنه إن أخرج سيعكس الأنا أثناء الكتابة أو بمعنى آخر سيعكس النص إذا أخرج الكاتب في زمن الكتابة، والمثير في هذا النص أنه ارتكاسي حيث يمكن ولوجه من عدة منافذ لكن لا يمكن الإقرار بأن أحد من هذه المنافذ هو الأساس، أما السنن الذي يحركه فغير محدود على الرغم من أنه يحكم عليه قبضته وهذا يعني أن ارتكاس النص أو انعكاسه ولا محدودية السنن الذي يختص به يؤمنان انفتاح النص على غرار ما تقدمه الدلالات المفتوحة"[1]، لكن هذا لا يعني أن بارت ينتصر لتعدد المعاني، بل إنه على العكس يدعو للقراءة المحايثة.

يقوم عمل الدلالات المفتوحة على التحليل الأدبي أيضا، وقد يرتكز في علاقته بالأعمال الأدبية على صيغة المعنى في علاقاتها بالشعرية، وتجدر الإشارة إلى أن "هذه الشعرية ليست وظيفتها تقديم تأويل وحيد ونهائي للأعمال، وإنما تكمن أهميتها في تأسيس الأدوات التي تتيح تحليل هذه الأعمال، فموضوعها ليس مجموع الأعمال الأدبية الموجودة وإنما هو الخطاب الأدبي بوصفه مبدئا لتوليد عدد لا متناه من النصوص"[2]، فمثلما " يمثل اللسان موضوع اللسانيات، يمثل الخطاب موضوع الشعرية، وكلاهما يتدرجان ضمن السيميائيات التي تعد مجموع الأنساق الدالة"[3].

يعد مبدأ التوليد "غاية الدلالات المفتوحة كما حددها بيرس"[4]، وهذا لا ينفي وجود علاقات بين هذا المبدأ وبين الحجج التي ساقها في حديثه عن "السيرورة الإنتاجية للعلامة"[5]، وهو ما كانت كريستيفا تحيل إليه ولو ضمنيا حينما اقترحت التفكير حول الدال الذي ينتج على شاكلة نص، واستثمار اللسان بوصفه إنتاجا للدلالة وتحولا له، لكن ثمة أبحاث أخرى اعتمدت مفهوم الدلالات المفتوحة في محاولة تفسيرها للتأويل.

1- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:126.

2- المرجع السابق، ص:127.

3 -O.Ducrot et T. Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Paris, éd Du Seuil, 1972, p.106.

4- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق.

5 - Ibid , p.107.

*-التأويل والاستعمال:

يعود الاهتمام المتزايد بقضايا التأويل، ومشكلاته المختلفة إلى الأهمية التي يمثلها في تحديد علاقتنا بالنصوص، وإذا كان عند الكثير من الباحثين "هو تأطير الظاهرة التأويلية، ومحاصرتها في جوانبها المختلفة، على مستوى التنظير والاشتغال، فإن الملفت للنظر هو عدم الاطمئنان إلى كثير من الطروحات والاجتهادات التي تمت في هذا الصدد، غربية وعربية."[1]

من هذه المنطلقات، يظل سؤال التأويل مشروعا مفتوحا، ممتدا لا ينتهي، ذلك أن المعنى الذي هو نتاج كل تأويل ليس حقيقة ثابتة ومطلقة، كما أن تصوراتنا حولها غير متساوية، إن لم تكن متناقضة أحيانا تمام التناقض.[2]

فالتأويل إذن، فعل قرائي يسعى لبناء المعنى، اعتمادا على أدوات وإجراءات، ومرجعيات سيميائية وبلاغية ودلالية، كما أنها خلاصة تجارب باحثين ومفكرين طمحوا إلى تأطير الفهم وبلوغ الدلالة. وفي هذا السياق يرى الباحث المغربي محمد بازي "أن التأويلية التي ارتضاها النسق التأويلي العربي الإسلامي مُؤسّسة على بلاغتي الارتداد الفعال نحو المرجع المؤطر: الديني، والعقدي، واللغوي، والنحوي، والبلاغي، والتاريخي، والاجتماعي. وبلاغة الامتداد في اتجاه استقصاء المعنى وتكوينه، وما يرتبط بذلك من اجتهادات وفروض وتخمينات، فيما لم ترد فيه نقول."[3]

بهذه المعطيات الأولية حول الاجتهادات التأويلية الحديثة، تسعى الدراسة في هذا المبحث نحو تعميق البحث حول سؤال المعنى، والتأويلية بهدف توسيع الرؤية حول مسالة

---

[1]-محمد بازي، التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، بيرو والجزائر، 2010، ص:51

[2]- المرجع السابق، ص: 14

[3]- المرجع السابق، ص: 21

انفتاح النص ومستوياته، وذلك بعرض الرؤية الغربية حول بلاغة التأويل وعلاقتها بالسيميائية التداولية التي تمثل الاتجاه الثاني في الرؤية البحثية لهذا الفصل.

يرتكز الجدل المعاصر حول التأويل على البحث عن "المعايير التي تتيح التمييز بين التأويلات المناسبة للنص والتأويلات غير المناسبة له "[1]وفي هذا الإطار تقع أعمال إيكو الذي يمثل الأثر المفتوح في نظره" حقلا من الاحتمالات التأويلية (...) كونه سلسلة من القراءات المتجددة(...) يتم تشكيلها بوصفها مجموعة من العناصر التي تقبل مختلف العلاقات المتبادلة"[2]، فيما يتمثل الموضوع المركزي لبحثه حول التأويل والمتمثل في العلاقات المتبادلة بين الشكل وسيرورته التأويلية، فالأثر المفتوح لا يهدف إلى فرض تأويل محتوم على المؤول بل يميل إلى جعله مركز شبكة هائلة من العلاقات يتم انتقاؤها بمعزل عن أي قيد أو تحديد[3].

يميل أصحاب هذا الاتجاه التداولي إلى إبدال مفهوم التأويل بالاستعمال، مما يعني أن تأويل النصوص غير موجود، وما يعتقد أنه تأويل ليس إلا استعمالا تحكمه المقاصد والغايات، وتبعا لذلك ستكون كل القراءات سيئة أو تكون كلها جيدة، فالتأويل لا يمكن أن يكون معيارا لهذه القراءات، بل إن الاستعمال هو المعيار الوحيد الذي تعرف تبعا له جودة القراءة أو رتابتها.

في ظل هذا التصور، يرى "رورتي" R.Rorty أن "التأويل هو استعمال للنص بكيفية معينة ووفق مجموعة معينة من الأهداف والغايات، وبذلك فالبحث عن كيفية اشتغال النصوص أمر لا طائل منه، لأن وصف كيفية اشتغال نص معين لا يعني الإمساك بجوهرها بل يعني خلافا لذلك وصفا لاشتغال هذا النص زمن استعماله"[4]، وهذا يعني نفي وجود أي معرفة تتيح العثور على طبيعة النصوص أو على طبيعة القراءة لأن هذه الأخيرة ليست لها طبيعة،

---

[1]- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:129.

[2] - U. Eco, L'œuvre ouvert, tr ,C .Roux ,De Bézieux et A. Boucourchiliev, Paris, éd. Du. Seuil, 1965 ,p.117.

[3]- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق.

[4]- المرجع السابق.

وبناء عليه فإن "معرفة آليات اعتمال النصوص تبقى ناقصة أو بمعنى آخر يمكن القول إن "معرفة كيفية توظيف النصوص واشتغالها أمر مستبعد إن لم يكن مستحيلا ، لأن قراءة هذه النصوص ليست إلا استعمالات لها، فالقراءة إذا قراءات لأنها في الواقع استعمالات، وهذا يعني أن تغير المعنى يخضع لتغير استعمال القارئ للنص."[1]

رفض "إيكو" وجهة النظر هذه وحاول من خلال نقده لدعوى" رورتي" التمييز بين التأويل والاستعمال، مؤكدا أن "تأويل النص يعني الخضوع إلى وحدته العضوية وإلى انسجامه وقصده العميق."[2] وهكذا؛ فإذا كان الاعتراف بحق النص في الغنج والتمنع يتيح ارتباطه بغايات تقع خارج سيرورة الدلالات المفتوحة، فإن "هذه الغايات ستكون بمثابة معيار للتأويل، ولن تكون معيارا لنفيه وتجاهله، لأنها ستقود إلى قبول بعض التأويلات، ورفض أخرى"[3]، فالنص" لا يؤول وفقا لقصدية المؤلف، بل يؤول تبعا لاستراتيجية تفاعلات معقدة، تستدعي القراء وكفاياتهم اللغوية بوصفها ميراثا اجتماعيا"[4].

فالتعامل مع النص دون مساءلة مظانه لجعله يتلاءم مع الغايات والقصديات، ليس إلا قهرا للنص وتعاملا تعسفيا إزاءه. لذلك وصف (إيكو) مستعمل النص كما يتصوره (رورتي) **بالقارئ السيء**[5]، لأنه يهمل طبيعة النص الذي هو بصدد قراءته ليهتم باستعماله متجاهلا احتواء هذا النص على آليات منظمة توجه قراءاته المحتملة.

وفي ذات السياق، يذكر **(دريدا)** أن العلامة من حقها أن تحدد قراءتها ، حتى لو ضاع زمن إنتاجها إلى الأبد، أو كان قصد مؤلفها مجهولا حين كتابتها، أو حتى إذا تاهت في انزلاقها الضروري[6]. وهذا يعني أن" فعل التأويل يبقى فعلا حرا لا يخضع لأي ضوابط أو حدود، حتى وإن تم التخلص من لحظة إنتاج العلامة. والمعنى النهائي لا أمل في العثور عليه،

---

[1]- المرجع السابق، ص:130.
[2]- المرجع السابق، ص:131.
[3]- المرجع السابق.
[4] -R. Rorty, Le parcours du pragmatisme, in U.Eco et al ,ibid,p.85.
[5] - Ibid, p.38.
[6] - J. Derrida , De la grammatologie, OP. cit, p.16.

لأنه مهاجر باستمرار."[1] أما التأويلات الممكنة فستكون إما في مجملها مناسبة للنص أو في مجملها غير مناسبة له. على هذا الأساس يكون النص خاليا من المعنى لأنه لا يستطيع توكيد معنى معينا، دون أن يثير في الوقت ذاته معاني أخرى تختلف على الأقل عن المعنى الأول اختلافا جذريا إن لم تكن تنفيه.

لقد حاول إيكو توضيح فكرة فحواها، أن "انفتاح التأويل لا يعني ارتقاءه عن الضوابط والمعايير التي تؤمن من التأويلات المناسبة للنصوص، مما يدل على نتيجة تتمثل في أن العثور على معايير تحتكم إليها التأويلات باتت ضرورة ملحة"[2]، وتلك وجهة نظر بيرس الذي أكد على " وجوب حياة الفكر وتطوره بفعل التأويل المفتوح"[3]، ونبه في الوقت ذاته إلى أن "الفكر سيضيع المسائل العامة وسيبدو عائما في فراغ لا حد له"[4]، لأن التأويل اللامتناهي يقود حتما إلى الإبهام والغموض.

***-النص وسيميائيات القراءة:**

ظل مفهوم النص ومنذ مدّة غير بعيدة محّل نقاش واختلاف في الحدود والمعالم وتاليا عناصره ووظائفه، ومع ظهور موجة النقد الجديد، ازداد أوار النقاش حول النص داخل الطرح النسقي نفسه. وذلك انطلاقا من الحيّز اللساني وصولا إلى المتصوّرات السيميائية النقدية المعاصرة. علما أن السيميائيات النصيّة لم تبق في مقاربتها وراء تلك التحديدات اللغوية المباشرة للنص في حدوده اللسانية، وبناء على ذلك فقد أدركت" السيميائيات ذلك الانفلات المفاهيمي للنص ممّا أفضى إلى صعوبة في القبض على ماهيّته، ولا سيما عندما

1- بن يخلف نفيسة، مرجع سابق، ص:131.
2- المرجع السابق، ص:133.

3 - C S Peirce, Ecrits sur le Signe, op, cit , p.594.
4 - Ibid , p.594.

ينتقل مفهومه من اتجاه لآخر أو من منهج لآخر، ليصبح هو الآخر محلّ معاينة فكرية وحقلا مستقلا لإنتاج المعرفة".[1]

فالدراسات النسقية للنص راهنت على صورنته وغلقه، جاعلة من سلطته مطلبا شرعيا انتصرت له اللسانيات البنيوية والصورية بخاصّة، إذ "أضحى النص – من منظورها- معطى أوّليا وجهازا مغلقا لا يأتيه النقص أو الضعف من بين يديه ولا من خلفه. ولكن سرعان ما بدت تراود هذا الرّهان بعض الشكوك وتطرأ عليه بعض استراتيجيات التغيير"[2]. وفي حدود هذه الشكوك والتغيرات التي بدت تلوح بوادرها عند كل من " جوليا كريستيفا" في مشروعها النقدي (السيماناليز) و " أمبيرتو إيكو" في مؤلفه (الأثر المفتوح). إذ لم يعد التعامل مع النص الأدبي بوصفه نسقا قارا يحتكم إلى معايير البنية والاتّساق والانسجام. ومن هذه النقطة بدأ الصراع النقدي يشقّ طريقه داخل أدبيات النسق، وبخاصّة داخل مجال " القراءة" وإلى مسألة " إعادة إنتاج المعنى" التي أضحت هي الأخرى تشكّل معضلة ابستمولوجية جوهرية، خصوصا وأنّ "المعنى ليس معطى جاهزا ومباشرا، كما تزعم بعض النظريات النقدية، مما أفضى إلى انجباس إشكالية أخرى، وإن كانت لا زالت عصيّة على الدّرس النقدي والفلسفي على حدّ سواء، وهي مسألة " المقصدية"، إذ تضاربت الآراء والنظريات إلى حدّ التشعب والتعقيد حول " المعنى" "[3]. فبعض النظريات أرجعت المعنى إلى مقصدية مؤلّفه بوصفه منتجا له، وبعضها الآخر سلّم بمقصدية النص، أي أنّ النص يمتلك معنى في ذاته، وهناك من رجّح المعنى إلى مقصدية القارئ، كما هو الشأن لدى " امبرتو إيكو" بوصفه قوام إستراتيجية تأويلية، أو مثل ما ذهبت إليه بعض النظريات الفلسفية.

وقد جاءت السيميائيات بتغييرات حول مفهوم النص، وذلك بدءا من منطلقاتها اللسانية، حيث لم تنفك السيميائيات في التأسيس لمفاهيمها ومقولاتها من معين البنيوية، ولنا في هذا

---

[1]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-، بحث مقدم لشهادة الماجستير في النقد المعاصر، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2003-2004، المقدمة.

[2]- المرجع نفسه، المقدمة.

[3]- المرجع نفسه، المقدمة.

المجال السيميائيات الغريماسية التي سعت جاهدة إلى تأسيس نظرية دلالية محايثة، التلفيق بين الطرح البنيوي والتحليل الدلالي، فقد حملت السيميائيات على عاتقها مهمّة البحث عن العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصيّة بمستوياتها المختلفة. وكذا التحول المعرفي الذي أحدثه مدرسة كونستانس الألمانية في قلب مركز اهتمامها من النص إلى القارئ، والتركيز على التفاعل بينه وبين النص داخل إطار نظرية التلقي، مع إبراز الدور الفعّال للقارئ في بناء النص وإنتاج المعنى وتاليا صياغة نسق خاص للقراءة، حيث إنّ "القراءة السيميائية لم تعد مجرّد فعل لغوي أو جمالي فحسب، بل غدت ممارسة نقدية لتفعيل الحوار المنتج بين النص والقارئ، أي بين الأهلية المعرفية والموسوعية التي يستدعيها القارئ، وبين الخصائص النصيّة والفنيّة الجمالية الكامنة في النص."[1]

***-النص والخطاب:**

لقد استقطب مصطلح **النص**Texte اهتمام الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة، في أبعاده الجمالية والأسلوبية ومكوناته البنيوية ووظائفه السيميائية، إذ إن أبجديات مفهوم النص في مبتدأها لم ترتكز على تحديد واحد بذاته، وذلك نظرا لتعدد المنطلقات النقدية والاتجاهات الفكرية وتشعبها، حيث ينظر الشكلانيون الروس للنص بوصفه بنية لغوية مستقلة[2]، ومن منظور **شارل بالي C. Bally** إنّه مجموعة من الملفوظات والتلفظات، في حين يغدو بنية من لقيم حسب تعبير **رينيه وليك R. Wellek**. أمّا بالنسبة لأصحاب جمالية التلقي فإنّه "يمثّل علامة، ولعل هذا التباين المفاهيمي قد يفضي إلى صعوبة لإدراك ماهية النص وضبط معالمه."[3]

وفي ضوء هذه التحولات المعرفية والنقدية، نلفي أن "هناك إسهامات منهجية حاولت إيجاد حدود علمية وموضوعية بين مفهومي النص والخطاب، ولا سيما في المعاجم والقواميس

[1]- المرجع السابق.
[2]- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1994، ص.40.
[3]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-،،ص: 01.

اللسانية والسيميائية"[1]، ولنا في هذا المجال تعريف **جون دوبوا J . Debois**، للنص بوصفه " مجموع التلفظات اللسانية الخاضعة للتحليل، وهو عيّنة لمسار لساني يمكن كتابته أو نطقه"[2]، بينما يغدو الخطاب من منظور اللسانيات المعاصرة أنّه " كل تلفظ أعلى من الجملة، مراعيا بذلك وجهة نظر قواعد التسلسل وممتاليات الجمل"[3]، وبما أنّ الخطاب يختلف في تركيبته عن النص داخل اللسانيات، فإنّه ومن وجهة نظر السيميائيات فإنّ" النص غالبا ما يكون مرادفا للخطاب، ومبدئيا في هذه الحالة لا تفترق السيميائيات النصيّة عن اللسانيات الخطابية، فالمصطلحان – النص والخطاب- يطبقان على حدّ سواء للإشارة إلى محور تركيب سيميائي غير لساني."[4]

ونجد هنا مقاربة **إميل بنفنيست Emille Benveniste** لمسألتي النص والخطاب، والتي تقوم على مبدأ مركزية التلفظ، أي الفعل الذاتي في استعمال اللغة وصلته بالخطاب، إذ يرى أن " كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما .."[5] ، ويمثل" هذا المفهوم الصوري عملية **التلفظ**، الأنموذج السيميائي في بنيتيه الشكلية والوظيفية، حيث تتحدد العلاقة بين الباث والمتلقي داخل عملية التلفظ، بوصفها الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم ومستمع معينين – في مقام معين- أي دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل"[6]، حيث يمكن رصد هدا النوع من النظام السيميائي للتلفظ في أن اللغة:

1-تتمظهر في القول الذي يحيل إلى موقف ما، فإذا تكلمنا فإننا نتكلم دائما عن شيء ما.

2- تتكون – من حيث الشكل- من وحدات مستقلة تمثل كل واحدة منها علامة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص:01.
[2] - Jean Dubois , Dictionnaire de linguistique, éd. Larousse, Paris, 1973 , p.486.
[3] Ibid ,p.156.
[4]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-،،ص: 02.
[5] - Emille Benveniste , Problème de linguistique générale , T.1, éd. Cérès ,1995 , Tunis, p.241.
[6]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-،،ص: 02.

3-تنتج اللغة وتستقبل في قيم إحالية مشتركة بين أعضاء مجتمع واحد.[1]

وعليه فإن ربط الملفوظ بالخطاب يقتضي بالضرورة إلى وضع جملة من القواعد الذي تتوافر على قابلية التعبير بالكلام، كون أن الملفوظ جزء من أجزاء الخطاب، ويشكل ركنا من أركانه، بوصفه وحدة لسانية تواصلية حركية، ذات سمة نحوية ودلالية، ومن ثم فإن الملفوظ وحده لا يحدّد الخطاب إذا أضيفت إليه وضعية التواصل[2].

ومن هذا المنطلق يحدد بنفنيست الخطاب على أنه "نسق دال داخل منظومة اللغة، وعليه كان سعيه استكشاف العلاقات الدالة للّغة الفنية داخل العمل الفني، وذلك من خلال تمييزه بين نظامين للتلفظ، باعتماده على مقولتي الضمائر وزمن الأفعال، ويحدد هذين النظامين في:

1-المحكي Le Récit.

2-الخطاب Le Discours ".[3]

ويقدم رولان بارث **Roland Barthes** ، مفهومه لتأسيس تحليل الخطاب، إذ" تعدّ إسهاماته نقلة متقدّمة سعت إلى دفع لسانيات الجملة التي قبعت عند حدود المستويات الصوتية والصرفية والنحوية، وذلك بفتح فضاء أوسع أمام اللسانيات الخطابية، حيث ينهل بارث مفاهيمه من بعض أعمال السيميائيين واللسانيين أمثال (**بنفنيست، جوليا كريستيفا**). وعلى الرغم من استبعاد بارث إمكانية تقديم نظرية لسانية للخطاب، بوصفها ما زالت عصية أو

---

[1] - Emille Benveniste , Problème de linguistique générale .p.59.

[2]- ينظر: أحمد يوسف، تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات، مج نزوى، البحرين، ع 12، أكتوبر 1997، ص.42.

[3]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-،،ص: 04.

بعيدة التحقق"[1]، إلاّ أننا نلفيه يقدم متصورا لسانيا لتحليل الخطاب، وذلك انطلاقا من مقولات أساسية (الزمن- الصيغة- الجهة) [2]، حيث يقترح ثلاثة مستويات لتحليل الخطاب:

1-مستوى الوظائف.

2-مستوى الأحداث.

3-مستوى السرد.

فالخطاب من منظور بارث " إنجاز فردي يتشكل من مجموعة من الوحدات الخطابية، تربطها ببعضها علاقات تحقق للخطابة اشتغال تمارس فيه الذات انسجامه.."[3] ، إذ يصبح الخطاب نقطة اشتغال تمارس فيه الذات إنتاج المعنى، أي أنّ الممارسة الدلالية داخل الخطاب تعيد للكلام طاقته الفاعلة، وهذا ما يحيل إلى اعتراف بارث [4]، بأن النص لا ينفك عن ظل الإيديولوجية والذاتية.

ولم تغفل السيميائيات – هي الأخرى- اهتماماتها حول النص "بوصفه علامة دالّة، وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى إسهامات تدوروف التي أعطت للنص بعدا سيميائيا، وذلك بعد تفريقه بين الكلام والخطاب، بموجب أنّ الكلام في جوهره التجريدي يقترب من مفهوم النص"[5]، كونه مجموعة " من عناصر معجمية وقواعد نحوية ومنتوج نهائي للجمل"[6].

[1]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-،،ص: 09.

[2] -Voir , Gérard Genette, Figures III, éd. Cérès , Tunis, pp.180-277.

[3]- رولان بارث، نظرية النص، تر. محمد خير البقاعي، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع5، 1988، ص.93.

[4] - Voir , Roland Barthes, Le plaisir du texte , ed . Du Seuil. 1973, pp.44-45.

[5]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-،،ص: 12.

[6] - T. Todorov, Symbolisme et interprétation, Collection poétique, ed. Seuil , Paris , 1979 ,p.09.

ولم تحصر السيميائيات موضوعها داخل العلامات فقط، بل تعدّت إلى المجموعات والتطبيقات الدّالة، ويمكن لنا رصد وجهة نظر السيميائيات لثنائية النص والخطاب، وذلك من منظورين[1] :

1-إذا أخذنا النص على مستوى الملفوظ، فإنه يتألف من عناصر دالّة بها تتحدّد قواعد بناء مستوى التعبير، وهذا هو منظور النص.

2-بينما الخطاب فهو نتاج التمفصلات الدلالية الأكثر بساطة إلى مجموع التلفظات المركبة في تحقّقها الملموس عبر تطبيقات دالّة، والتي تحدّد قواعد بناء المحتوى، وهذا هو منظور الخطاب. ومن خلال هذين المنظورين يتم توليد المعنى وإنتاج الدلالة.

وبهذا الشكل "يأخذ النص على عاتقه منح الخطاب مهمّة البحث عن الدلالة في إطار وسائل تعاقدية وأخرى إبداعية، بينما الخطاب المفتوح تولّي النص دلالة قصدية ومنسجمة، حيث يكون الخطاب مجبرا على الكينونة، وإلاّ فهو أحادي التشاكل، بمعنى أقلّ انسجاما."[2]

***-السيميائيات النصية:**

لم تبق البحوث السيميائية ومقارباتها أسيرة وراء تلك التحديدات اللغوية المباشرة حول مفهوم النص، كما أنها" لم تكتف بالوقوف عند السطح اللغوي بكينونته اللسانية، ولذا نلفي بعض المقاربات السيميائية في أثناء تنظيراتها وممارستها التطبيقية قد أولت عناية قصوى حول النص في بعده السيميائي، كون أن النص مجموعة من الأنساق السيميائية الدالّة، حيث لا يمكن للعلامة اللغوية أو غير اللغوية أن تعزل عن النسق العام، وعليه أصبح النسق

---

[1] - Jacques Fontanille ,Sémiotique et littérature , p.17.

[2]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة –مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-،ص: 14.

السيميائي ذو وظائف إعلامية وفكرية"[1]، ويتجسد ذلك من خلال تعامله مع العلامة تعاملا أنطولوجيا ورمزيا."[2]

وأحدثت إسهامات البحوث السيميائية "انعطافا منهجيا وقطيعة معرفية مع تلك المتصورات البلاغية واللسانية حول تعاملها مع النص. وإن كانت السيميائيات ما زالت مدينة للسانيات دو سوسير وذلك من خلال تقديمها تعريفا سيميائيا للسان بوصفه نسقا من العلامات الاعتباطية."[3]

وعلى ضوء هذا التحول الذي رسخته السيميائيات في أثناء تزاحمها وتداخلها مع العلوم المختلفة، التي "تعنى بوصف النصوص وتحليلها، مثل البحوث التجريبية ونظريات التحليل النفسي والذكاء الاصطناعي وعلم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجي والتي حملت – هذه العلوم– على عاتقه مهمة البحث عن تلك العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصيّة بمستوياتها المختلفة" [4].

إن التحولات الإبستيمولوجية العميقة التي شهدتها الممارسات الفكرية والنقدية المعاصرة حول مقاربتها للنصوص الأدبية، "قد أفضى إلى تداخل بعض المناهج والمدارس النقدية إلى حدّ الالتباس والتشعّب، مما أحدث شرخا معرفيا بين الوعيين (البنيوي والسيميائي)،صحيح إن السيميائات لم تقص جل الدعاوى البنيوية، بل سعت جاهدة إلى بلورة ودمج متصوراتها ومقولاتها، وذلك في طرح جديد يحد من إشكالية مقولة الداخل والخارج، ولذا نجد أن الدراسات السيميائية في أثناء مقارباتها قد احتكمت إلى بعض المفاهيم البنيوية، غير أنّ ذلك يكون بمثابة مقولة حتمية ضمن دعواها العامة."[5]

---

[1]- قادة غروسي، النص وسيميائيات القراءة، ص. 35.
[2]- المرجع نفسه، ص: 35.
[3]- المرجع نفسه، ص: 35.
[4]- المرجع نفسه، ص. 36.
[5]- المرجع نفسه، ص. 36.

الفصل الثاني

التحولات المنهجية في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر

مدخل منهجي

شهد الخطاب النقدي المعاصر تحولات كبرى وعميقة في العقود الأخيرة من القرن العشرين، كانت ثمرة الإنجازات العلمية والفلسفية المتلاحقة، تحولت إثرها القراءة النصية من قراءة أفقية معيارية–سياقية–إلى قراءة عمودية –نسقية– تحاول سبر أغوار النص لا غير، مبتعدة عن مقارباته من خلال السياقات التي أحاطت به يوم إنشائه وإنتاجه، وبذلك أصبحت المعالم النصية (البنى) للمادة الحقل الأساسي للقراءة. هذا التغير في الرؤية ما كان ليتحقق لولا الثورة التي أحدثتها اللسانيات الحديثة، وتأسيسها لرؤية ومناهج جديدة في طرق التعامل مع النص، التي عملت على إقصاء الخارج وقراءاته السياقية–التاريخية والاجتماعية والنفسية– وأخذت بالقراءة النسقية التي تتناول النص من حيث هو بنية مغلقة في علاقاتها الداخلية معزولا عن التأثيرات الخارجية، مما شكل تحولا كبيرا في المتصورات والمفاهيم الأدبية والنقدية على السواء.

ونعتقد أن هذا الوصف الذي وسمنا به تحولات الخطاب النقدي العربي الحديث، لا يتعارض وما عرفته التحولات الكبرى التي عرفتها الثقافة النقدية الغربية في النصف الثاني من القرن العشرين. يرى الناقد السيميائي (أحمد يوسف) في هذا الصدد "أن إشكال المعنى في الخطاب الحداثي خلق تحديات كبيرة بالنسبة إلى المشروع اللساني الذي أقصاه من حقله؛ الأمر الذي جعل المشروع السيميائي يسعى إلى إعادة بنائه بناء علميا ضمن المقاربة المحايثة بدءا من سلسلة الحلقات الدراسية التي جمعت بين دفتي كتاب " الدلاليات البنيوية" الذي ظهر في تاريخ حاسم من تاريخ انعطاف البنيوية إلى فضاء السيميائيات عام 1966 على يد غريماس."[1]

[1]-أحمد يوسف، لبلاغة والايديولوجية: مقاربة سيميائية في تحولات المعنى، مجلة سيميائيات تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، العدد: 04، 2013،ص: 43

ولا نبتعد عمّا تقتضيه الموضوعية العلمية في طرح إشكال المعنى عندما نتحدث عن علاقة البلاغة بالسيميائيات في تحليل المعنى من حيث هي نسق العلامات الدالة يقتضي تخلي المدلول عن حمولته الدلالية المكتسبة. "وهذا شكل من أشكال تحطيم أغلال الخطاب الأيديولوجي/ الكلاسيكي الذي غالبا ما يسيج المعنى، ويحنطه داخل مدلول واحد متكلس، مما جعل سيميولوجيا بارت وتقويضية دريدا وتأويليات بول ريكور تسمه بالميتافيزيقيا والانغلاق."[1]

ولذلك؛ عرف الفكر النقدي اللساني العربي تحولا كبيرا، من خلال ما استثمره من النظريات الغربية في مجال اللسانيات، والنقد الأدبي، والشعريات التي وفدت على العالم العربي إما عن طريق الترجمة، وإما عن طريق الجامعيين العرب الذين وفدوا على الجامعات الأوربية منذ التسعينيات من القرن العشرين. و من النظريات الجديدة التي لم يفتأ الجامعيون يسيلون بها أقلامهم في أبحاثهم المختلفة، "نظرية السيميائيات"، ومناهجها وتوجهاتها المختلفة، والتي هي اليوم موضوع هذا البحث مثار مساءلة واستشراف واقع ومستقبل هذا (المنهج/ العلم) الجديد القديم، ودوره في تطوير الإجراءات النقدية المنصرفة خصوصا إلى قراءة الخطاب الأدبي، وتحليله، جذبت عددا من الباحثين الشباب من خلال إقبالهم على تقديم نماذج لدراسات وأبحاث نقدية أكاديمية ، أجيزت علميا في مجال مشاريع بحثية حول " المناهج السيميائية" من زوايا متعددة.. ومقاربات متنوعة؛ ارتقى بعضها إلى مستوى الأعمال العلمية الناضجة، وعرف البعض الآخر مستوى متواضعا في الرؤية والطرح والإجراء، نظرا لعوامل كثيرة لا يمكن التعرض لها في هذا الجزء من البحث.. لكن الأجدى والأفضل؛ هو الإشارة إلى الأسباب والمحفزات التي كانت وراء اختيار هذه الموضوعات بالذات.

1- المرجع السابق، ص: 43

وهكذا؛ فقد توافرت عدة أسباب لبروز هذا الخطاب النقدي الذي اتخذ من المنهج السيميائي سبيلا وهاديا لمعالجة نصوص أدبية تضمنتها أجناس أدبية مختلفة، ويمكن أن نشير في ما يأتي إلى بعض العوامل المنهجية والمعرفية التي كانت وراء اختيار هذا المنهج بالذات:

أ- تأثير موجة الحداثة في تطوير الخطاب النقدي الأدبي العربي في تجاوز الرؤية الجزئية التي امّاز بها طيلة فترة النصف الثاني من القرن العشرين، وظهور خطاب جديد يحمل رؤية متجددة ، تقوم على جهاز مفاهيمي لم يسبق للخطاب النقدي العربي التعرف عليه، أفضت إليه قراءات راهنت منذ البداية على التغيير والخروج من الانغلاق والتبعية التي ميزت الثقافة العربية قبل هذه الفترة بقليل. وقد شكل هذا التحدي تفاعلا مع هاجس التجديد والتجاوز الذي عرفته موجة المثاقفة في البلاد العربية.

ب- بروز الاتجاه السيميائي كواحد من نماذج المشاريع النقدية التي وجدت ضالتها في الخطاب النقدي العربي المعاصر، حيث شكل استيعاب هذا الاتجاه من قبل بعض الدارسين العرب تحديا، أثرى المدونة النقدية العربية، على الرغم من ظاهرة عدم اكتمال هذا الاتجاه في مواطنه الأصلية على مستوى التصورات والإجراءات.[1]

ج- عرف الفعل النقدي العربي بشكل عام، وفي البلاد المغاربية بشكل خاص خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، وبداية القرن الجديد نقلة بارزة على الصعيد الكمي بالنظر إلى العدد الهائل من الدراسات التي صارت تزخر بها المكتبات الجامعية، وحتى المكتبات العامة. وإذا حق لنا استثناء هذه الطفرة على الصعيد النوعي، فإن لغة الخطاب ذاتها بدأت توحي بشيء من العقلانية، والصرامة، وتحمل بالمرة في طياتها نذر قطيعة مع ممارسة نقدية-لها ما يبررها- ظلت راسخة لمدة طويلة، وقائمة في واقع الأمر على أحكام قيمية عاجلة، وجاهزة، وإسقاطات نفسية عفوية، بالإضافة إلى تبنيها رؤية تركيبية تضع المؤلف

1- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدار الجزائرية ، الجزائر، 2015، صص:2-3

ونصه وعديد من العناصر المتنافرة في المستوى ذاته. فيما يقدر بعض المختصين على غرار الباحث عبد الحميد بورايو أنها تفتقر إلى المقوم المنهجي.[1]

أولا: الخطاب النقدي السيميائي العربي:

عرف الخطاب النقدي العربي أواخر الثمانينات "تحولا في تعامله مع النص الأدبي، وذلك من أجل تجاوز تلك المناهج النقدية السياقية إلى المناهج الحداثية، التي بدأت تجتاح العالم العربي وخاصة المغرب العربي. ونتج عن ذلك ظهور ما أصبح يعرف بالنقد النسقي من (بنيوية وسيميائية...)"[2]. وقد تبنت مقولات ذلك النقد نخبة من المثقفين الجامعيين من مثل: (عبد الملك مرتاض، عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك، سعيد بوطاجين، يوسف أحمد، عبد القادر فيدوح)، والتي كانت ترى بأن " الواقع المعرفي في العالم المعاصر أصبح يتطلب معرفة علمية ومنهجية تساير التطور العلمي المتسارع. ومن ثم كانت النخبة المؤسسة للمشهد الحداثي في الخطاب النقدي العربي. فقد حاول أصحابها جاهدين تمثل المناهج النسقية، والعمل على تطبيقها على النصوص الإبداعية، إلا أن صعوبتها، وغموض مصطلحاتها، حال دون تحقيق ما كانوا يأملون فيه. وانحصرت أعمالهم في الترجمة والتنظير وقليل من التطبيقات" [3]. والملاحظ أن كل ما أنجزوه لم يتجاوز التعريف بالسيميائيات، ولم يؤد إلى تحقيق بروز منهج نقدي سيميائي في الخطاب النقدي العربي.

وتجب الإشارة هنا إلى جهود هؤلاء النقاد، مهما قيل عنها. قد "ساهمت في تأسيس وعي نقدي جديد لفت الانتباه إلى أهمية تلك المناهج في قراءة النصوص الإبداعية وتحليلها. كما أنها لعبت دورا كبيرا في تحريك المشهد النقدي .."[4].

[1]- حبيب بن مالك، رواية الحمار الذهبي، قراءة سيميائية، مخطوط رسالة دكتوراة، تحت إشراف: د. محمد سعيدي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان،2010-2011، ص: أ

[2]- وذناني بوداود، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد)، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، ص:01.

[3]- المرجع السابق، ص: 02.

[4]-المرجع السابق، ص:03.

ونجد الخطاب السيميائي الأكثر حضورا في المشهد النقدي في البلاد العربية، على صعوبة مصطلحاته. ويرجع ذلك للأسباب التالية: [1]

1-أن جل الذين تبنوا الخطاب السيميائي هم الذين درسوا في فرنسا على يد مجموعة من المفكرين الذين يعدون من أقطاب السيميائية الحديثة غريماس رولان بارت ...إلخ.

2-أن المقاربات السيميائية استطاعت أن تتجاوز الحدود الضيقة للنص، لترتقي به إلى منزلة انبثق منها خطاب واصف، تمثلت وظيفته في البحث عن الأنساق السيميائية الدالة بمستوياتها اللسانية وغير اللسانية، وهذه الأنساق لم تفصل السيميائية عن إطارها الاجتماعي العام والملابسات التي أحاطت بنشأتها، وذلك ما تنبأ به دوسوسير في محاضراته حول اللسانيات العامة"[2].

3- سحر السيميائيات بأنها علم العلوم أو الخطاب الذي يأخذ من كل العلوم. فالسيميائيات " ساهمت بقدر كبير في تجديد الوعي النقدي من خلال إعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى. ولقد قدمت في هذا المجال مقترحات هامة عملت على نقل القراءة النقدية من وضع الانطباع والانفعال العرضي الزائل والكلام الإنشائي الذي يقف عند الوصف المباشر للوقائع النصية، إلى التحليل المؤسس معرفيا وجماليا."[3] فهذه الأسباب وغيرها، كانت الدافع لبعض النقاد لتبني الخطاب النقدي السيميائي، وكان عبد الملك مرتاض صاحب أول مبادرة من خلال بحثه الموسوم ب "تحليل سيميائي لحكاية حمال بغداد."[4]

1- ينظر: المرجع نفسه، ص:04.
2-يوسف أحمد، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع،2002، ص:22-23.
3- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2003، ص:
4- وذناني بوداود، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد)، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، ص: 04.

وإذا كان للخطاب السيميائي حظ في المشهد النقدي العربي، فإن " الباحث الواعي يمكنه أن ينتبه إلى أن الخطاب السيميائي يختلف عن الخطابات الحداثية الأخرى، فهو خطاب يتشاكل مع المعرفة العلمية، لذلك فهو خطاب يستعصي على الفهم"[1].

ومن هنا يمكن " أن نعتبر الخطاب السيميائي، بأنه ليس مجرد أداة يتوسل بها للبحث عن المعرفة وفحصها، أو مجرد خطة مضبوطة بمقاييس وقواعد وطرق وخطوات إجرائية تساعد على الوصول وتقدم الدليل، وإنما هو يمثل رؤية أفرزتها الظاهرة العلمانية scientisme المعتمدة أساسا على نظرية نقدية شمولية، ما فتئت تدك الحدود الفاصلة بين مختلف العلوم والتخصصات"[2].

لقد أكد النقاد الذين اهتموا بالسيميائيات صعوبة الخطاب السيميائي، نظرا لافتقاد الناقد العربي للخلفيات المعرفية التي تقف وراء ذلك الخطاب. فإذا كان " الخطاب مستعصي الفهم في لغته الأصلية، فما بالك باللغات التي يترجم إليها"[3].

وعليه " فإن الترجمة بالشكل الذي تتم به. وبحكم تعبيرها عن رغبة فردية تخضع لميول شخصية أكثر مما تخضع لفعل معرفي جماعي. تزيدها غموضا على غموض لا تفي بالغرض العلمي"[4].

وكان الباحث رشيد بن مالك من أكثر النقاد استشعارا لصعوبة السيميائية، فقد نبه إلى ذلك في مواقف كثيرة. فالقارئ العربي في نظره "يلقى مشقة كبيرة في فهمها، وتمثلها واستصاغتها وفك رموزها ومصطلحاتها، فهو يقرأ ويبذل مجهودا كبيرا لتطويق فكرة أو مفهوم ولفهم ما يترجم إلى اللغة العربية، ولكنه لا يفهم ولا يجد إلى ذلك سبيلا. وأنى له أن يتمثل ما يقرأ

---

[1]- المرجع نفسه، ص:04.
[2]- هامل بن عيسى، واقع الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري، مخطوط ماجستير، جامعة وهران، 2006.
[3]- وذناني بوداود، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد)، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، ص: 05.
[4]- محاضرات الملتقى الثاني السيمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة أفريل 2002، ص: 165.

وهو يفتقد إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعتها السيميائية ومفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفهومية بين هذا المصطلح أو ذاك، هذا التيار أو ذاك"[1].

ثانيا: تطور الدراسات السيميائية في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر:

أحاول في هذا المبحث من الفصل الثاني، تسليط الضوء على جانب مهم في التجربة النقدية السيميائية للدارسين العرب، من خلال عرض كرونولوجي لعينة صغيرة من مؤلفاتهم. وقد حصرتها بين سنة: 1985-2006، ولا أدعي أنها تشمل مسحا إحصائيا لما تم نشره في هذا الحقل المعرفي، وإنما هي نماذج رأيت أن تكون شاهدا، وبرهانا على حضور الخطاب النقدي السيميائي العربي من خلال مقارباته التنظيرية والتطبيقية.

-محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشعري**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دار التنوير، بيروت، ط.1، 1985.

-أنور المرتجى، **سيميائية النص الأدبي**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط.1، 1987.

-محمد السرغيني، **محاضرات في السيميولوجيا**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1، 1987.

-عبد الله إبراهيم وآخرون، **معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996.

-سعيد بنكراد، **السيميائيات السردية**، منشورات الزمن، المغرب، ط.1، 1999.

-صلاح فضل، **شفرات النص: دراسة سيميولوجيا في شعرية القص والقصيد**، دار الآداب، بيروت، ط.1، 1999.

---

[1]- جان كلود كوكي السيميائية مدرسة باريس تر/ رشيد بن مالك دار الغرب للنشر ص :05-06.

-رشيد بن مالك، **مقدمة في السيميائية السردية**، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط.1، 2000.

-رشيد بن مالك، **قاموس مصطلحات التحليل السيميائي (عربي-إنجليزي-فرنسي)**، دار الحكمة، الجزائر،ط.1، 2000.

-عبد الحميد بورايو، **التحليل السيميائي للخطاب السردي**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط.1، 2000.

-السعيد بوطاجين، **الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية**، دار الاختلاف، الجزائر، ط.1، 2000.

-رشيد بن مالك، **البنية السردية في النظرية السيميائية**، دار الحكمة، الجزائر، ط.1، 2001.

-عبد المجيد نوسي، **التحليل السيميائي للخطاب الروائي**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء،ط.1، 2002.

-أحمد يوسف، **القراءة النسقية ومقولاتها النقدية**، دار الغرب للنشر، ط.1، 2002.

-رشيد بن مالك،(ترجمة): **السيميائية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط.1 ،2003.

-سعيد بنكراد، **السيميائيات: مفاهمها وتطبيقاتها**، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط.1، 2003.

-أحمد يوسف، **السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.1، 2005.

-أحمد يوسف، **الدلالات المفتوحة، مقاربة في فلسفة العلامة**، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، المركز الثقافي ،ط.1، 2005.

-رشيد بن مالك، **السيميائيات السردية**، دار ماجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط.1، 2006.

-محمد الداهي، **سيميائية الكلام الروائي**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط.1، 2006.

-طائع الحداوي، **سيميائيات التأويل**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 2006.

ويكفي التركيز على مفردات العناوين (وهي بالمناسبة ضمن المقاربات السيميائية) للوقوف على تتبع تمفصلات، ومدى فاعلية وجدوى هذا الخطاب النقدي خلال الفترة المحددة أعلاه، لا سيما في ما يتعلق بالتأسيس، والتأصيل للنظرية السيميائية. بالإضافة إلى جهود الباحثين في الترجمة والمصطلحية التي خصصت لها مبحثا مستقلا في هذا البحث، نظرا لأهميتها وخطورتها والتي سيتم التفصيل فيها لاحقا ضمن هذا الفصل.

ولعل من بين ما استخلصته من خلال القراءة الفاحصة لهذا الثبت من عناوين المقاربات السيميائية في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، ما يأتي:

أ- أصبح توظيف النظريات النقدية الغربية الحديثة في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر ضرورة حتمية أملتها ظروف معرفية وتاريخية أحيانا، فرضت على الخطاب النقدي تغيير منطلقاته، وتجاوز النظرية الماضوية في قراءة الأعمال الأدبية وتحليلها.

وقد أثبتت بعض الدراسات النقدية العربية جدارة النظريات الوافدة، وتمكنها من استنطاق النصوص الأدبية في الكشف عن خباياها، وإضاءة الكثير من جوانبها الغامضة.

ب- ومواكبة للوضع الثقافي العام الذي فرضته (المثاقفة) في سيرورتها التاريخية، أفاد الدارسون العرب من هذه المناهج، ولا سيما المناهج النقدية ذات **التوجه النصاني**، رغبة منها في تجديد القراءة والوعي بالنص الأدبي، والدفع بالخطاب النقدي العربي نحو العصرنة.

ج- ومن بين المناهج الأكثر حضورا في مجال التحديث والعصرنة والانفتاح النظرية السيميائية الغربية، وبالأخص النظرية السيميائية الفرنسية ذات التوجه الغريماسي، حيث أفاد عدد لا بأس به من الدارسين العرب من ذات التوجه، ونظرياته المتعلقة بتحليل النصوص السردية، وإن كنا لا نعدم حضور التوجه الأمريكي في مقارباته التأويلية، ودلالاته المفتوحة. ويمكن التأكد من ذلك من خلال الاطلاع على العينة المختصرة جدا للدراسات النقدية ذات التوجه السيميائي المعروضة أعلاه.

د- من هذا المنطلق؛ لمسنا تحديث الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، لأنه لم يفهم التحديث المعرفي في مجال النقد مجرد نقل حرفي وآلي لأدوات وإجراءات غربية نجهل أصلها، بدعوى أن المناهج العلمية ملك مشاع، وإنما كان التحديث موجها نحو البحث في الأصول العلمية والمعرفية التي انبنت عليها النظرية السيميائية، كما اتجهت بعض البحوث نحو مساءلة أبعادها الفلسفية والإبيستيمولوجية، مما سهل على المتلقي العربي الوقوف على مفاهيمها التنظيرية، وإجراءاتها التطبيقية.

ثالثا: علاقة النظرية النقدية بالمنهج:

تعدّ المناهج النقديّة المعاصرة وسائل وأدوات مساعدة على سبر أغوار الظاهرة الأدبيّة وليس غاية في حدِّ ذاتها. ففي البدء وجد الخطاب الأدبي وبعد ذلك كانت الممارسة النقدية، ثم لازمته وتطورت إلى مناهج النقد المتنوعة سياقية كانت أو نصانية من خلال البحث عن مقصدية الكاتب، واستقصاء تجليات الخطاب الأدبي، واستقراء الظواهر الفنية، والفضاءات النصيّة داخل العمل الأدبي. لهذا كان فرض أي منهج على مدونة نصية، أو خطاب أدبي ما، كفيل بتكريس عملية نقدية منحرفة، ولغة واصفة عقيمة. ومن هنا كان عمل الناقد تحرِّي الموضوعية والروح العلمية في التعامل مع الظاهرة الأدبية لأنّه تعامل مع الذات المنتجة وسط بيئة سياسية، واجتماعية، وتاريخية. ولعل هذا ما يدفعنا للحديث عن إنتاج المعنى الذي أضحى **دیدن** الدراسات النقدية المعاصرة، التي ركزت في مقارباتها على إشكالية ارتباط خطاب النص وخطاب التأويل، لأنه معنى محدد وقصدي تداوليا بالنسبة لمنتج الخطاب، وهو معنى تأويلي بالنسبة للمتلقي.[1]وهي القطيعة الجذرية التي نركز عليها والمتمثلة في التخلي الكلي عن المنظومة النقدية الكلاسيكية في أسسها وموضوع بحثها ومنهجها ومصطلحياتها، بل هي بمثابة، قفزة نوعية لا تدرك إلا في إطار مشروع علمي يشكل فضاء علميا يحمل فيه مفهوم التطور معنى ما.

وقد وجهت الدراسات النقدية المعاصرة نحو " المعنى التأويلي الذي يبدأ من التعرف على معنى النص الموضوعي كشيء متميز عن قصدية المؤلف الذاتي، هذا المعنى الموضوعي ليس بالشيء الخفي فيما وراء النص، بل هو طلب يوجه إلى القارئ، وبالتالي فإن التأويل هو نوع من الخضوع للأمر الصادر من النص. هذا الانتقال في داخل (التأويلية) من الاتجاه الرومانسي إلى اتجاه أكثر موضوعية، هو نتيجة رحلة طويلة من البنيوية.. والتخلي بالتالي

[1]- محمد ماليك، مشروع علم "سيميائيات الجهات"، مرجع سابق، ص:137

عن تعريف التأويلية عن وصفها: تأويلا للغة رمزيا."[1]

لذلك؛ ألفينا الناقد المعاصر يتحرى ويبحث وسط المناهج النقدية المعاصرة خاصة الأسلوبية أو البنيوية، أو التفكيكية ، أو السيميائية، أو التداولية وغيرها من المناهج التي تولى اهتماما بالنص على حساب "الكاتب"، وذلك وفق آليات وأدوات إجرائية تتحقق مع النص الأدبي المراد استنطاقه أو تحديد القراءة النقدية المناسبة له، وهذا لا يتحقق إلاّ من خلال الممارسات والتجارب النقدية المتواصلة المكتسبة لدى الناقد من خلال تطبيقاته على مختلف نماذج النصوص الأدبية بجنسيها: الشعري والنثري.

إن ضرورة فهم المنهج في شموليته وتكامله مسألة جوهرية من وجهة نظرنا، لأن المنهج يتضمن جانبين: جانب (مرئي ظاهر)، يتمثل في وجود أدوات إجرائية تضمن إدراك الحقيقة والتدليل عليها، وجانب (لا مرئي) خفي، يتمثل في الرؤية المعرفية والخلفية النظرية المؤطرة له. ونزعم أن الجانب الظاهر للمنهج ليس سوى الترجمة العملية والإجرائية، والإجابة الصريحة على الأسئلة الضمنية التي يطرحها قسمه الخفي اللامرئي.[2]

ولذلك، يتعين فهم العلاقة القائمة بين الجانب المرئي في المنهج، والجانب اللامرئي فيه، وضرورة تمثل المنهج في شموليته وتكامله، وعدم الاطمئنان لجانب على حساب الجانب الآخر. ومن هنا كان "المنهج السيميائي" من بين مجموع المناهج النقدية المعاصرة التي تعرضت للنقد الشديد رغم تخصص الكثير من الباحثين وتمرسهم في تحديد آلياته الإجرائية للممارسة النقدية الجادة.

ومن المعلوم أن اللِّسانيات الحديثة كانت منطلق المناهج النقدية النصانية أو (النسقية)، وخاصة السيميائيات التي تعددت اتجاهاتها وفروعها ومصطلحاتها الغريبة لدى أدبائنا ونقادنا على وجه الخصوص، ممّا أفرز الكثير من الإشكاليات النقدية التطبيقية؛ منها خاصة ما

---

[1]- محمد ماليك، مشروع علم "سيميائيات الجهات"، مجلة مجلة سيميائيات تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، العدد: 04، 2013،ص: 137

[2]- منشور على موقع " مكتبتنا العربية": http:// www.almaktabah.net

يسمى بأزمة توحيد المصطلح بين النقاد في عملية التحليل النقدي، وصعوبة تحديد الأدوات الإجرائية المطبقة على النصوص النقدية، ومن ثم عدم الوقوف على اتجاه نقدي معين يقف عليه النقاد لتوحيد فعل النقد المؤسس وفق تقنيات متفق عليها بين الناقد والكاتب. وفي أغلب الأحيان تتعدد القراءات النقدية السيميائية، إلاّ أنها في نهاية الأمر لا تختلف كثيرا في الأطر والأدوات المستعملة في عمليات التحليل والتعليل والتدليل التي تتطلبها الدراسة المحايثة، إلا أن مضمونها والغاية المتوخاة منها تبقى رهينة المقصدية التي يسعى الدارس لتجليتها عبر آليات وإجراءات المنهج السيميائي. .

لذلك، "ظل شمول النظرية واستشرافها محض طموح نظري، لا يحظى بالتحقق على صعيد الواقع الإبداعي؛ فالفعل الإبداعي – بطبيعته –فعل شديد التحول، من الصعب التنبؤ به، ناهيك عن ضبطه ووصفه. ومن ثم، فهو متفلت من إسار النظرية، أي نظرية، طامح بحكم فرديته وأصالته، إلى آفاق لم تُرْتَد من قبل. وهو مع هذه التحولات الكبرى، خاصة حين تكون المقاربة ثورية ومتجددة، أشدّ تفلتاً وأكثر طموحاً. ومن هنا تبدو النظرية، وما ينبثق عنها من منهج أو مناهج، في حاجة إلى مراجعة وتعديل وتطوير باستمرار، وربما تطلب الأمر أحيانا إبداع وابتكار جديدين في الرؤية والمنهج، وهكذا تبدو العلاقة بين النص والنظرية علاقة متحركة باستمرار، لا تعرف سكونا أو استقرارا."[1]

فإذا كان هذا هو واقع النظرية في علاقتها بالنص، والنص في علاقته بالواقع والمُسْتَقْبَل، تبين لنا كم هي حاجة الخطاب النقدي إلى «عقد ثقافي جديد»، والجِدة هنا لا تقف عند هذه اللحظة، ولكنها الجدة التي لا تهجع إلى يقين الجواب، ولا تنعم بهدوء اللحظة، لأن أساسها التساؤل الذي يولد التساؤل من الجواب، على حد تعبير الناقد (محمد عبد الباسط عيد).[2]

إن مشروع "السيميائيات" نقدي بالدرجة الأولى، "يهتم بنقد الدلالة، مهما كانت تمظهراتها وفي أي خطاب تجلت.. أي الاشتغال على الخطاب كمنظومة سيميائية: اللغة كمورفولوجيا أي

---

[1] - André Vergez et Denis Huisman, LOGIQUE, 2d. Fernand Nathan, Nancy, France, 1965, P.162 .

[2]- **يلتمس في الموقع الإلكتروني الآتي:** منشور على موقع " مكتبتنا العربية": http:// www.almaktabah.net

الوحدات الصرفية، وكتركيب (نحو اللغة)،، وكدلالة أي مجموعة من المعاني المحتملة وكحقل تداولي أيضا، وهو ما يطلق عليه (النحو الثاني للغة، يعني بلاغتها)."[1]

ومما سبق ذكره، تبدو لنا قضايا يحسن الوقوف عندها في هذه المرحلة من البحث، نجملها إلى ما يأتي:

1- يتمحور اشتغال الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر في الدراسات النقدية باتجاهاتها ومناهجها ونصوصها المختلفة حول أمرين مترابطين أشد الارتباط؛ أحدهما منهجي، سناده التناول النقدي للأجناس الأدبية الإبداعية المتعارف عليها، أي التفكير النصي فيها، والآخر ذو طابع نظري، شعري، أجناسي، عماده استخراج قواعد اشتغال هذا الجنس الأدبي بتحديد مقوماته كما تم التقعيد لها في نظرية الأدب. ولئن بدا هذا اختزالا لحصاد نقدي يشهد تراكما كميّا ونوعيا في بداية الألفية الجديدة، فإن القراءة المركزة والشاملة لمدونة الدراسات النقدية العربية التي لا يمكن في الوقت الراهن تعيينها بدقة لا تخرج عن هذه الفرضية.

2- لقد غلب على مدونة الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر -موضوع بحثنا- تعاملها مع المنهج الوافد باعتباره مجرد أداة، يمكن استخدامها ونقلها من ثقافة إلى أخرى دونما حرج. وما المنهج كذلك؛ فالمنهج مهما كان حظه من الوصفية والعلمية والانضباط يحمل خصائص ثقافته التي شكلته وأنبتته، فهو غير منفصل عن موضوعه، والمواضيع مهما تقارب البشر اجتماعيا وسياسيا مختلفة اختلافهم، تتفاوت بتفاوت حظوظهم من الحضارة.[2]

[1]-محمد ماليك، مشروع علم "سيميائيات الجهات"، مجلة مجلة سيميائيات تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، العدد: 04، 2013،ص: 135.

[2]- شكري المبخوت، أحفاد سارق النار في السيرة الذاتية الفكرية، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2016، ص: 39.

وقد نضطر أحيانا إلى الاستشهاد ببعض النماذج للتدليل على ما نقدمه من قضايا تنظيرية، وإن كنا أرجأنا ذلك إلى الفصل التطبيقي، الذي سيتعرض إلى بعض النماذج والتطبيقات لنصوص نقدية. وحتى لا يضيع منا تسلسل الخيط الرابط بين ما نحن بصدده من قضايا منهجية لاحظنا أن جل الدارسين وحتى الباحثين الأكاديميين في أطروحاتهم الجامعية لم يخرجوا قيد أنملة عن النموذج الذي اخترناه لندلل به على هذا التشابه العجيب في بناء منهج الدراسات وإن اختلفت القضايا التي تعالجها، وحتى المنهج الذي تتبناه.

توقف شكري المبخوت –مثلا– في الدراسة المذكور أعلاه– بل وفي باقي الدراسات النقدية الأخرى التي أنجزها حديثا (2016) عند القضايا التنظيرية لجنس "السيرة الذاتية"، كما ناقش أساسيات التصنيف الأجناسي لعدد من النصوص المنضوية تحت هذا الضرب من "الكتابة عن الذات" التي تصدى لدراستها، بالإضافة إلى إشاراته المتكررة إلى العلاقة بين الأدب والنقد في الثقافة العربية، والكتابات ذات الطابع الأكاديمي البحثي، وهي علاقة –من وجهة نظره– ملتبسة، وتحتاج إلى ضبط وفهم جديدين، وذلك من أجل تطوير وعينا بالأدب وخطاباته المختلفة. ويبدو أن هذا الوعي الفكري والنقدي يؤسس للتفكير في تجاوز ما تراكم من إنجازات نقدية، وما شابها من غياب منهجي، وما آلت إليه نتيجة تراكم معرفي نظري مشوه حول مقاربة أي خطاب أدبي مهما كانت انتماءاته الأجناسية.

إن هذه المعطيات التي قدمناها عن مشروع الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر المتبني للمنهج السيميائي وإجراءاته، تؤكد عندنا أن الخطاب النقدي العربي يتجاوز ما قد توحي به التسمية من تركيز على الجانب العقلي والمرجعيات الفكرية والأدبية والجمالية تحصيلا وتكوينا وتأليفا وتصنيفا في فرع من فروع المعرفة، وما يصحب ذلك، على ما هو متوقع، من بيان للتحولات الفكرية وسياقاتها وأبعادها.

3- وقفنا في ثنايا الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة على نوع من المجازفة النقدية أحيانا، تتمثل في عملية إسقاط المفاهيم الغربية على النصوص التراثية العربية، من خلال

استيعاب آليات الخطاب النقدي الغربي بوصفها معطى جاهزا، يمكن من خلاله مقاربة نصوص عربية قديمة وحديثة وفقا لمقرراته، وإن اختلفت أنساقها اللغوية والثقافية، وسياقاتها التاريخية والبيئية.

4-تكمن أهمية النصوص النقدية حول (الأجناس الإبداعية المختلفة) في ما أحدثته الكتابة عن الذات من رجّة عنيفة للعلاقة بينها وبين الذات والعالم، لذلك نعتقد أن كل ما كُتب حول هذه الأجناس الأدبية في الوطن العربي يظل منفتحا، وغير مكتمل، ذلك أن ما يكتب من نصوص إبداعية لا يكف عن اجتراح أساليب جديدة لكتابة الحياة واستعادة وقائعها. وأن ما يستخلص من آراء وأفكار النقاد الذين شملتهم مدونة البحث من خلال الاطلاع على أعمالهم، تؤكد، وبشكل واضح وصريح أن تاريخ الخطاب النقدي العربي لمّ يُكتب بعد، على نحو علمي واف، رغم بروز بعض الجهود الجديرة بالاهتمام.

وتأسيسا على هذه الإيضاحات المنهجية؛ فإن ما أنجز من دراسات وبحوث نقدية من قبل الدارسين في الوطن العربي حول المنهج السيميائي على أهميته الكبيرة، يمكن اعتباره نقطة انطلاق للبحث، وليس نقطة وصول. ولذلك؛ يحتاج الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، مثل غيره من الخطابات، إلى مراجعة مستمرة، ليس لأننا نشهد تحولا كبيراً في أعقاب ثورة عظيمة فحسب، ولكن لأن المراجعة فعل مستمر يعبر عن علاقة القراءة النقدية بسيرورة الابداع الأدبي. ومن هاهنا، يضحى الخطاب النقدي عملا منهجيا منبثقا عن تأسيس نظري محدد. ومن شأن النظر النقدي-أيضا-أنَّه فعل تحاوري واسع مع حقول معرفية متعددة من ناحية، وواقع نصي إبداعي هو بدوره متغير متحول، من ناحية أخرى، ومن ثَمَّ،" فالنظرية-أي نظرية – تستهدف الوصول إلى إنجاز شامل، يطوي في إهابه أنواع القول المختلفة حالاً، ويستشرف في الوقت نفسه ما قد يحدث في هذه الأنواع من تطور

وتغير مستقبلاً."[1]وسنتطرق في العنصر الموالي من البحث في المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر.

رابعا: خطاب التأسيس والتنظير والترجمة للمنهج السيميائي:

يعد الباحث "رشيد بن مالك" أحد الأسماء الرائدة في المشهد النقدي العربي المعاصر، والمتبنية للفكر السيميائي الفرنسي، والغريماسي خصوصا، إذ نجد معظم جهوده النقدية تندرج ضمن مجال السيميائيات السردية، الذي يسعى من خلاله الباحث إلى تأسيس نظرية سيميائية في تحليل النصوص والخطابات السردية.

ولعل ما يشجع على دراسة تجربة " رشيد بن مالك" النقدية هو وضوح الرؤية المنهجية لديه، فهو يعلن منذ البداية عن ولائه المنهجي الكامل للجهود السيميائية الفرنسية والغريماسية خصوصا، بحيث لا يحيد عنها ولا يخرج عن إطارها، سواء على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق.

ولقراءة هذه التجربة النقدية السيميائية، حاولنا تقسيمها إلى مستويات نقدية ليسهل علينا وصف وتقديم هذه التجربة النقدية:

1-<u>في التأسيس للنظرية السيميائية:</u>

يقدم لنا الباحث " رشيد بن مالك" النظرية السيميائية (وفق منظور غريماس) من خلال التأريخ لها بالعودة إلى أصولها وأسسها ومرجعياتها التي تقوم عليها في بناء تصوراتها ومفاهيمها العلمية وإجراءاتها التحليلية. ويعد الباحث من النقاد القلائل الذين يتلقون المعرفة الغربية (السيميائية) من مظانها الأصلية مباشرة دون واسطة، وذلك أثناء دراسته بفرنسا على

---

[1]: http:// www.almaktabah.net-يلتمس في الموقع الإلكتروني الآتي

يد أعمدة النقد السيميائي هناك، وبالأخص أستاذه غريماس صاحب نظرية السيميائيات السردية، وكذا آن إينو وكورتيس.[1]

إن القارئ لأعمال " رشيد بن مالك" يلاحظ اهتماما مبالغ فيه أحيانا بالتأسيس للنظرية السيميائية في مؤلفاته، التي سنقتصر منها على: "**مقدمة في السيميائيات السردية**" **2000**[2]، باعتباره أحد أهم المؤلفات التي تنزع منزع التأصيل والتأسيس، عبر رد النظرية إلى أصولها ومنابعها الأولى وتفحص دلالات المفاهيم والمصطلحات ضمن هذه الأصول، لمعرفة حقيقتها وبالتالي " التعرف إلى مدى التطور أو التحوير الذي لحقها بعد نقلها من بيئتها الأولى أو استثمارها من قبل نظرية أو نظريات أخرى".[3]

استهل الباحث مؤلفه بمقمة منهجية حدد فيها الغاية التي يرجو بلوغها، والمقصد العلمي الذي يصبو إلى تحقيقه، حيث يقول: " سنسعى في هذا البحث إلى دراسة الأصول اللسانية والشكلانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية (مدرسة باريس) واستمدت منها مصطلحاتها العلمية مع إجراء تعديلات على مفاهيمها تقصيا في ذلك الانسجام مع التوجهات الجديدة للبحث السيميائي المعاصر". [4]

ولتحقيق هذا خصص الباحث القسم النظري من هذا الكتاب لبعض المصطلحات اللسانية الأساسية التي أسهمت في بلورة النظرية السيميائية، فتفحص بعض المصطلحات والمفاهيم اللسانية مراعيا في ذلك الشروط التي تم بها نقل هذه المصطلحات من اللسانيات إلى السيميائيات، فقام بضبط القضايا الآتية: (المحايثة والاختلاف، المربع السيميائي، الملفوظ

---

[1]- ينظر: علي سحنين، السيميائيات السردية في النقد الجزائري قراءة في أعمال: السعيد بوطاجين، حسين خمري، ورشيد بن مالك،(مخطوط)، ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، 2009-2010، ص:124.

[2]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.

[3]- قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي المعاصر نظرية غريماس نموذجا، (مخطوط)، دكتوراه دولة، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2003-2004، ص: 306.

[4]- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص:06.

السردي)، كما تطرق إلى مفهومي الكفاءة والأداء من المنظور التشومسكي، مبينا مدى أهميتها في فتح آفاق جديدة للبحث السيميائي. [1]

ورصد الباحث في الجزء الثاني من القسم النظري الأصول الشكلانية للنظرية السيميائية، ويمكن أن نستمد هذا الرصد من خلال هذه الفقرة التي آثرنا إيرادها كما هي، على الرغم من طولها: " لا نستطيع أن نرصد الأصول العلمية للبحث السيميائي بقطع النظر عن المظهر التنظيري العام لبحوث الشكلانيين الروس التي ظهرت خلال الحقبة الممتدة من 1915 إلى 1930 والمتميزة بمبدأ أساسي قائم على معارضتهم للمناهج التقليدية ودراسة الأدب بوصفه مجموعة شكلية تحكمها قوانين خاصة مع التركيز على العناصر النصية والعلاقات المتبادلة بينها وعلى الوظيفة التي تؤديها في مجمل النص".[2]

ويذكّر الباحث بالمفاهيم البروبية التي أسست للنظرية السردية عند غريماس، لا سيما اعتماد هذا التوجه على "الوظائف" التي تؤديها الشخصيات، وإغفالها للشخصيات، ومن ثم وجه القارئ إلى ما قام به غريماس حين اقترح صياغة جديدة للمشروع البروبي، بعد الملاحظات التي أبداها حول الخلل في تعريف الوظائف، ولذلك اقترح الحديث عن الملفوظ السردي بدل الحديث عن الوظيفة، ليتجه بعد ذلك إلى توضيح الدعم المنهجي الذي قدمته طروحات النموذج البروبي للمقاربة السيميائية انطلاقا من الانتقادات التي وجهها إليه غريماس وأسس بناء عليها خطاطته السردية التي تعد سندا مهما لفهم تنظيمات النصوص والخطابات السردية.[3]

ويجد هذا الخطاب التأسيسي الذي يقوم به الباحث " رشيد بن مالك" مشروعيته في محاولته تذليل تلك المشقة الكبيرة التي يجدها القارئ العربي في التعامل مع الأعمال التطبيقية –

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 25-28.
[2]- المرجع نفسه، ص:28-29.
[3]- المرجع نفسه، ص: 28-35.

على قلتها–وعسر استساغتها وفك رموزها ومصطلحاتها التي تتوسل بها في معالجتها للنص الأدبي. [1]

وقد عبّر كثير من النقاد عن شكهم في نجاعة البحث السيميائي نظرا لما يتميز به هذا المشروع من عمق القضايا التي بنى عليها حيثياته النظرية والتطبيقية، ولكثرة مصادرها المؤسسة له، وللطابع العلمي الذي يميز بعضها، بالإضافة إلى الصرامة التي اعتمد عليها أقطاب هذا التوجه، سواء في طريقة صياغة المفاهيم، أو الإجراءات التطبيقية..وعلى الرغم من ذلك، هناك من رأى عدم تحقيق تواصل فعلي مثمر بين النظرية الغريماسية وتحليل النصوص الأدبية وبين القارئ العربي، فلا يمكن لهذا التواصل " أن يتم حتى ولو تمثلها النقاد العرب تمثلا كاملا وصحيحا فالإشكال يبقى قائما والقطيعة تبقى مستمرة بين طرفي المعادلة" [2]، ولقد كان هذا الرهان أحد أهم الأسباب التي دفعت الباحث بعد تردد واضطراب بين اختيارين يخص الأول الإقدام على ترجمة الكتب التي تعالج التجليات السيميائية في الأعمال التطبيقية، ويخص الثاني النهوض بترجمة الأعمال التي تعمد إلى التأريخ للحركة السيميائية وضبط أصولها العلمية.[3]

إن هذه المهمة التأسيسية للنظرية السيميائية التي قام بها الباحث " رشيد بن مالك" فرضت عليه مواصلتها في ترجماته اللاحقة، ويظهر ذلك في ترجمته لكتاب " جان كلود كوكي" **السيميائية مدرسة باريس،** الذي تناول فيه أهم الاتجاهات الألسنية ومختلف المنابع والأصول العلمية للسيميائية، وكذا ترجمته لكتاب **تاريخ السيميائية** للباحثة "آن إيكو"، الذي ينزع نحو التأريخ للحركة السيميائية وخاصة جهود غريماس والبحث في الأصول العلمية التي أسهمت في بلورة نظريته.[4]

---

[1]- ينظر: قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي المعاصر، ص: 125.
[2]- المرجع نفسه، ص:308.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص:308.
[4]- ينظر: علي سحنين، السيميائية السردية في النقد الجزائري، ص:125.

ويتبين لنا من خلال هذا العرض الموجز للمقاصد العلمية التي يريد الباحث الوصول إليها من خلال وجهته التأسيسية، أنه يعطي الأولوية لطرح النظرية في أصولها الأولى وبدايتها فبل وضعها على محك التطبيق لما ذلك من فائدة في ربط التواصل بينها وبين القارئ العربي.

ويبقى في الأخير القول بإنه على الرغم مما قدمه الباحث "رشيد بن مالك" في ميدان التأصيل والتأسيس للنظرية السيميائية، إلا أنه ما تزال حاجتنا ملحة وضرورية لمثل هذه الجهود التأسيسية التي تهتم بنشأة وميلاد هذه النظريات الغربية، والتي من شأنها أن تسهم في بلورة الوعي النقدي العربي المعاصر.

2-في التنظير للمنهج السيميائي:

انطلاقا مما حققه خطاب التأسيس والتأصيل من استيعاب للنظرية في أصولها الإبستمولوجية[1] وروافدها العلمية، حاول الباحث "رشيد بن مالك" تجاوز مرحلة الاجترار والتكرار[2]، والعمل على الاسهام في تمهيد الطريق لبروز رؤية نقدية عربية لها ملامحها ومميزاتها الخاصة بها.

وفي هذا الإطار، حاول الباحث رصد مكامن الخلل في التجربة النقدية العربية الجديدة بعامة، والسيميائية بخاصة، وبيان أسباب ذلك،" مقترحا في هذا الصدد بعض الحلول والبدائل العلمية التي يمكن بمقتضاها تجاوز جملة من العوائق المعترضة سبيل تحقيق نقلة نوعية في وعينا وفي خطابنا النقدي".[3]

---

[1]- ونقصد هنا بالأسس الإبستمولوجية: التصورات والقضايا التي تأتي في صورة مقولات ومبادئ ومسلمات وأحكام ذات قيمة بديهية، توجه عملية التفكير العلمي. إنها المنطلقات التي تستند إليها العلوم في تأسيسها لقوانينها، وصياغة مبرهانتها ومفاهيمها، وتضبط بها حدود مواضيعها.

[2]- ينظر: قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي المعاصر، ص:337.

[3]- المرجع نفسه، ص:337.

ويعد كتاب **البنية السردية في النظرية السيميائية (2001)**[1]، من أهم مؤلفات الباحث التي يعمد فيها إلى التنظير للنظرية السيميائية، فهو يحاول من خلال هذا الكتاب مواصلة بناء مشروعه النقدي والتأسيس لنظرية سيميائية لقراءة وتحليل النصوص السردية، وذلك عن طريق " الاقتراب أكثر من مفاهيمها وأدواتها ومصطلحاتها محاولا تبسيطها وتقريبها أكثر من القارئ العربي". [2]

وقد قسم الباحث كتابه إلى ثلاثة مباحث رئيسية، سعى في المبحث الأول على " النظر في المكون السردي، والآليات التي تحكمه، والقواعد التي تضبطه بدءا من التحديد النظري للبرنامج السردي الذي يستند إلى تحليل مكونات البنية السردية، وفحص العلاقات الموجودة بين الفاعل والموضوع التي ترتهن في وجودها إلى مجموعة من الحالات والتحويلات التي تكوّن في تواليها نظاما قادرا على كشف بنية المكون السردي".[3]

أما المبحث الثاني فقد جاء عبارة عن ترجمة لنص "برنار بوتي" الذي يعرض فيه مناقشة تحليلية لبعض القضايا النظرية المتعلقة بالمستوى السطحي في المشروع السردي الغريماسي[4]، وقد خصص المبحث الأخير من هذا الكتاب لترجمة نص "جان كلود كوكي"، تناول فيه السيرة الذاتية والعلمية لغريماس.[5]

ويعتبر الباحث مؤلفه "**البنية السردية في النظرية السيميائية**" امتدادا لمشروعه حول السيميائية من حيث " الإطار المنهجي العام الذي يقوم عليه التدقيق في المفاهيم النظرية والاشتغال بالمصطلح السيميائي، وقد عزز مسعاه بتقديم نماذج تطبيقية تعكس الدراسة

1- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001.
2- علي سحنين، السيميائية السردية في النقد الجزائري، ص:126.
3- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص: 08.
4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 44-47.
5- ينظر: المرجع نفسه، ص:52.

العمودية للنص الأدبي وهو الجانب الغائب في الدراسات العربية، التي تركز غالبا على الدراسات الأفقية".[1]

ورغبة في تقريب المفاهيم والتمثيل لها، يصوغ الباحث ما تحقق له من إنجاز عبر رسومات توضيحية " يتوخى فيها البساطة والوضوح المؤسسين على البناء العلمي" [2]، كما أنه " يهيئ للقارئ أرضية صلبة تمكنه من اختراق حجب الضوابط التي كثيرا ما كانت تبدو مغلقة نظرا لكثافة النصوص الأصلية في موضوع السيميائية وتراكم مصطلحات هذا العلم".[3]

وتعد هذه الدراسة **البنية السردية في النظرية السيميائية** واحدة من المحاولات النقدية الجادة والمتميزة في الدراسات السيميائية العربية، إن على مستوى الطرح المنهجي الذي يقدمه الباحث، او على مستوى الأهداف والنتائج المحققة.

أما عن المنهج، فيلاحظ أن الدراسة " جمعت بين النظرية والممارسة التطبيقية لتحليل النصوص السردية، والترجمة لنصوص في النظرية السيميائية" [4]، وبهذا يكون الباحث قد حقق نوعا من التكامل بين الأجزاء المكونة لهذه الدراسة، فلا يشعر القارئ معه بالانفصال عن الأصول الفكرية والثقافية والعلمية التي احتضنت نشأة السيميائيات الأوربية ومصادرها الأولى، لا سيما لسانيات دي سوسير، فكل العناصر تتآلف وتتعالق في إطار نسيج منهجي عام يقوم على مقدمة ضابطة للعمل وعناصر متكاملة.[5]

ويقوم الباحث بعرض مجموعة من القضايا من خلال تعرضه للبنية السردية في النظرية السيميائية، فيبدأ بالربط بين مفهومي الحالة Etat والتحويل Transformation، مستندا على العلاقة القائمة بين الفاعل وموضوع القيمة، مركزا على المفهومين ليصف البنية السردية في

[1]- شرشار عبد القادر، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009،ص:192.
[2]- المرجع نفسه، ص: 194.
[3]-المرجع نفه، ص:194.
[4]- المرجع نفسه، ص:195.
[5]- المرجع نفسه، ص:196.

النص بأنها تتقدم على شكل تتابع للحالات والتحويلات المتنوعة التي تؤطر وتتحكم في مختلف العلاقات القائمة بين العوامل.[1]

ويلجأ الباحث –أحيانا– إلى الاستعانة ببعض الأمثلة البسيطة سعيا منه للإيضاح وتسهيل إدراك المفهوم والتعامل معه، من ذلك مثلا " تعبر الحالة في النظرية السيميائية عن الكينونة Etre (وجدت زيدا مريضا)، أو الملك Avoir(يملك زيد ثروة)، وتستعمل للدلالة أيضا على العلاقة/ الوظيفة (و/ف) التي تربط الفاعل بالموضوع (ف،م)".[2]

ويذّكر الباحث في هذا الصدد ببعض البحوث السيميائية العربية التي تستعمل مفهوم الموضوع ومفهوم القيمة على أنهما شيء واحد، لذا أقدم على تبسيطهما ورفع اللبس والتداخل الذي يشوبهما، انطلاقا من البحوث اللسانية التي استثمرها غريماس في بناء مشروعه السيميائي.

وقد خلص بعد استعراضه لمختلف التفسيرات المتعلقة بالموضوع والقيمة إلى "أن الموضوع لا يدرك في استقلاليته بل في تحديداته، وأن هذه التحديدات ترتسم في المظهر الخلافي للموضوع الذي يؤسس قيمته اللسانية ويعد في ذات الوقت سنادا مرهونا بوجود القيم. لذلك فإن التقاط المعنى لا يلقى في طريقه إلى القيم التي يرتهن إليها الموضوع في وجوده".[3]

وأما القيمة اللسانية فإنها " لا تتحقق في تفردها، ولا توظف لذاتها بل تستمد وجودها من هذه الرغبة الدفينة التي تمتلك كيان الفاعل وتقوده إلى الصراع من أجلها وتملكها. من هنا جاء تعريف الموضوع بوصفه حيزا توظف فيه قيم تقترن بالفاعل أو تنفصل عنه".[4]

وتأسيسا على ما سبق، يتضح أن الفاعل وموضوع القيمة يعتبران عنصرين أساسين في تشكيل البرنامج السردي، يستمد الأول وجوده الدلالي من العلاقة التي يقيمها مع القيمة

---

[1]- ينظر: رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص:04.
[2]- المرجع نفسه، ص:04.
[3]- المرجع نفسه، ص: 09.
[4]- المرجع نفسه، ص:09.

المستهدفة، أما الموضوع وهو العنصر الثاني في هذه العلاقة، فلا يمثل في واقع الأمر إلا ذريعة، أو حيزا تستثمر فيه القيم المستهدفة، ويفضي إلى توسيط العلاقة بين الفاعل ونفسه.[1]

وقد قام الباحث بعد تحديده المفصل لمفهومي "الموضوع والقيمة"، بتقديم عرض تحليلي للبرنامج السردي وأسسه النظرية ومكوناته ولأطواره المتعاقبة (التحريك، الكفاءة، الأداء، التقويم) مستعينا ببعض الرسوم البيانية، رغبة منه في توضيح المفاهيم وتبسيطها.

وما يلاحظ في هذا الصدد هو أن الباحث " رشيد بن مالك" لا يشير إلى مصادر غريماس وتقاطعاتها مع مشاريع أخرى، سواء في تحدي المفاهيم الإبستمولوجية، وأحيانا أخرى في طبيعة المصطلحات نفسها، التي يستعيرها من مشاريع أخرى، كالمشروع الغلوسيمي لهيمسلاف الذي تقاطع معه كثيرا، واستخدم أحيانا بعض المصطلحات المتداولة فيه، بالإضافة إلى التأثر الواضح والتقاطع الكبير مع المشروع اللساني التشومسكي، وإن كان غريماس يحتفظ لنفسه دائما بتحديد موضوعه في مجال الدلالية، الأمر الذي ألغاه هيمسلاف من مجال اشتغاله في كتابه المشهور.[2]

ويهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى التأسيس لنظرية نقدية عربية حديثة في مقاربة وتحليل النصوص الأدبية، ولكن ليس من السهل الحديث عن نظرية نقدية عربية في ظل الانشقاق والاختلاف الذي تشهده الساحة النقدية العربية، كما أنه لا يمكن تحقيق ذلك بواسطة جهد فردي لناقد واحد، فهذا يتطلب جهودا مضنية وإسهامات كثيرة لعدد من النقاد المتخصصين، إضافة إلى هذا فإن العمل التنظيري الذي يهدف إلى صنع نظرية نقدية عربية حديثة يتطلب جملة من الشروط أهمها:

-الانطلاق من الواقع الأدبي المعاصر.

-الانطلاق من موقف تراثي محدد.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص:09.

[2] -Hjelmslev , L, Prolégomènes a une théorie du langage, Paris, Les éditions de Minuit,1968-1971.

-الانطلاق من المناخ الأدبي المعاصر.[1]

3- في الترجمة للنظرية السيميائية:

تعد حركة الترجمة رافدا من روافد إثراء البحث السيميائي في النقد العربي، لذلك توجه الناقد "رشيد بن مالك" إلى ترجمة المؤلفات الأم في هذا المجال، وما يميز هذه الترجمات اختيار أعمال الأصول في حقل الدراسات الأدبية والنقدية من مختلف اللغات، وإن كانت نسبة الأعمال الفرنسية المترجمة هي الأعلى بحكم اللغة.

وسعيا منه لإثراء مشروعه النقدي، وخدمة للقارئ العربي، عمل الباحث على ترجمة نصوص في النظرية السيميائية ضمّنها مؤلفه **السيميائية، الأصول، القواعد، التاريخ** [2]، يبدأ الكتاب بتقديم مثير للشجن، يحيط فيه المترجم بالظروف غير المواتية التي لا تشجع أبدا على البحث العلمي في مؤسساتنا التعليمية ومحيطنا العام، مبينا الهدف الكامن من وراء القيام بترجمة هذه النصوص، والمتمثل في محاولة صياغة بعض الحلول لإشكالية تلقي المعرفة السيميائية في المؤسسة العلمية العربية.[3]

أما مقدمة الكتاب فكانت بقلم الباحث الفلسطيني عز الدين المناصرة، والتي يقدم فيها مسحا تاريخيا شاملا لأهم التيارات التي كان لها عميق الأثر في تطور البحوث السيميائية الراهنة والتي تشكل نقاطا معلمية للقارئ العربي.[4]

تتضمن هذه الدراسة **السيميائية، الأصول، القواعد، التاريخ** ست ترجمات متنوعة لنصوص في النظرية السيميائية موزعة على ستة أبواب، فأما الباب الأول فهو ترجمة لكتاب (تاريخ السيميائية) للباحثة "آن إينو"، الذي تناولت فيه المسار التاريخي للتفكير السيميائي الأوربي واتجاهاته المختلفة، وأعلامه وروداه، بداية من تأملات دي سوسير اللسانية مرورا بجهود

---

[1]- ينظر: علي سحنين، السيميائية السردية في النقد الجزائري، ص:129.
[2]- رشيد بن مالك، السيميائية الأصول القواعد التاريخ، مراجعة: عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.
[3]- ينظر: قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي المعاصر، ص: 327.
[4]- ينظر: رشيد بن مالك، السيميائية الأصول القواعد التاريخ، ص: 23-57.

هلمسيف وإميل بنفيست ورومان جاكبسون التي عملت على تطوير أفكار دي سوسير اللسانية، انتهاء بإسهامات الشكلانيين الروس والبنيوي فلاديمير بروب الذي شكلت مورفولوجيته للحكاية الشعبية الروسية سندا معرفيا ومنهجيا مهما لمدرسة باريس الفرنسية السيميائية ولرائدها غريماس في بناء مشروعه السيميائي.[1]

كما ركزت الباحثة الفرنسية "آن إينو" على أعمال غريماس باعتبارها استثمارا للإرث النقدي السابق، مما مكنه من صياغة نظرية سيميائية متجانسة في تحليل الخطابات السردية، كما قامت الباحثة بعرض هذه الأسس النظرية والنقدية التي بنى عليها غريماس نظريته، وذلك من خلال تتبعها لأهم أعماله النقدية والسيميائية. [2]

أما الباب الثاني، فخصصه الباحث لترجمة نص **السيميائية الأدبية** ل"ميشال أريفيه" والذي يقول بشأنه، أنه ترجمه منذ مدة طويلة، لكنه لم يكن يفكر في نشره في تلك الفترة، لكونه كان يشعر بأن هناك شيئا ما ينقص هذه الترجمة، لكنه عاد إليها فيما بعد فأجرى بعض التعديلات عليها خاصة فيما يتعلق بضبط المصطلحية المعتمدة، مع مراعاة الجهود العربية المبذولة في هذا المجال، لتفادي كل ما من شأنه إثارة اللبس أو الاضطراب في نقل المصطلح.[3]

يناقش ميشال أريفيه العديد من القضايا المتعلقة بالنظرية السيميائية، من ذلك إشكالية تعدد المصطلحات والتسميات الخاصة بالسيميائية (سيميائية، سيميولوجيا، سيميائية تحليلية) وكذا الفروقات والاختلافات المنهجية والمصطلحية بين النقاد المعاصرين (بيرس، سوسير، هيمسلف، غريماس، رولان بارت، كريستيفا...) حول مجالات وميادين استعمال هذه المصطلحات المتعلقة بالسيميائية.[4]

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 104-124.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 185.
[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص: 08.
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 197-201.

أما ثاني قضية يناقشها ميشال أريفيه في هذا النص فتتعلق بالامتزاج والتقاطعات المنهجية التي تشهدها السيميائية الأدبية مع غيرها من الحقول المعرفية والنقدية (اللسانيات، البنيوية...) كما تطرق إلى معالجة قضايا أخرى تخص إشكالية النص المفتوح والنص المغلق، وعالج أيضا قضايا من قبيل إشكالية مرجعية النص الأدبي، وإشكالية النص الأدبي باعتبارهما تجل لكلام الإيحاء، وكذلك إشكالية النص الأدبي باعتباره انزياحا بالنسبة إلى المعيارية.[1]

وتتمثل آخر إشكالية تفحصها هذا النص في السيميائية الأدبية ومفهومها في الخطاب البنيوي الذي تأثر بأعمال (سوسير، هيمسليف، جاكبسون، ليفي ستراوس، غريماس، جان كلود كوكي، جوزيف كورتيس، جيرار جنيت...) كما تطرق إلى الخطاب الما بعدي / أو الضد بنيوي مركزا على جهود جوليا كريستيفا، هذا بالإضافة إلى ما قدمته جماعة "تيل كيل" و"رولان بارت" في بعض أعماله التي انقلب فيها ضد الخطاب البنيوي متبنيا خطاب السيميائية ما بعد البنيوية.

وقد انتهى الباحث ميشال أريفيه إلى تحديد مفهوم للنص من منظورين مختلفين: منظور السيميائيات البنيوية ومنظور السيميائيات التحليلية.[2]

أما الباب الثالث فقد خصصه الباحث "رشيد بن مالك" لترجمة نص " **السيميائية نظرية لتحليل الخطاب**" لمؤلفيه "جان كلود جيرو" و"لوي باديية"، وهي دراسة يقول بشأنها المترجم:" أثارت انتباهي لما تتسم به من بساطة في الأسلوب وتمثل واضح لقواعد النظرية السيميائية وتدعيمها بتمارين تطبيقية يحتكم رصد مستويات التحليل فيها إلى بناء خاضع لتدرج يرقى بالقارئ من الملموس إلى المجرد ومن البسيط إلى المعقد."[3]

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 201-203.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 213-214.
[3]- المرجع نفسه، ص:10.

ويتناول الباحثان في هذه الدراسة بالعرض والتحليل أهم القضايا التي تطرحها النظرية السيميائية في مقاربتها للنصوص الأدبية، نذكر منها:

- تحليل المستوى الخطابي (الصور، المسارات الصورية، القيم الموضوعاتية، الصوري/الموضوعاتي).
- تحليل المستوى السردي (أطوار الرسم السردي، التحريك، الكفاءة، الأداء، التقويم).
- البعد الجدالي.
- المستوى المعارفي.
- المستوى التداولي.
- تحليل المستوى المنطقي الدلالي (المربع السيميائي، نظام العلاقات ونظام العلامات).[1]

وفي الباب الرابع قدم الباحث "رشيد بن مالك" ترجمة بالاشتراك مع الناقد "عبد الحميد بورايو"، وهي دراسة تطبيقية بعنوان (التحليل السيميائي للخطاب: التشاكل والترابط بين التعبير والمضمون: الموكب الجنائزي) ل جوزيف كورتيس.

يبدو للقارئ أن هذه الدراسة تستثمر النظرية السيميائية لفهم وتأويل الظواهر النصية والاجتماعية، بوصفها مجموعات دالة يتطلب إدراكها، وبناء عناصرها من الداخل، والاطلاع على الآلية التي تحكمها.[2]

ويقف وراء اختيار هذه الدراسة التي قام بها أحد أبرز السيميائيين المعاصرين ومؤسسي السيمياء الغريماسية جوزيف كورتيس اعتباران أساسان، " أولهما: إشعار الباحثين المهتمين بالدراسات الأنتروبولوجية بأهمية الاقتراب السيميائي من الظواهر الاجتماعية، وضرورة العمل على تجديد الخطاب في العلوم الاجتماعية باللجوء إلى الأدوات الإجرائية المسخرة في

---

[1]- المرجع نفسه، ص:105-125.
[2]- المرجع نفسه، ص:20.

التحليل السيميائي. وثانيهما إشعار القارئ العربي بأن التحليل السيميائي تجاوز دراسة النصوص إلى حقول معرفية أخرى، وهذا دليل على مصداقيته وفعاليته العلمية. وإن الباحثين من ذوي التخصصات المختلفة ملزمون في الوضع الراهن للبحث بإقامة تواصل وحوار متواصلين بخصوص المستجدات الطارئة على الفكر العربي."[1]

وقد حاول المترجمان توخي الدقة والأمانة والحذر، سواء تعلق الأمر بضبط المصطلح وتحديده أم بصياغة التأويلات الممكنة للسياقات النصية، "ففي ضبط المصطلح سعى المترجمان جاهدين إلى الاشتغال عليه تارة بالارتكاز على ما هو متوافر بين أيديهما من ترجمات عربية في هذا المجال، وتارة أخرى بالاجتهاد الشخصي بحسب ما يناسب المقام، وإذا تعذر تحقيق أحد الأمرين يتم الاحتفاظ بالمصطلح الذي يؤدي وظيفته الدلالية في السياق العام للنص المترجم." [2]

ثم جاء الباب الخامس ترجمة لنص **السيميائية: مدرسة باريس** لمؤلفه "جان كلود كوكي" الذي تناول أهم الإنجازات التي حققتها مدرسة باريس السيميائية، كما قدم تحليلا معمقا للتيارات اللسانية والعلمية، التي كان لها الأثر البالغ في بلورة المعرفة السيميائية.

ويعتبر "رشيد بن مالك" هذه الترجمة امتدادا لبحوثه السابقة الهادفة إلى رسم النقاط المعلمية التاريخية والأسس العلمية للبحوث السيميائية الراهنة.[3] ويذكر الباحث الأسباب الحقيقية التي دفعته لاختيار هذه الترجمة، إذ يقول إنه وقف حائرا بين اختيارين: الاختيار الأول يخص ترجمة الأعمال التطبيقية السيميائية، ذلك لأن الساحة النقدية العربية تفتقد إلى مثل هذا النوع من الدراسات، فإن القارئ العربي يجد مشقة في فهمها واستيعابها وفك رموزها ومصطلحاتها،

---

[1]-المرجع السابق، ص: 20.
[2]- قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي المعاصر، ص:331.
[3]- ينظر: رشيد بن مالك، السيميائية الأصول القواعد التاريخ، ص: 11.

فكيف يتمثل ما يقرأ –يتساءل الباحث– وهو يفتقر إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعتها السيميائيات، كما يفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفهومية بين هذا المصطلح أو ذاك.[1]

ويضيف الباحث أن كثيرا من الترجمات ترد مفككة يغلب عليها الغموض والتضارب في الآراء والخلط بين المفاهيم، مما يؤثر سلبا على البحوث النقدية العربية، فهذا الوضع المتأزم الذي آل إليه القارئ العربي – يواصل الباحث– من شأنه أن يضع بينه وبين المعرفة الوافدة جدارا سميكا، يصعب عليه اختراقه لتحقيق التواصل العلمي الإيجابي.[2]

ولتوضيح هذه الفكرة، يعلق قائلا:" إن هذا الوضع المأزوم هو الذي حرضني على تبني الاختيار الثاني، الصادر عن قناعتي بأن القطيعة بين القارئ العربي والتيارات البنيوية والسيميائية، تفسر بعض جوانبها بافتقار المكتبة العربية إلى المؤلفات المتضمنة الأصول العلمية التي مهدت لظهور السيميائية. ويعتبر إدراك هذه الأصول التي تتفرع إلى حقول معرفية متنوعة أساسا في خلق المرجعية العلمية، التي استمدت منها السيميائية أجهزتها المصطلحية وأدواتها الإجرائية المتبدية بشكل واضح في التمارين التطبيقية. لهذا كله أقدمت على ترجمة هذا النص."[3]

النص الأخير الذي يعمل الباحث على ترجمته في هذا الكتاب هو نص السيرة الذاتية والعلمية لغريماس من تأليف " جان كلود كوكي". وتعد هذه الدراسة رصدا لأهم إنجازات الحركة السيميائية ذات التوجه الغريماسي، حيث سعى الباحث "جان كلود كوكي" من خلالها " إلى التأريخ لهذه الحركة، وتجلية أرضياتها البحثية، والتوجهات العلمية التي مهدت لظهورها والجمعيات الدولية، التي تبنت طروحاتها ومراكز البحث التابعة لها، وذلك من خلال السيرة الذاتية والعلمية للباحث أ.ج.غريماس، الذي يعد واحدا من المؤسسين البارزين للسيميائية، ولم يكتف الباحث كوكي بالتدقيق في أهم الملابسات التاريخية، التي رافقت نشأة السيميائية،

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص:11-12.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 12.
[3]- المرجع نفسه، ص: 12.

بل تعدى ذلك لينتقل القارئ إلى محطات أخرى، بهدف الكشف عن التوجهات المعرفية لغريماس، واسهاماته العلمية المتنوعة في تخصصات مختلفة."[1]

وبهذا الدراسة **السيميائية الأصول القواعد التاريخ** يكون الباحث "رشيد بن مالك" قد قدم للقارئ العربي ست ترجمات متنوعة في النظرية السيميائية، لها أهميتها البالغة ومكانتها المتميزة في الوسط النقدي السيميائي العربي المعاصر، فهذه النصوص المترجمة يمكن إدراجها ضمن الخطاب الواحد (الواحد المتنوع)، فعلى الرغم من تنوع مؤلفيها "ميشال أريفيه وجوزيف كورتيس آن إينو وغيرهم" إلا أنها نصوص لا تخرج في جملتها عن تلك التوجهات التي تحددها السيميائيات السردية كما عرفت عند غريماس وأتباعه، ولا عن الشروط التي تفرضها، لذلك نحسبها مرجعا علميا مهما للنقاد والأساتذة والطلاب، ليس فقط من حيث قيمتها العلمية، وإنما في ظل الفراغ الرهيب الذي تشهده حركة الترجمة في الجزائر.

ويمكن أن نضيف في هذا السياق، ترجمة كتاب **تاريخ السيميائية** [2] للباحثة "آن إينو" التي اضطلع بها الباحث "رشيد بن مالك"، تكشف هذه الترجمة " عن ذلك التقاطع المعرفي عبر نقل هذا الكتاب من الفرنسية إلى العربية بمستويات لغوية تمكن القارئ العربي من فك شفرات النص وتتبع مسار السيميائيات تاريخيا، والوقوف عند أقطابها وأعلامها وحقولها المعرفية."[3]

يقول الباحث بأن هذه الترجمة " جاءت نتيجة للقاء جمعني بالباحثة آن إينو بباريس يوم 20-01-2002. وقد كان هذا اللقاء مثيرا كما أشارت إلى ذلك في نهاية الجلسة، حدثتني عن أمور كثيرة عن صمودها، وعن قناعتها العلمية الراسخة، ولقاءاتها بطه حسين، نجيب محفوظ، يوسف إدريس، توفيق الحكيم، والساعات الأخيرة من حياة أ.ج.غريماس."[4]

---

[1]- المرجع نفسن÷ ص:13.

[2]- رشيد بن مالك، تاريخ السيميائية (ترجمة)، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر ودار الآفاق، الجزائر، 2004.

[3]- محمد تحريشي، الفعل الترجمي والسيميائية، مجلة بحوث سيميائية، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، جامعة تلمسان، الجزائر، العددان 07-08، 2010-2011،ص:159.

[4]- رشيد بن مالك، تاريخ السيميائية، ص:09.

كما اقتضت منهجية الترجمة الأخذ بالتحري العلمي الجماعي، حيث تم لقاء آخر بين المؤلفة والمترجم ومساعديه (عبد القادر بوزيدة، عبد الحميد بورايو)، حيث يقول الباحث عن هذا اللقاء:" تنهض هذه الخطة في المقام الأول على محاورة الباحثة آن إينو في كثير من المسائل ذات الارتباط الوثيق بالفكر السيميائي المعاصر وأهم توجهاته الراهنة من بداية السبعينات إلى يومنا هذا والإشكالات المصطلحية المتصلة مباشرة بالكتاب."[1]

ويواصل الباحث الحديث فيقول " وبعد أن انتهينا من المرحلة الأولى، أعدت صياغة البحث من جديد، وفي ضوء الملاحظات المسجلة في أثناء اللقاءات العديدة التي جمعتنا، سلمت البحث المترجم لصديقي الأستاذ بوزيدة عبد القادر الذي تجشم عناء قراءة، ومراجعة النسختين الفرنسية والعربية."[2]

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الباحث كان حريصا على نسب الفضل للأستاذ بوزيدة الذي " بذل مجهودا كبيرا نلمسه في تتبع النص المترجم والنسخة الأصلية كلمة كلمة، سطرا سطرا، فقرة فقرة حتى نهاية الكتاب، وفي أثناء ذلك قد يقترح ترجمة مصطلح، أو يناقش فكرة (...) تثير بعض الالتباس عند القارئ."[3]

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة المؤلفة ومقدمة المترجم ومقدمة الكتاب، وقد جاء الكتاب مقسما إلى قسمين، اشتمل القسم الأول منه الموسوم ب (سوسير والسيميولوجيا) على ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول سوسير نموذجا (المأساة الخفية) لحياة متقشفة 1857-1913 وسوسير الظاهرة، وخصص الفصل الثاني للحديث عن المشروع العلمي، والفصل الثالث للتفرد اللساني.

---

[1]- المرجع نفسه،ص:09.
[2]- المرجع نفسه، ص: 09.
[3]- المرجع نفسه، ص:09.

أما القسم الثاني من الكتاب الموسوم ب (من اللساني إلى السيميولساني) فقد تناولت فيه الباحثة" آن إينو" الحديث عن لوي هلمسيف كما تحدثت عن سوسير وتابعه ومنظر التوفيقات الدلالية وجبر اللسان وغيرها من القضايا.

يطرح هذا الكتاب عدد من المعلومات تستوجب من القارئ معرفة حتى يتم التواصل بينه وبين الكتاب، الذي اعتصرت فيه الباحثة "آن إينو" التجربة السيميائية عبر عصور طويلة، فكتاب (تاريخ السيميائية) موجه لمن له معرفة بالسيميائية وبأعلامها وتوجهاتها العامة، ذلك لأن الباحثة اعتمدت على الإشارة إلى مصادرها ومراجعها باقتضاب واقتطاع واختيار للمعلومة من دون تفصيل أو تبسيط مستفيض.[1]

ولكن هذه الترجمة عرفت بعض الملاحظات يمكن إدراجها في النقاط التالية:

- عدم احترام المنهجية في التعامل مع المصادر والمراجع التي وظفتها الباحثة آن إينو، فقد تترجم هذه المراجع إلى العربية وقد ترسم بحروف لاتينية، وتذكر باللغتين.
- الإخراج الفني والأخطاء المطبعية.
- جاءت بعض التراكيب أبنية تحتاج إلى المراجعة كعطف المضاف النكرة على المضاف النكرة قبل ذكر المضاف إليه.
- صعوبة توليد المصطلحات العربية المكافئة للمصطلحات الفرنسية لاختلاف البنية اللغوية، أو لعدم وجود المصطلح أصلا في اللغة العربية فيعتمد على القياس أو على الاشتقاق.[2]

وعلى الرغم من هذه الملاحظات فإنه لا بد من القول بأن مزية الترجمة التي يقدمها الباحث "رشيد بن مالك" سواء في هذا العمل أم في غيره من الأعمال الأخرى، لا تكمن فقط في دقة

---

[1]- ينظر: محمد تحريشي، الفعل الترجمي السيميائية، ص:164-165.
[2]- ينظر: المرجع السابق، ص:165.

ضبط المصطلح وتحديد دلالته، بل وتكمن أيضا في تلك الإحالات والتوضيحات التي غالبا ما يذيل بها ترجماته، والتي تسلط الضوء على كثير من القضايا التي يستغلق فهمها في المتن، خدمة للقارئ وللبحث العلمي بصفة عامة.[1]

ولكن تجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن عملية الترجمة ليست عملا بريئا، باعتبارها إحدى أكثر الممارسات اللغوية تعقيدا نظرا لما تتطلبه من مهارة تمثل النص المترجم تمثيلا مدركا لخصائصه البنيوية وقرائنه الثقافية، فهي لا تقتصر على عملية التحويل والنقل من لغة إلى لغة أخرى، وإنما ينبغي النظر إلى كل لفظة على أنها كائن لغوي مرتبط بالممارسات الإنسانية ويختزن تراثا تاريخيا وثقافيا.[2]

وإن كانت الترجمة رافدا من روافد البحث السيميائي في النقد العربي المعاصر، فإنها يمكن أن تكون مصدرا لسوء فهم كثير من القضايا النقدية لا سيما المصطلحية، نتيجة غياب مرجعية النص النقدي المترجم، أي عدم الإلمام بالسياق التاريخي والأسس النظرية لهذا النص، وربما يكون هذا الغياب هو السبب الرئيسي في صعوبة فهم وسوء استيعاب القارئ العربي للمناهج الغربية.[3]

إن ما يمكن استخلاصه هو أن ما يميز الجهود الترجمية العربية بصفة عامة افتقارها لاستراتيجية ترجمة وتعريب تراعي خصوصيات المصطلح السيميائي في بيئته وفي البيئة المنقول إليها، وكذا وقوع هذه الأعمال والجهود المترجمة في الانتقائية وافتقارها إلى الجهود المتخصصة والواعية بقضايا الترجمة والتعريب والمصطلح [4]، إضافة إلى ذلك عدم توحيد الجهود في ترجمة الأعمال والمصطلحات السيميائية، فكل ناقد قد انطلق من اجتهادات شخصية تختلف عن اجتهادات غيره من النقاد.

1- ينظر:قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي المعاصر، ص: 331-332.
2- ينظر: خمري حسين، الترجمة والسيميائات، ضمن كتاب "أهمية الترجمة وشروط إحيائها"، دار الهدى ، الجزائر، 2007، ص:121.
3- ينظر: حليمة الشيخ، ترجمة النص النقدي وغياب المرجعية، ضمن كتاب " أهمية الترجمة وشروط إحيائها"، ص:61-62.
4- ينظر: علي سحنين، السيميائية السردية في النقد الجزائري، ص:135.

خامسا: المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر

عرف الوطن العربي القراءات السيميائية منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي، وأخذت تتأسس خلال ثمانينات ذلك القرن من بوابة بلاد المغرب العربي ،و من ثم المشرق العربي وهذا من خلال الأقلام التي أسهمت في هذا الحقل. نشير على وجه الخصوص لا التعميم لكل من "محمد مفتاح ،وعبد الفتاح كليطو، ومحمد الماكري ،والسعيد بنكراد من المغرب ،وعلي العشي ،وسمير المرزوقي من تونس ،وإلى عبد المالك مرتاض وعبد القادر فيدوح ، ،وعبد الحميد بورايو ،ورشيد بن مالك ،والطاهر روانية في الجزائر وعبد الله الغذامي في السعودية ،ومحمد خير البقاعي من سوريا وهناك لبنانيون وعراقيون ومصريون"[1].

وعلى الرغم من الاهتمام البالغ من النقاد العرب بهذا المنهج الجديد، والذي يبدو أنهم وجدوا فيه ضالتهم في تحليل النصوص، إلا أن "مشكلة غياب استراتيجيات واضحة بأساسياته التي نشأ عليها في أوربا ظلت المشكلة والعائق الأول في الاسترسال النقدي السيميولوجي نظرا لحداثة الموضوع على الثقافة العربية النقدية المعاصرة "[2] ذلك أننا نلاحظ الاختلاف في ترجمة المصطلحات المتعلقة بحقل السيمياء ،بداية من مصطلح "السيميائية " ذاته ،إذ تعددت الترجمات(كالعلاماتية ،الإشارتية ،علم العلامات) أو غيرها. والسبب في هذا الاختلاف هو أن " وضع المصطلحات السيميائية في العالم العربي يختلف تماما عما عليه في أوربا، إذ لم يرق بحكم التضارب الموجود في المصطلحات المستعملة إلى بلورة نموذج مؤسس لخطاب علمي دقيق يضبط مفاهيمه، وأدواته الإجرائية الخاصة به سلفا "[3].

وقد قام النقاد العرب أو السيميائيون العرب بداية بترجمة بعض الكتب الغربية الخاصة بعلم السيمياء وتأليف بعض الكتب اللسانية السيميائية ومن ثم تأليف بعض المعجمات للمصطلحات الغربية وتعريبها ،ثم انتقلوا إلى التأليف النظري ،قبل أن يخصصوا مؤلفات

---

[1]- المرجع نفسه، ص 165.
[2]- آلية تلقي النص الشعري العربي القديم في ضوء المنهج النقدي السيميائي، عامر رضا، ص:26.
[3]- حفناوي بعلي، التجربة العربية في مجال السيمياء ،ص 161.

لتطبيق السيمياء على النصوص، وقد تناول "حفناوي بعلي" هذه الرحلة السيميائية العربية في مقالته: (التجربة العربية في مجال السيمياء)" فذكر ثلاثة أنواع من المصادر العربية الحديثة التي يمكن من خلالها دراسة واقع مصطلح السيمياء"[1]

أ : ترجمات كتاب فرديناند دي سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة" فقد عربه صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة من اللغة الفرنسية ونشر بالدار العربية للكتاب بتونس سنة 1985م بعنوان " دروس في الألسنة العامة " ثم عربه : أحمد نعيم الكرعين من جامعة (بيرزيت) بفلسطين نقلا عن اللّغة الإنجليزية ونشر بدار المعارف الجامعية بالإسكندرية سنة 1985م بعنوان "فصول في علم اللغة " ثم تعريب يوسف غازي ومجيد النصر عن الفرنسية بعنوان محاضرات في الألسنية العامة ،من نشر المؤسسة الجزائر للطباعة بالجزائر سنة1986م.والملاحظ في الترجمات أنها لم تتفق في تعريب واحد لاسم الكتاب.

ب : الكتب المؤلفة في اللسانيات والسيميائية والدلالة منها كالآتي:

*دروس في السيميائيات لـ : حنون مبارك ،المغرب1987م.

*الألسنية علم اللّغة الحديث – مبادئها وأعلامها– لـ : ميشال زكرياء.

*المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية لـ : محمد رشاد الحمزاوي 1977 م.

ج : معاجم المصطلحات :وهي تتخذ المصطلح الأجنبي منطلقا، ومنها :

*معجم المصطلحات علم اللغة الحديث (عربي انجلزي / انجلزي عربي)، وضعه نخبة من الباحثين.[2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 165.

[2]- معجم المصطلحات علم اللغة الحديث:(عربي انجلزي / انجلزي عربي) وضعه نخبة من اللغويين العرب، نشر مكتبة لبنان – بيروت، ط1، 1983.

*قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي/ انجلزي/ فرنسي) للدكتور الجزائري رشيد بن مالك.[1]

*المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (عربي/ إنجليزي/ فرنسي) وضعه نخبة من الأساتذة العرب 1989م بتونس.

وسرعان ما تطورت النظرة إلى المنهج السيميائي وازداد المثقفون العرب تعلقا به ما جعل إصداراتهم الأدبية في حقل السيميائية ترتفع نوعا ما خاصة تلك التي يبدو تأثرهم فيها واضحا بـ"رولان بارت" الذي ترجموا كتابه "لذة النص " وتعددت الترجمات : فصدرت أول ترجمة سنة 1986م في جريدة "المحور الثقافي " بالدار البيضاء، وقام بها محمد البكري ومحمد الهروشي ،ثم الترجمة الثانية سنة 1988 عن دار توبقال المغربية، وقام بها فؤاد صفا والحسين سحبان.

وفي اتجاه بارت السيميائي يقدم المغربي "محمد السرغيني "مجموعة من المحاضرات ويجمعها في كتاب بعنوان "محاضرات في السيميولوجيا "عام 1987م، يبرز فيها نظرة بارت السيميائية للقصيدة . أما عن سيميوطيقا بيرس فنجد تأثر "سيزا قاسم" و"نصر حامد" بها في كتابهما "مدخل إلى السيميوطيقا" 1986م.

أما عن تطبيق السيميائيات في الخطاب العربي يرى الناقد "حفناوي بعلي " أنّ الناقد "علي العشي" يعد من"الرواد في تطبيقات السيميولوجيا الغربية على النص العربي من خلال دراسته التي ظهرت عام 1976م بعنوان تحليل سيميائي للجزء الأول من كتاب الأيام لطه حسين"[2].

كما أنّ "عبد المالك مرتاض" طبق المنهج السيميائي في كتابه "دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أنت ليلاي" وكتاب: " ألف ليلة وليلة" – تحليل سيميائي تفكيكي– لحكاية "حمّال

---

[1]- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي/ انجلزي/ فرنسي) يضم أكثر من 800 مادة ممتدة عبر 272 صفحة، صدر بدار الحكمة الجزائر 2000.
[2]- حفناوي بعلي: التجربة العربية في مجال السيمياء ، ص 172.

بغداد ". وما يلاحظ لدى هذا الناقد أنه يستخدم المنهج السيميائي للكشف عن نظام العلامات في النص على أساس أنها قائمة بذاتها فيه، لا مجرد وسيط، وذلك بتعريه البنية الفنية للنص الأدبي وصهرها في بوتقات التشاكل والتابين والتناص، -وكذا-الانزياح الذي يحرف الدلالة عن موضعها"[1].

هذه الدراسات النقدية وغيرها تشكل الإرهاصات الأولى للخطاب النقدي السيميائي العربي، والذي ما زال البحث فيه قيد الدراسة، وهو في حاجة إلى إعادة قراءة كالنصوص الشعرية القديمة التي مازالت تحتفظ في بنياتها العميقة بالكثير من القراءات الواعدة ضمن مناهج النقد المعاصر وعلى الخصوص المنهج السيميائي.

سادسا: إشكالية المصطلح السيميائي النقدي في الخطاب العربي الحديث والمعاصر:

تزداد يوما بعد يوم الأهمية المعرفية للمصطلح، بوصفه" بنية سيميائية ودلالية وتداولية مشتركة بين الثقافات واللغات المختلفة"[2]، وما دام المصطلح يمتلك حدا سيميائيا ودلاليا واضحا في لغته الأصلية، فإنه يتحول عند ترجمته إلى لغات أخرى إلى " لغة تفاهم مشتركة بين الثقافات والشعوب، تكتنز في داخلها رصيدا معرفيا متفقا عليه"[3].

ويمكن القول إن المصطلح هو " كلمة أو مجموعة من الكلمات، تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين، وتقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة. والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي يمتلك قوة تجميعية وتكثيفية لما قد يبدو مشتتا في التصور"[4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص174.
[2]- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، المصدر :منتديات تخاطب ta5atub.com ، ص.01.
[3]- المرجع نفسه، ص.1.
[4]-أحمد بوحسن، مدخل الى علم المصطلح: المصطلح ونقد النقد العربي الحديث ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد (60- 61)، كانون الثاني - شباط 1989، بيروت، ص. 84.

وبهذا، ينتمي المصطلح إلى فضاء لساني وسيميائي ودلالي قريب إلى حد كبير من الفضاء الذي تقف فيه كل فروع ما تسمى بالنظرية الواصفة أو الانعكاسية، حيث نجد استقصاء نظريا في حقل نظري آخر، على ذلك يمكن النظر إلى المصطلح بوصفه" دالا أو علامة من نوع خاص يمكن أن نسميه بالدال الاصطلاحي أو العلامة الاصطلاحية"[1]، والذي يمارس تأثيره الدلالي على مستوى المعنى الإيحائي.

ويعتبر رولان بارت أن المعنى الإيحائي يمثل نوعا من الانتقال من المعنى الدلالي أو الإشاري إلى معنى دلالي جديد آخر. فالمعنى الإيمائي الإيحائي يتم عندما تصبح " العلامة المتكونة من العلاقة بين الدال والمدلول دالا لمدلول أبعد"[2]. ومن هنا نرى أن المصطلح يقوم " بزحزحة المعنى الثابت للفظ إلى دلالات إيحائية وتأويلية جديدة لم يكن يحملها في السابق"[3].

وقد تنبه لهذا الأمر العلماء العرب القدامى، إذ قال الشريف الجرجاني بإن " الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل من موضعه الأول"، وحديثا ذهب مصطفى الشهابي إلى القول بإن المصطلح " يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية". بل إنه تنبه لأمر هام وهو "التفرقة بين ما أسماه بالمدلول اللغوي للمصطلح ومدلوله الاصطلاحي"[4].

وبوصف المصطلح علامة من نوع خاص، فهو " جزء من التعبير اللغوي، حيث تكون المفردة اعتباطية وغير معللة بشكل عام، وهذا لا يمنع أن يمتلك المصطلح في بعض الأحيان قوة تداولية ودلالية قريبة إلى حد ما من طاقة العلامة الأيقونية"[5].

---

[1]- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، ص. 02.
[2]- المرجع نفسه، ص.02.
[3]- المرجع نفسه، ص.02.
[4]- د. احمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1989، ص 10.
[5]- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، ص. 03.

وهكذا تحول المصطلح في الثقافة الإنسانية إلى " رسول مشترك للتواصل والمثاقفة"[1]، ويذهب مع هذا الرأي عبد السلام المسدي الذي عالج إشكالية المصطلح العلمي بقوله إنه إذا " ما كان اللفظ الأدائي في اللغة صورة للمواضعة الاجتماعية فإن المصطلح العلمي في سياق نفس النظام اللغوي يصبح مواضعة مضاعفة، إذ يتحول إلى اصطلاح في صلب الاصطلاح. فهو إذن نظام إبلاغي مزروع في حنايا النظام التواصلي الأول، هو بصورة تعبيرية أخرى علامات مشتقة من جهاز علامي أوسع منه كما وأضيق دقة. وبذلك يغدو المصطلح، علميا، بأنه شاهد على غائب، أو هو حضور لغيبة، لأنه تعبير علمي يتسلط فيه العامل اللغوي على ذاته ليؤدي ثمرة العقل العاقل للمادة اللغوية"[2].

وإذا ما كان المصطلح بشكل عام، يمتلك كل هذه الخصوصية، فإن المصطلح النقدي في خطابنا النقدي العربي الحديث بالذات، يواجه مجموعة أعقد وأوسع من الإشكاليات التي يتعين على الباحث العربي أن يتصدى لها.

أ- خصوصية المصطلح النقدي العربي الحديث:

تنشأ إشكالية المصطلح النقدي العربي أساسا في أصوله التكوينية المعقدة، بوصفه حصيلة لقوى جذب وطرد متباينة، وهي [3]:

1- المصطلح النقدي في موروثنا النقدي والبلاغي.

2- المصطلح النقدي في أصوله الغربية المترجمة.

3- صراع المناهج والمفاهيم والنظريات والعلوم اللسانية والسيكولوجية والاجتماعية والأنثروبولوجية وغيرها.

1- المرجع نفسه، ص.03.
2- د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984،ص .13.
3- ينظر: فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، ص.04.

4- محاولة تجاهل المصطلح النقدي بأنواعه أو السعي لتوليد مصطلحات جديدة بطريقة اعتباطية أو انطباعية.

فمن المعروف أن نشأة النقد العربي الحديث كانت على أنقاض جدل كبير بين اتجاهات أيديولوجية وثقافية، لا نجد لها تفسيرا في سرديات الخطاب النقدي الحديث والمعاصر، لأسباب كثيرة، لا يمكن للبحث أن يتسع لها لطابعها الأيديولوجي والفكري والحضاري؛ فهو من جهة يمتلك جذورا تراثية نقدية وبلاغية وكلامية وفلسفية عميقة، ومن جهة أخرى يتطلع إلى القيم والمفهومات الاصطلاحية التي جاء بها النقاد الغربيون. كل هذا خلق صراعا بين اتجاهات مختلفة، منها الاتجاه الكلاسيكي الذي ارتبط بالموروث اللغوي والأدبي والفكري، كان " يتوسل أساسا بالمصطلح البلاغي واللغوي والأخلاقي والفلسفي أحيانا عند تحليل ظاهرة أدبية أو نص ابداعي"[1]، متأثرا بمقولة طه حسين :"كل قديم في هذا المذهب جيد بالإعجاب لرصانته ومتانته، وكل جديد فيه ردئ سفساف لحضارته وهلهلته"[2].

غير أن هذا الاتجاه المحافظ المرتبط أشد الارتباط بالموروث، سرعان ما راح يتراجع أمام ضغوط الاتجاهات النقدية الحديثة التي اتخذت من النقد الغربي ومصطلحاته النقدية مثالا لها، وهكذا راح المصطلح النقدي الأوروبي " يجد سبيله إلى الخطاب النقدي العربي عن طريق الترجمة تارة، أو عن طريق التعريب الكلي أو الجزئي تارة أخرى "[3].

وقد أدى دخول المصطلح النقدي الغربي إلى الخطاب النقدي العربي إلى ظهور ردود أفعال متباينة تتراوح بين القبول والرفض، ما أحدث شبه افتراق/تعارض بين الاتجاهين. وما يدعو إلى الأسف أنه " لا تجري محاولة وساطة بين الاتجاهين لصياغة مصطلح نقدي عربي يفيد في آن واحد من المصطلح النقدي الموروث والمصطلح النقدي الغربي، فانحسر المصطلح التراثي إلى حد كبير، وكاد النقد العربي الحديث أن يصبح صورة مطابقة لما قدمه لنا الآخر

---

[1]- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، ص.04.
[2]- المرجع نفسه، ص.05.
[3]- المرجع السابق، ص.05.

الغربي، وربما يعود ذلك إلى تزمت المحافظين، وتطرف المجددين، وإلى المتغيرات العميقة التي بدأ يشهدها المجتمع العربي وبناء الداخلية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا"[1].

ومما زاد من حدة الصراع وقوع الخطاب النقدي العربي الحديث تحت تأثير الكثير من العلوم الانسانية والاجتماعية، مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم اللغة (اللسانيات)، إذ " راح المصطلح النقدي يستمد الكثير من مصطلحات هذه العلوم مما أدى إلى نوع من التداخل والاضطراب، حتى بات من الضروري التأكيد على خصوصية الحمولات المعرفية والمفهومية للمصطلح النقدي تمييزا له، وتفاديا للتداخل والاضطراب"[2].

وفي مقابل هذا الصراع ظل هناك اتجاه ينحو لتجاهل المصطلح الحديث، أو محاولة استخدام المصطلح بطريقة عشوائية وشخصية. ولذا فإن اعتباطية تداوله أدت إلى ضياع التوصيل والتواصل والوضوح. وقد "ترتب على ذلك، خطر الاستعمال الاعتباطي في المصطلح، لأن التحكم فيه هو في النهاية، تحكم في المعرفة المراد إيصالها والقدرة على ضبط أنساق هذه المعرفة والتمكن من إبراز العلاقة الموجودة بينهما، ولا شك أن كل إخلال بهذه القدرات من شأنه أن يخل بالقصد المنهجي والمعرفي الذي يرمي إليه مستعمل المصطلح"[3].

ب- المصطلح النقدي العربي والثورة اللسانية والنقدية:

شهد العقد السابع من القرن الماضي هزة عنيفة بفعل وصول تأثيرات الثورة اللسانية والنقدية التي شهدتها أوربا خلال الستينات أو ما قبلها بقليل، إذ " تدفقت إلى المعجم النقدي الاصطلاحي العربي المئات من المصطلحات الجديدة، منها مصطلحات لسانية حديثة وأخرى سيميائية، إضافة إلى مصطلحات نقدية استقاها الدارسون من علم الاجتماع وعلم النفس وغيرها من العلوم الإنسانية التي عرفت انتشارا واسعا. وقد أدى هذا التدفق

1- المرجع نفسه، ص.05.
2- المرجع نفسه، ص.06.
3- أحمد بوحسن، مدخل الى علم المصطلح، ص.84.

الاصطلاحي وعدم استقراره إلى حالة من الاضطراب والفوضى والتداخل، ما زلنا نلمس آثاره بادية إلى اليوم. الأمر الذي جعل من المصطلح النقدي العربي الحديث " إشكالية معقدة بحاجة إلى المراجعة والمعالجة من قبل المؤسسات الثقافية والجامعية، وهيئات التعريب في الوطن العربي"[1].

ج-إشكالية ضبط المصطلح السيميائي:

تعد مشكلة ضبط المصطلح السيميائي من الإشكالات العويصة، وتتجلى هذه المشكلة بوضوح في ذلك الاضطراب المصطلحي الذي يهمين على الساحة النقدية العربية، والمتمثل في الترجمة الواحدة للمصطلحات المختلفة، أو الترجمة المختلفة للمصطلح الواحد، والتي تتعدد بتعدد المترجمين والدارسين، فأصبحنا نتحدث عن شيء واحد لكن بلغات لا حصر لها كما يؤكد ذلك كثير من الدارسين.

والمعجم العربي لم يهتم بمصطلح سيميائية أو سيميولوجيا بأي اشتقاق كان[2] اهتماما كبيرا، ونعتقد أن هذا الأمر طبيعي، لأن المصطلح العلمي لا يدخل لسانا من الألسنة عن طريق قناة المعاجم اللغوية أو مزدوجة اللغة لينتقل بعد ذلك إلى الاستعمال في مجاله، بل على العكس من ذلك تماما، يحتاج واضعوا القواميس وصناع المعاجم لمعالجة تلك الاقتراحات في إطار عمل معجمي شامل أحادي أو مزدوج اللغة، قد يحدث أن يتم إدخال تعسفي لبعض المصطلحات إلى معاجم لا تكون لغاتها جاهزة لاستيعابها، فتبقى تلك المصطلحات، على الرغم من ذلك، غير وظيفية، غير نشطة في الاستعمال اللساني المتداول. يعني ذلك أنها تبقى من الناحية العلمية غائبة رغم حضورها في القاموس.[3]

---

[1]- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، ص.07.

[2]- يحتوي المنجد في اللغة العربية المعاصرة على مدخل سيمنتيك فقط ولا يحتوي على سيمياء أو سيميولوجيا بأي اشتقاق كان، ينظر: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المكتبة الشرقية، الطبعة الثانية، بيروت، 2001، أما تعريف سيمينتيك في المنجد في اللغة العربية المعاصرة فهو " علم الدلالة وهو أحد فروع علم اللغة ويبحث في دلالات الألفاظ والتراكيب وتطور هذه الدلالات".

[3]- ينظر: جمال بلعربي، قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، مخطوط دكتوراه، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2012/2011، ص: 121.

لهذا نحن لا نستغرب غياب هذا المصطلح، شبه الكلي أو الكلي، من المعاجم والقواميس العربية فهو في الأصل غير مندمج إلى درجة كافية في الثقافة الأكاديمية العربية لكي يفرض نفسه على صناع المعاجم، فالمصطلح المترجم " يدخل المعجم عندما يكون له مفهوم دقيق وواضح وموحد وعندما تكون لمفهومه مكانة في الأنساق المعرفية تتحلى بأهمية المصطلح العلمي المستعمل في التطبيقات والدراسات"[1] ، ونعتقد أن هذا غير حال مصطلح السيميائية في الثقافة العربية.

في هذا المستوى من البحث، قمنا بقراءة استقصائية لمصطلح السيميائية من حيث وجوده وترجمته وتعريفه في مجموعة من المراجع تعبر عن واقع التلقي العربي والاستثمار العربي للأفكار الجديدة في علوم اللغة وفي السيميائية، فكانت نتائج الاستقصاء كالتالي:

من أقدم المؤلفات العربية التي أوردت مصطلح السيميائية يرجع إلى سنة 1958، وهو كتاب علم اللغة ل "محمود السعران"، حيث ترجم مصطلح السيميولوجيا إلى علم العلاقات ويعتبر علم اللغة جزءا منه، بحيث يقول: " اللغة نظام من العلاقات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية. علم اللغة جزء من علم أعم هو علم العلاقات (السيميولوجيا)."[2]

ثم في سنة 1960 نجد تعبيرا غير دقيق ل "تمام حسان" حول هذا المصطلح، حيث يتحدث عن السيميولوجيا قائلا إنها: " دراسة المعنى في حالة سينكرونية في هذا النوع من فروع الدراسة يجب أن يستخدم علم النفس، والاجتماع، والأنتربولوجيا، ليقرر أبوابه ويصف حقائقه وأن علم اللغة لن يصبح علما بغير اعتبار هذا الفرع."[3]

وحسب رأينا فإن هذا التعبير بعيد عن مفهوم السيميائية التي تقوم على مبدأ المحايثة، الذي يدرس اللغة من حيث هي بنية مكتفية بذاتها، فلا تحتاج في البحث عن دلالاتها إلى ما هو خارج عنها، بل تنطلق من علاقاتها الداخلية للوصول إلى الدلالة.

---

[1]- المرجع السابق، ص:122.
[2]- محمد السعران، علم اللغة، القاهرة، 1959، وهو اصدار ثان عن اصدار مجلة كلية التربية والآداب بنغازي، 1958.
[3]-تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، 1960.

أما في الثمانيات، فقد ظهرت ترجمات للمصطلح منها علم الرموز Sémiologie، السيميوتية (علم الرموز/ العلامات) Semiotics[1] ، ثم نجد عمد "بسام بركة" الترجمة التالية: سيمياء علم الاشارات أو العلامات Sémiologie، ونجد أيضا علم الرموز، علم العلامات، سيميائية " علم يبحث عن الرموز اللغوية وغير اللغوية Sémiotique"[2]، ويقترح "عبد السلام المسدي" هذه الترجمة سيميائية وعلامية (سيميولوجيا).[3]

وفي 1987 يقترح "حنون مبارك" ترجمة أخرى هي: سيميائيات، سيميولوجيا Sémiologie، سيميوطيقا Sémiotigue.[4]

في الفترة نفسها اقترح " الطيب بكوش" عند ترجمته ل "جورج مونان" ترجمة عدد هام من مصطلحات علوم اللغة منها السيميائية فيترجمها كالتالي: دلائلية (علم الدلائل) Sémiologie, Sémiotique.[5]

في 2002 ترجم "عبد المجيد شاكر" المصطلح إلى " السيميولوجيا، علم العلامات Sémiology، علم العلامات Semiotics"، وألحق الترجمة بشبكة من الاشتقاقات لهذه المفردات.[6]

غير أننا نجد في سنة 2008 من يغفل المصطلح مثل "قاموس المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية."[7]

هناك أيضا من المعاجم ما لا يورد المصطلح في سنة 2005 [1] وفي سنة 2008[2] على الرغم من أن واحدا من أهم المعاجم وأكثرها انتشارا في المكتبات العربية أورد المصطلح وعرفه كما يلي:" السيميائية: علم الإشارات، وهو علم غايته تمكين المعنى في ذهن المخاطب."[3]

---

[1]- معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت،1983.
[2]- بسام بركة، معجم اللسانية، جروس، طرابلس، (د.ت).
[3]- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
[4]- مبارك حنون، دروس في السيميائيات العامة، دار توقبال للنشر، الدار البيضاء، 1987.
[5]-جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب بكوش، منشورات سعيدان، تونس، 1994.
[6]- دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، ترجمة شاكر عبد المجيد، أكاديمية الفنون، القاهرة، 2002.
[7]- المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، مجموعة تحت إشراف عبد الهادي بوطارن، الجزائر، 2008.

ومن القواميس مزدوجة اللغة والتي أوردت المصطلح، "الكامل الكبير" الذي ترجمه إلى "علم العلامات Sémiologie ou Sémiotique"[4]، و"السبيل" الذي اقترح له ترجمة:" سيميائية Sémiologie, Sémiotique"[5].

نخلص من هذا المسح، إلى أنه من البديهي ومن المبرر أيضا، أن يتعذر ضبط تصور السيميائية في الثقافة العربية [6]، إلا ترجمة، وفي حالة الترجمة تجد أفضل المقاربات لهذا المصطلح تتوخى الحذر الشديد وتتفادى حسم الموقف لصالح صيغة تعريفية نهائية.

وفي هذا الصدد لا يمكن إغفال دور المترجمين والباحثين العرب وخدماتهم الجليلة في هذا المجال، وهذا من خلال جهودهم في وضع المعجمات والقواميس الاصطلاحية أو عن طريق تذييل أعمالهم بمسارد اصطلاحية أغنت الرصيد الاصطلاحي العربي.

ولكن، وعلى الرغم من هذه الجهود المبذولة في هذا الميدان، فالمصطلح النقدي العربي الحديث مازال يعاني من الاضطراب وعدم الاستقرار، إذ غالبا ما نجد مقابلات موضوعة أو مترجمة أو معربة مختلفة للمصطلح الواحد. ويمكن الاستدلال على ذلك بشواهد حية مستقاة من الممارسة النقدية وتداولية المصطلح النقدي...في بعض الفروع المعرفية التي رفدت المصطلح النقدي مثل اللسانيات والسيميائية وعلم النفس وعلم الاجتماع[7].

وإذا ما كانت السيميائية أحد الروافد المهمة التي أغنت المصطلح النقدي، فإنها " قد أثارت اضطرابا متزايدا بسبب عدم استقرار مصطلحاتها في الأصل، بل وإن السيميائية ذاتها بوصفها علما لم تستثمر على مصطلح مشترك"[8]. فمن المعروف أن هذا المصطلح يتقاسم

---

[1]- جبران مسعود، الرائد (معجم)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 2005.
[2]- القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.
[3]- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت، 2008.
[4]- يوسف محمد رضا، الكامل الكبير، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة السادسة، 2007.
[5]- دانيال رايق، السبيل، لاروس، باريس، 2006.
[6]- ينظر: مبارك حنون، دروس في السيميائية العامة، ص:06.
[7]- ينظر: المرجع نفسه، ص.07.
[8]- المرجع نفسه، ص.09.

في اللغة الإنكليزية تعبيران أحدهما استخدمه "دي سوسير" في كتابه " دروس في الألسنية العامة" وهو Semiology، والثاني جاء به الأمريكي "بيرس" وهو Sémiotics.

وبالتالي كانت الخطوة الأولى التي قام بها المترجمون تتمثل في التعريب الصوتي للمصطلحين فوجدنا مصطلحي: السيميولوجيا والسيميوطيقا، ثم أضيفت مقابلات جديدة لهذه الترجمة منها: علم الإشارات، علم العلامات، العلاماتية، علم الأدلة، السيميائيات، السيميائية. ويخيل إلينا أنه " أفضل هذه المصطلحات هو مصطلح السيميائية لأنه يحمل جذرا عربيا، كما يحمل أيضا معطى صوتيا، معربا، للصوت الأجنبي، ويقبل الإضافة والجمع والنسبة والاشتقاق"[1].

هـ- إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي:

كسائر المناهج الحداثية عرف المنهج السيميائي تضاربا في المفاهيم والإشكالات على مستوى الضبط المصطلحي حيث أوردنا جدولا ابتغينا من خلاله تسليط الضوء على جانب من الجوانب التي تتخبط فيها هذه المناهج خصوصا عند ترجمتها:

*ترجمة Sémiologie

الترجمة	المترجم	الكتاب
سيميولوجيا	عبد الملك مرتاض	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص71
علم السيمياء	عبد الرحمان الحاج صالح	الموحد لمصطلحات اللسانيات ص129
علم الدلائل	عبد الحميد بورايو	ترجمة مدخل إلى السيميولوجيا ص11
-علم الأدلة -علم الدلالة اللفظية	الحاج صالح وآخرون	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيت ص129

[1]- المرجع نفسه،ص.09.

*ترجمة Sémiotique

الترجمة	المؤلف	الكتاب
سيميائية	-عبد الملك مرتاض -رشيد بن مالك -حسين خمري	-معجم المصطلحات ص69 -قاموس المصطلحات التحليل السيميائي ص09 -نظرية النص في النقد المعاصر
سيميائيات	عبد الملك مرتاض	تجليات الحداثة ع1996،04،ص23
علم الدلائل	عبد الحميد بورايو	ترجمة مدخل إلى السيميولوجيا ص11
علم السيمياء	الحاج صالح وآخرون	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ص129
السيميوتيكا	عبد الملك مرتاض	تجليات الحداثة ع 02، 1993،ص15
السيميوتيكة	عبد الملك مرتاض	النص الأدبي من أين وإلى أين ص21
الإشارية	عبد الملك مرتاض	النص الأدبي من أين وإلى أين ص21

من كل ما تقدم، يتبين لنا أن المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الحديث ما زال يعاني من الاضطراب والتداخل وعدم الاستقرار، ويقترح فاضل ثامر في مقاله الموسوم ب " إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث" بعض الحلول الممكنة، نورد بعضها للاستئناس بها، دون أن نتخذها دليلا أو مدخلا لحل إشكالية ترجمة المصطلح:

1- العمل على وضع معجم اصطلاحي خاص بمصطلحات النقد الأدبي يوحد الجهود الفردية والجماعية ويضع قواسم عمل مشتركة ومقبولة من قبل المترجمين والباحثين والنقاد العرب.

2- إعادة فحص المصطلح النقدي واللساني والبلاغي الموروث والعمل على إمكانية إعادة تشغيل وتداول بعض مفرداته تجنبا للقطيعة الحاصلة في الوقت الحاضر بين المصطلح الموروث والمصطلح الحديث.

3- العمل على تأصيل المصطلح النقدي وتحريره عن الارتباط المباشر بعلوم اجتماعية مجاورة مثل علم النفس وعلم الاجتماع وغير ذلك.

4- السعي لنشر الثقافة المعجمية والمصطلحية والوقوف ضد محاولة تجاهل النقد المصطلحي أو التصرف الاعتباطي والعشوائي بالمصطلح النقدي.

5- التأكيد على أن المصطلح ليس مجرد وحدة معجمية اعتيادية، وإنما هو مسألة معرفية ابستمولوجية ومفهومية قبل كل شيء، وأن يدعم المصطلح بتحديد دلالي يتبين مجال اشتغال المصطلح وحمولته المعرفية والمفهومية.[1]

سابعا: آليات اشتغال المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث من حيث المتصورات والمفاهيم والمصطلحات

*-من حيث وضعية تحليل الخطاب:

إن مصطلح الخطاب يرادف الكلام لدى دي سوسير، وبالتالي يعارض اللغة، ومن سمات الكلام التعدد والتلون والتنوع. وقد فرّق دي سوسير بين اللغة والكلام:" إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد، فإنما هي منه بمثابة قسم معين وإن كان أساسيا، والحق يقال، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواصفات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. وإذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات، موزعا في الآن نفسه، إلى ما هو فردي، وإلى ما هو اجتماعي(..) أما اللغة فهي عكس ذلك، كل بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب"[2].

إن الوقائع الكلامية في واقع الأمر لم تحظ بالاهتمام العلمي الكبير من قبل دي سوسير كما هو الحال بالنسبة للغة، لهذا فإننا " لا نحصل على متصورات منهجية وأسس ابستمولوجية

---

[1]- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، ص.14.
[2]- دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: مجموعة من المؤلفين التونسيين، ص.29.

لعلم الخطاب في دروس دي سوسير، وقد أثر ذلك سلبا في الدرس اللساني حيث مال إلى التضييق والحصر"[1].

وقد أشار دي سوسير إلى السيميولوجية، بأنها ذلك " العلم الذي لم يكن سوى تصور أتاح امكانيات دمج اللسانيات في منظومة العلوم الإنسانية واحتكاكها بالعلوم الأخرى" [2]، وهكذا فإن اللغة بالمفهوم السيميولوجي مجموعة من العلامات، وأن الظاهرة اللغوية هي ظاهرة سيميائية ستكون مادة خصبة للمنهج السيميائي في تحليله للخطاب، وحينئذ سيصير الكلام" بوصفه إنجازا فرديا غير ذي أهمية في مجال البحوث السيميائية"[3].

***- من حيث منهج التحليل السيميائي للخطاب:**

إن التحليل السيميائي للخطاب هو ذاته تحليل الخطاب، فهو ينطلق مما انتهت إليه جهود اللسانيات حول النظرية العامة للغة، وتقتضي منهجية البحث العلمي أن يكون متجانسا مع الثنائيات الأساسية: (اللغة/الكلام) – (النسق/ العملية) – (الكفاية / الأداء الكلامي) [4]. فوجهة نظر غريماس وكورتيس وهما يحددان مفهوم مصطلح الكفاية في معجمهما " المعقلن"، يقران أن هذا المفهوم مستمد مما توصل إليه تشومسكي، فهو يعتقد أن هذا المصطلح مستمد من المفاهيم أو عناصر الحقل اللساني التي تشكل مجموعة الشروط الضرورية في عملية التلفظ، كما أنه يتوافر على صورتين مستقلتين لهذه الكفاية:

أولا: كفاية السرد السيميائي .

ثانيا: الكفاية القابلة للوصف أو التعبير بالكلام.[5]

---

[1]- أحمد يوسف، تحليل الخطاب " من اللسانيات إلى السيميائيات"،ص.04.
[2]- المرجع نفسه،ص.05.
[3]- المرجع نفسه، ص.05.
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص.08.
[5]- Agiradas Julien Greimas et Josef Courtes, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979, PP.123

وبالإضافة إلى ما جاء من تتبع لأصول هذا المفهوم ومنابعه الأصلية، يمكن الحديث عن الطبيعة الجينيالوجية للمفاهيم المنضوية تحت حقل السيميائيات وأصولها أو متصوراتها اللسانية، وهذا جانب مهم في دراسة المصطلح، غفل عنه كثير من الدارسين في مجال دراسة المناهج ووظيفة المصطلح، والعلاقة بين المتصورات والمفاهيم، وعلاقة المصطلح بالمفهوم الذي يحيل على الحقل الذي يربط هذا المفهوم بشبكة من المفاهيم تأخذ دلالها من المنظومة النى تجمعها ضمن متصورات أساسية أو فرعية.[1]

يشير "خليفة الموساوي" في دراسته المتميزة إلى الفرق بين المتصور والمفهوم والعلاقة بينهما، فالمتصور هو صورة ذهنية لا شكل لها في اللسان، عكس المفهوم الذي هو صورة ذهنية يمكن ترجمتها لسانيا، وهو ما يطلق عليه "بالمصطلح" في الدراسات المصطلحية الحديثة. وهكذا؛ تكون العلاقة بين الأطراف الثلاثة على الشكل الآتي:

المتصور ← المفهوم

المفهوم ← المصطلح

يلاحظ من خلال الترسيمة السابقة أن هناك علاقة بين المتصور والمفهوم، وعلاقة ثانية بين المفهوم والمصطلح، وتكون العلاقة بين المتصور والمصطلح معدومة.

ويرى مؤلفا المعجم السيميائي بأن الحديث عن الطبيعة المزدوجة للكفاية تعد ضرورة لإنجاز تصور جديد ومضبوط للخطاب. وفي كل الأحوال فإن المجال السيميائي يهتم بالأطر المرجعية للخطاب، مثل الايحاء الاجتماعي ونسبته للسياق الثقافي المعطى المستقل داخل تحليليه التركيبي أو الدلالي ، وقد عرفت سيميائيات التواصل تقدما فعليا في مجال تحليل الرسالة.

[1]- يراجع في هذا الصدد: خليفة المساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف- الجزائر، ومنشورات ضفاف المغرب، 2013،ص:54.

إن وصف اللغة بأنها نظام للتواصل يتضمن قدرا كبيرا من الانسجام سمح للدراسة اللسانية بالاهتمام بالنموذج الذي رسمه جاكبسون " الباث– الرسالة– المتلقي– سنن الرسالة – مرجعتيها"[1].

يبدو أن التواصل البشري أعقد من أي تواصل آخر، لأن استعمال العلامة في هذا المجال لا تتم كما قال دي سوسير إلا داخل الحياة الاجتماعية، لهذا فلن " يتحقق ذلك إلا بالتواصل المتبادل والتوافق حتى يتسنى لأي حوار يقوم بين الباث والمتلقي تقديم أفكار في شكل شفرات متواضع عليها"[2]، لهذا فإن بعض علماء الدلالة يرون أن " عملية الاتصال لا تظهر بوضوح في العالم الحيواني، إلا عندما يكون هناك تعاون أو نشاط اجتماعي، إن أي اتصال مرتبط في أساسه بالتعاون (...) وأن كل حوار اجتماعي مرتبط بالتعاون".[3]

لقد حاولنا في الصفحات السابقة من هذا الفصل أن نقدم عرضا موجزا لأهم الجوانب النظرية للتجربة النقدية السيميائية العربية المعاصرة، غير أن مقاربة الجانب النظري في النظرية أو المنهج– على الرغم من ضروريته– لن تكون له فائدة تذكر ما لم يقترن بممارسة تطبيقية له، تضعه على المحك، فتكشف عن مردوديته وجدواه، وتوضح حدوده وأبعاده، يتم هذا من خلال وضع هذه النظرية" داخل سياق نصي محدد، ذلك أن تقليص المسافة بين الوجه المجرد للنظرية وبين وجهها المتحقق يمر حتما عبر مزج النظرية بالنص إلى الحد الذي تذوب فيه الفواصل بينهما، ويصبح على إثر ذلك التنظير تطبيقا، ويصبح التطبيق تنظيرا"[4]، فهل استطاع النقد العربي المعاصر تحقيق هذا المزج بين النظرية السيميائية وبين النص الأدبي الذي يقاربه وفق أطروحاتها؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفصل الموالي.

---

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص.10.

[2]- المرجع نفسه، ص.11.

[3] -Adam Senaf : Introduction a la semamtique, éd Hutropos,Paris,1974 ,p.194.

[4]-سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، دار تنمل للنشر، مراكش،1994، ص:06.

الـفـصــل الــثالــــث

المنـهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر(نماذج تطبيقـية)

تمهيـــــــد:

تعد السيميائيات بوصفها مشروع بحث جديد من أهم الدراسات الحديثة التي تحاول إنشاء نظرية عامة للأنساق الدالة. ولعل ما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال هو أن مسألتي: الدلالة والمعنى ليستا حكرا على السيميائيات العامة وحدها، بل هناك علوم ومناهج أخرى تنافسها في البحث عنهما (الدلالة والمعنى)، كالدلالة التوليدية والمنطق الأنجلو سكسوني، والتداولية الأمريكية، مع العلم أن لكل اتجاه مستنده الإبستيمولوجي الخاص، ومنهجه ومفاهيمه الخاصة. ويبدو أن المشروع السيميائي لا يسعى في بحثه إلى توحيد هذه الجهود بقدر ما يهدف إلى تثبيت أركان موضوعية البحث، ذلك لأنه لا وجود لمعرفة تامة مكونة من يقينيات.[1] كما أن الإحاطة بالنظريات والمناهج التي تشتغل على تحليل الخطابات صعبة المنال، على الرغم من توفر مرجعياتها في أكثر من لغة، وذلك نظرا للتطور السريع الذي تعرفه هذه البحوث والدراسات في العالم الغربي والعربي على حد سواء.

عرف الفكر النقدي اللساني العربي تحولا كبيرا، من خلال ما استثمره من النظريات الغربية في مجال الشعريات واللغة والنقد الأدبي التي وفدت على العالم العربي إما عن طريق الترجمة، وإما عن طريق الجامعيين العرب الذين وفدوا على الجامعات الأوربية منذ مطالع القرن العشرين. ومن النظريات الجديدة التي لم يفتأ الجامعيون يسيلون بها أقلامهم في أبحاثهم المختلفة، نظرية السيميائيات السردية. ويأتي هذا البحث مبادرة للمساءلة والقلق والاستشراف عن مستقبل هذا العلم الجديد القديم ودوره في تطوير الإجراءات النقدية المنصرفة خصوصا إلى قراءة الخطاب الأدبي، وتحليله، من خلال تقديم نماذج لأطروحات بحثية أكاديمية تم تقييمها ومناقشتها، وقصد تثمين هذه الأعمال والتعريف بها رأيت إدراجها في هذا الفصل باعتبارها نماذج في مقاربة مشروع " السيميائيات السردية" من زوايا متعددة؛ ارتقى بعضها إلى مستوى الأعمال العلمية الناضجة، وعرف البعض الآخر مستوى متواضعا في الرؤية والطرح والإجراء، نظرا لعوامل كثيرة لا يمكن التعرض لها في هذا البحث.. لكن الأجدى والأفضل هو الإشارة إلى الأسباب والمحفزات التي كانت وراء اختيار هذه

---

[1] -A.J. Grémas, et J. Courtes, Sémiotique, dictionnaire raisonné
, P.III

الموضوعات بالذات. وهكذا؛ فقد توافرت عدة أسباب لبروز هذا الخطاب النقدي حول السيميائيات السردية، نشير إلى بعضها في ما يأتي:

*-تأثير موجة الحداثة في تطوير الخطاب النقدي الأدبي العربي في تجاوز الرؤية الجزئية التي امتاز بها طيلة فترة النصف الثاني من القرن العشرين، وظهور خطاب جديد يحمل رؤية متجددة، تقوم على جهاز مفاهيمي لم يسبق للخطاب النقدي العربي التعرف عليه، أفضت إليه قراءات راهنت منذ البداية على التغيير والخروج من الانغلاق والتبعية التي ميزت الثقافة العربية قبل هذه الفترة بقليل. وقد شكل هذا التحدي تفاعلا مع هاجس التجديد والتجاوز الذي عرفته موجة المثاقفة في البلاد العربية.

*-بروز الاتجاه السيميائي كواحد من نماذج المشاريع النقدية التي وجدت ضالتها في الخطاب النقدي العربي المعاصر، حيث شكل استيعاب هذا الاتجاه من قبل بعض الدارسين العرب تحديا، أثرى المدونة النقدية العربية، على الرغم من ظاهرة عدم اكتمال هذا الاتجاه في مواطنه الأصلية على مستوى التصورات والإجراءات.[1]

أ-في تنويع الرؤى المنهجية لفهم الظاهرة الدلالية وارتباطها بالنسق المولد لها:

أفرز البحث في هذا المجال وجود انقسام في التعامل مع **النسق المولد للدلالة**، لذلك ألفينا اتجاها معينا يحصره ضمن حيز مغلق، في الوقت الذي اختار له اتجاه آخر فضاء منفتحا. وعلى الرغم من المبررات التي ساقها أتباع كل اتجاه، ولا سيما أتباع اتجاه الفضاء المفتوح، والذين برروا موقفهم، كون الأنساق الدلالية بما فيها النصوص الأدبية، لا يمكن وصفها وصفا نهائيا. في حين انتهى سعي أتباع الاتجاه الأول (الدلالة البنيوية) إلى إبراز أهدافه المعبرة عن طموح نقدي انتهى به التحري إلى فهم الكون الدلالي في إطار انغلاقه على نفسه، اعتمادا على أطروحات فلسفية ولسانياتية جد موثقة.

---

[1]- عبد القادر شرشار، **مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)**، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، 2015، ص:98

وهكذا يمكن اختزال حيثيات الاتجاهين في العناصر البارزة الآتية:

***-حيثيات السيميائيات المحايثة:**

-الدعوة إلى النزعة السردية وتقنين المعطيات الدلالية العامة للخطاب.

-اختزال الخطابات الدالة ضمن حيز المجال المغلق الذي دعت إليه لسانيات دي سوسير في مقولتها المشهورة: "**دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها..**".

-اعتماد المبادئ الابستيمولوجية التي وجهت فلسفة البحث السيميائي مع غريماس، وفلسفته البنيوية اللسانية في تحليل الخطابات اللغوية وغير اللغوية، ومن تبنوا توجهه العام من أفراد مدرسة باريس للسيميائيات، كجوزيف كورتيس، وكوكي، وآن إينو، وغيرهم.[1]

***-حيثيات الدلالات المفتوحة:**

-مقاربة النصوص الإبداعية بآليات وخلفيات جديدة استمدت مبادئها من تخصصات عدة، كالمنطق، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى علم البلاغة والأسلوبيات..

-انفتاح السيميائيات على نظرية التأويل والتلقي بمختلف توجهاتها وآلياتها التطبيقية..

-البحث عن الآفاق التي تعد بها التوجهات الجديدة؛ خاصة مع أمبرتو إيكو وغيره..

إن ما يمكن ملاحظته هو أن التحولات السريعة التي ميزت البحث في السيميائيات السردية، شكلت عائقا بشأن قراءة مادة هذا البحث الموصول بمصادر ومنطلقات متشعبة، وتمثله، بل

[1]- ينظر: مدخل إلى السيميائيات السردية ..، مرجع سابق، ص:98-99

ومحاولة تجاوزه أحيانا.. إنها مفارقة عجيبة حقا؛ إذ كيف يمكن أن يشكل تراكم البحوث في تخصص معين إشكالا..؟

قد يفسر ذلك وجود تفاوت ملحوظ بين القراءات من حيث مستوى فهمها، وتمثلها بين العمق والسطحية.. وقد يكون الأمر غير ذلك، كانسياق "خطاب بعض هذه النماذج البحثية" بانبهار نحو عوالم السيميائيات الغربية، متبنيا مسلماتها النظرية وخلفياتها الفكرية دون إمعان النظر في بعض حيثياتها، ومصادرها الفكرية. كما أن عدم الاطلاع على المدونة الغربية كلها؛ في تنوعها، واختلافها، وعدم اتخاذ الاحتياط المنهجي الضروري في إصدار الاحكام الانطباعية المطلقة، والتسرع –أحيانا–في إطلاق أحكام قيمية جاهزة، أساءت إلى سمعة بعض الباحثين. لذلك وجب الاحتياط، وضرورة التحلي بالتواضع في مناقشة القضايا العلمية ذات الصلة بالموضوع، والقيام بالتحري العلمي الدقيق في المادة المعرفية الوافدة من الغرب، نظرا لما يكتنفها أحيانا من تباين في مستويات وعمق طرحها، وتأرجح نتائجها بين التمثل السليم للأطروحات والتمثل الخاطئ لها.

ب–في اختيار الموضوعات، والموقف المسبق من القضايا المطروحة للبحث أو من بعض جزئياتها، ونتائجه السلبية في بناء البحث العلمي الأكاديمي:

1– إن الانتصار لاتجاه معين في القضية المطروحة للبحث من قبل الباحث من شأنه أن يخلق لدى القارئ نوعا من التردد في قبول النتائج، أو بالأحرى استساغتها أصلا، لأن تبني موقف مسبق لجانب من جوانب القضية المطروحة للبحث والدراسة يدفع بالباحث أحيانا إلى حجب بعض الجوانب الإيجابية في سياق عرض حيثيات عمله ليستقيم منطق طرحه، وحينئذ تضيع الموضوعية، وتضيع معها صدقية البحث العلمي، وحيادته في مناقشة القضايا ذات الطابع الإشكالي، لذلك، وجدنا من يقول في بروتوكولات البحث الاكاديمي بضرورة ألا يكون الباحث منخرطا أو مناوئا لاتجاه يكون موضوع بحثه، ومجال اشتغاله، حتى يضمن أداء كاملا لوصف وتحليل وتعليل القضايا المعروضة للبحث. ولا بأس بعد ذلك إن أدى التحليل

والتعليل إلى غلبة طرح على آخر، وحينئذ لا يوصف الباحث في هذه الحالة بالتحامل او المجاملة لأن نتائج البحث أفضت بشكل منطقي وموضوعي إلى ما أفضت إليه. وبخصوص هذه المواقف بالذات، نسجل –بكل أسف–تورط كثير من نماذج البحث، انساق أصحابها خلف أوهام، دفعتهم أحيانا لتبني مواقف مسبقة، ورفض أطروحات معينة، اتجه البحث في بعض جزئياته الفرعية إلى الكشف عنها، وبيان عوراتها. وتغاظي كلية عن ذكر إيجابياتها مع سبق إصرار وتعمد، وكأن الظاهرة النقدية–موضوع الخلاف– لم تنتج إلا دمارا شوه الحركة النقدية المغاربية في مجال الاشتغال على موضوع السيميائيات السردية .

2- يبدو أن النهوض بالحركة النقدية في مجال دراسة النظرية السيميائية في بلاد المغرب العربي ، كانت استجابة فكرية وفلسفية ولغوية لواقع ثقافي واجتماعي وعلمي، والوعي بهذه الخلفية ومظاهر تطوير آلياتها مبدأ من مبادئ الفكر السيميائي، وهو الفكر الذي تبنته مدرسة باريس بالذات، وحاولت الحفاظ على امتداده في كتابات الجيل الذي حمل لواء توجهها المعرفي، على الرغم من صرامة إجراءاته، وصعوبة فهم مقولاته أحيانا ،لكن خلف هذه الصرامة يقف برتوكول بحثي خاص بالسيميائيات السردية المحايثة، يبيح الانفتاح على كل جديد. ولا يدعي البحث السيميائي في نموذجه الغريماسي الوصول إلى النتائج القطعية؛ بل من مميزات الباحث السيميائي الجدير بهذه التسمية، صفة التكيف مع كل جديد. ولعله لهذا السبب تعددت منطلقات البحث السيميائي ، كما تعددت مصادره، وكل ذلك مخالف لما جاء في بعض نماذج البحث الأكاديمي الذي يصف هذا الخطاب بالانغلاق الكلي، ورفض التعامل مع معطياته، وحيثياته التطبيقية[1].

3- يفترض أن ينظر الباحث الأكاديمي الموضوعي إلى السيميائيات المحايثة على أنها مرحلة أولى أسست للبحث السيميائي، وأمدته بإجراءات، وأدوات بحثية، مكنت أجيالا من النقاد والباحثين الجامعيين في الضفتين: الغربية(أوربا)، والجنوبية(بلاد المغرب العربي) من

1- ينظر: مدخل إلى السيميائيات السردية، صص:100-103

تطوير خطابهم. وأفضل دليل على صدق هذه المقولة، هذا البحث وغيره من البحوث التي اخترناها كنماذج للقراءة في هذا الفصل.

4- إن القارئ الجاد للسيميائيات السردية والمتتبع لمقولاتها ، يدرك-بالضرورة- أن فريقا من أتباعها تراجع عن بعض هذه المقولات كما وردت في صيغتها الغريماسية، وشكك البعض الآخر في صلاحية بعض المعايير الإجرائية المطبقة في كثير من المحاولات البحثية، الأمر الذي أدى إلى بروز توجهات قرائية مختلفة، بل ونتائج مغايرة أحيانا، داخل إطار التوجه العام للسيميائيات السردية. وما يستخلص من هذا التنوع والاختلاف داخل الإطار الواحد شاهد، ودليل على انفتاح الخطاب النقدي السيميائي، وتعدد الرؤى الذي أدى إلى دينامية البحث وتطويره في هذا المجال المعرفي[1].

وأخيرا، "إن التركيز على بعض الملاحظات النقدية لدى الكثير من الدارسين، ممن شكلوا مرجعيات هذا التوجه من البحث، لم تقلل على الإطلاق من قيمة البحث السيميائي المحايث، سواء أكان ذلك مع غريماس أم غيره، ممن حمل لواء الدراسة المحاثة، ودافع عن توجهاتها، وفلسفتها، وإجراءاتها ، لأن لهذا التوجه أهمية فكرية وحضارية كبرى، يميزها عما سبقها من دراسات أقصت الدلالة من بحثها، ولم تهتم إلا بالعلامة المفردة، والبنيات الصوتية للسلاسل الكلامية بوصفها المادة التي تسمح للصورنة بأن تطرح في موضوعها، وهكذا؛ فالهرم العلمي الذي بدأ من الصفر ليصل إلى القمة ، وصل مرة ثانية إلى الصفر، للانطلاق من جديد مع دراسات سيميائية منفتحة على سياقات غير لسانية تعد بالكثير"[2] ، وهذا شأن ومسار كل فكر ومنهج علمي.

وتأسيسا على هذه الخلفية، كيف نتصور سياقا بحثيا يجيب عن إشكالية هذا البحث، ثم كيف تلقى الدارس بنية التفكير السيميائي في ظل التحولات الابستيمولوجية، والتوجهات المتولدة

[1]- يمكن الوقوف على بعض المستجدات التي حصلت في أدبيات هذا التيار في الفصل الرابع من هذا المؤلف.
[2]- قوتال فضيلة،معالم السيميائيات المحايثة، مرجع سابق،ص:142.

عنها، وكيف استثمر النقد المغاربي المعطيات السيميائية في بعديْها: المنغلق والمنفتح وما الآفاق التي وفرها هذا التصور في مجال الاشتغال التطبيقي؟

انطلاقا من هذه الظاهرة المعبرة عن الحراك الفكري والمعرفي الذي يقف خلف منطلقات المشروع النقدي السيميائي بتوجهاته المختلفة، نسعى في هذا الفصل من البحث إلى تتبع مسار هذا المشروع ، وطبيعة تواجده في الخطاب النقدي العربي، انطلاقا من تبني مبدأ المحايثة، وصولا إلى فتوحات التأويل. حيث كان مسعى السيميائيات في بداية مشوارها البحث عن البنيات الدلالية الكلية والثابتة اعتمادا على مقولة فكرة التشاكل لدى غريماس. وعبر مسار السيميائيات القصير نسبيا، تحول اهتمام السيميائيات السردية إلى البحث عن السيرورات المعنوية الممكنة في الخطابات أو الأنسقة الدالة؛ فدال النص الواحد، يمكن أن يؤدي إلى إنتاج دلالات متعددة، ولا نهائية، ذلك أن لا شيء ثابت، ولا شيء يحمل دلالة خاصة في ذاته. ويتحدث السيميائيون اليوم عن الدلالة التي تولدها السيرورة لدى المتلقي في إشارة إلى (لا نهائية دلالة العلامة) التي كانت موضوعا للسيميوز في سيميائيات بيرس، عرفت اهتماما خاصا في منجز الباحث المغربي سعيد بنكراد من خلال بحوث كثيرة يمكن العودة إليها في مظانها.[1]

والسؤال الجامع لكل هذا الطرح: هل استطاع الخطاب النقدي العربي المعاصر من خلال النماذج المدرجة في هذا الفصل أن يتمثل هذا الحراك، وأن يستوعب التحولات العميقة التي مست مبادئه الأساسية..؟ وما هي المدونة النقدية التي يمكن اعتمادها في هذا البحث، وهل يمكن أن تتضمن هذه المدونة السيرورة النظرية والإجرائية التي طبعت المشروع السيميائي؟ وهل بإمكانها أن تشمل عناصر التمثل الإيجابي والسلبي لطبيعة التحولات..؟ ولماذا يتشبث بعض الدارسين العرب بحيثيات النزعة السردية، وتقنين المعطيات الدلالية العامة للنصوص، على الرغم من وجود حالات الانغلاق، والمآزق التي اصبحت تطرحها مثل هذه المقاربات ؟

[1]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية ..، 103-104.

ج-إشكالية تطبيق المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر:

أدرك الناقد العربي أهمية المنهج السيميائي لما يحتويه من ليونة في الاستعمال، وشمولية في الرؤية النقدية، حيث عمد النقاد إلى الاستفادة من مرونته ونجاعة إجراءاته، فقاموا بترجمة أهم الأعمال التي تعرف به وتؤسس له، أو بتلقينها للطلاب في المنظومة النقدية الأكاديمية حتى اغتدت مقياسا مستقلا و" مادة من مواد الدراسة في أقسام اللغة العربية وآدابها، ومنهجا ينتهجه الكثير من النقاد العرب المعاصرين"[1]. وكان في طليعة هؤلاء النقاد، الناقد(عبد الملك مرتاض) الذي أثرى الساحة النقدية بعديد المؤلفات، ورشيد بن مالك ومؤلفاته التي خلدت اسمه في النقد الجزائري، وعبد الحميد بورايو، والطاهر رواينية، ,احمد يوسف، وغيرهم كثير... بمحاولات التأسيس والتأصيل لهذا المنهج في نقدنا.

جاء في أحد مؤلفات الباحث رشيد بن مالك ما يمكن أن نتخذه تأريخا لدخول المنهج السيميائي للخطاب النقدي العربي قوله: " آن الأوان لتقديم قراءات موضوعية حول ما تحقق في ضوء الانجازات السيميائية الأوروبية الراهنة." لقد كان لهذا التصريح أثر في بلورة رؤية بحثية نقدية كفيلة بتوسيم نقاط الضعف التي طبع بها الخطاب النقدي العربي الكلاسيكي من جهة، ومن جهة أخرى شكلت نقطة انطلاق لمشروع نقدي يتم على أساسه صناعة خطاب نقد جدير بهذا الاسم، وكان له في هذا المنهج كتابان: (السيميائيات السردية)،و (السيميائيات: أصولها وقواعدها)، وشاركه الفكرة (عبد الحميد بورايو) بكتابه" الكشف عن المعنى في النص السردي) الذي ترجم فيه أعمال السرديين الغربيين والذي أراد به:" تقديم دراسات نموذجية لمواد من التراث الشعبي العربي والعالمي من قبل متخصصين يمتلكون وسائل منهجية حديثة لعلها تكون حافزا لطلبتنا وباحثينا على خوض غمار الدرس المعمق لمواد التراث الشعبي الجزائري بالاستفادة من مناهج التحليل البنيوية والسيميائية"[2] وقد دفعهم

1- محمد عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، ص.42.

2- عبد الحميد بورايو، الكشف عن المعنى في النص السردي (النظرية السيميائية السردية)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص.03.

اهتمامهم بالمنهج السيميائي إلى تأسيس رابطة للسيميائيين الجزائريين، لم نجد مادة حولها تمكننا من معرفة إنجازاتها، ومنهجها في بناء مشروعها النقدي المعاصر، ورجالاتها الذين شكلوا بنيتها البشرية.

أولا: النموذج التطبيقي الأول عامر الحلواني(*)، سيميائية العتبات في كتاب "العرب والسياسة" للأستاذ عبد السلام المسدي.([1])

-مدخل منهجي:

يكشف خطاب نقد النقد الحاجة المعرفية للنقد إلى وعي ذاته، من خلال اعتماد استراتيجية خطابية تفكر في اختياراته المنهجية وآلياته المعرفية، وتعيد النظر –أحيانا–في مسلماته التصورية والنظرية. وبحكم هذه الاستراتيجية التفكيكية، نعتقد أن خطاب نقد النقد يرتقي إلى أن يكون ابستيمولوجية نوعية موضوعها الخطاب النقدي، "لأنه ينهض بدور تشييدي للمعرفة، من خلال نقد النصوص واقتراح البدائل، وبذلك، فهو يتوخى إنتاج معرفة بديلة ومغايرة لما هو قائم في الواقع الثقافي من حساسيات ورؤى واتجاهات."[2]

وإذا كان النقد قد اهتم بلغة النص الأدبي موضوع خطابه، فإنه مطالب بإعادة النظر في خطابه والتفكير في لغته الواصفة. ضمن هذا الرهان المعرفي التشييدي، تتدرج هذه المقاربة، فهي تطمح إلى تقديم صياغة نموذج معرفي لخطاب نقد النقد يكون قادرا على استقراء معطياته واختبار نتائجه. ولتحقيق هذا الرهان العلمي نعتمد المنهجية النسقية وما تفرضه من اشتراطات لتقييم كل ممارسة خطابية، وهذا عن طريق التركيز "على البعد المعرفي الابستيمولوجي لنقد النقد والمتمثل في تمحيص الإجراءات المنهجية، ومساءلة المرجعيات النظرية، واختبار درجة استجابتها لشروط النسقية."[3]

---

[1]- عامر الحلواني، **سيميائية العتبات في كتاب "العرب والسياسة" للأستاذ عبد السلام المسدي**، مجلة أوان، مجلة دورية ثقافية تعنى بمراجعات الكتب، تصدرها جامعة البحرين، العدد الثالث والرابع، 2003، ص: 178

***- أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس/تونس**

[2]- محمد بوعزة، نحو ابستيمولوجية جهوية للخطاب النقدي، المرجع السابق، ص:34

[3]- المرجع السابق، ص: 35

إن المتأمل للمشهد النقدي والفكري العربي يدرك وجود أكثر من حاجة معرفية ملحة، تفرض تفعيل خطاب نقد النقد، لرسم مساراته المنهجية وصياغة خرائطه المقولاتية، وتكمن هذه الضرورة المعرفية في المعطيات التالية:

أ-التراكم الحاصل في المنجز النقدي، مما يستدعي قراءة ما أنجز من مشاريع نقدية وإعادة تنظيمها، وتقييم فعاليتها، ومعرفة حدودها، وهذا لتشكل وعي ابستيمولوجي وتاريخي بالخطاب النقدي، والتحولات الحاصلة في صياغة مقولاته.

ب-التأثير الجوهري للمثاقفة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، فهي تمثل عنصرا تكوينيا في بنية هذا الخطاب سواء من حيث المفاهيم أو المناهج. كل هذه التداعيات تفرض إعادة النظر في دور هذه المثاقفة وأساليب تلقيها، وتقييم حصيلة التفاعل، بوضع آليات تضبط أوليات المثاقفة وعملية انتقال المفاهيم والنظريات.[1]

-قراءة في سيميائية العتبات في كتاب "العرب والسياسة" لعبد السلام المسدي:

في هذا السياق الثقافي والتوجه النقدي الجديد (نقد النقد) تظهر قيمة مقاربة الناقد **عامر الحلواني** من جامعة تونس الموسومة ب**(سيميائية العتبات في كتاب "العرب والسياسة" للأستاذ عبد السلام المسدي)**، لأنها تضع ضمن أهدافها الاستراتيجية هذه الرهانات المعرفية، حيث يحدد الناقد مهمته في المقاربة السيميائية لعنوان كتاب "**العرب والسياسة يوميات على جسر العبور**" للدكتور عبد السلام المسدي، والآليات المعرفية التي يعتمدها خطاب النقد، وكيفية استثماره للمفاهيم والمرجعيات. وتبرز أهمية هذا الاختيار المنهجي عاليا إذا عرفنا أن مقاربات "**العتبات**.." في البحوث السيميائية العربية بالخصوص، ظلت لفترة طويلة تتناسل في خطاب النقد العربي الحديث والمعاصر بشكل لافت، وقد اعترى بعضها انحرافات خطيرة نتيجة عدم استيعاب بعض المفاهيم والإجراءات التي تضمنها كتاب

[1]- محمد بوعزة، المرجع السابق، ص: 35

(أطراس) لـ "جيرار جينيت"[1]، بالإضافة إلى انخراطها في السجلات والصراعات الإيديولوجية بين المدارس والاتجاهات الفكرية الغربية، دون الإلمام بخلفياتها الفكرية والثقافية والمعرفية، ناهيك عن التحكم في آليات وإجراءات المنهج السيميائي بتوجهاته المختلفة.

على خلاف ذلك، يسعى الباحث "**عامر الحلواني**" إلى كشف الجانب الإشكالي المحير لهذا الكتاب، فمن وجهة نظره، يثير هذا الكتاب كثيرا من المحظورات، كما أن مؤلّفه (عبد السلام المسدي) أستاذ جامعي مختص في اللسانيات، وعضو المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، وعضو في مجامع لغوية عربية كثيرة، بالإضافة إلى أنه امتحن السياسة، حيث تولى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ثم تولى السفارة لتونس لدى الجامعة العربية، كما أنه كابد لعبة السياسة لأنه من حملة الأقلام. صدر هذا الكتاب عن مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع بتونس دون تاريخ.[2]

يتألف الكتاب من 426 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدره مؤلفه بلمحة فإشارة، ثم قسمه على ثمانية فصول كبرى هي على التوالي: بين الفكر والسياسة. السياسة وسقوط الأقنعة. السياسة ومظلمة الأرض. العرب ومكر التاريخ. العرب وأسئلة التاريخ. العرب واستفتاء المصير. بين الثقافة والسياسة. فن التمثيل والسياسة. وذيله بهوامش الكتاب، وبفهرس مفصل للموضوعات، وتعريف وجيز بالمؤلف ومؤلفاته.

-في علاقة اللساني بالسياسي والثقافي:

"**العرب والسياسة**": **يوميات على جسور العبور**، رابع كتاب صدر للمؤلف في مجال ربط الوعي المعرفي بالوعي الثقافي، يذكرها الناقد عامر الحلواني على الشكل الآتي:

*- "**التضخم: أسبابه ومظاهره**"، سنة 1979 وهو ترجمة لكتاب: Inflation : pourquoi et comment، الصادر بباريس سنة 1974.

---

[1] -Gérard Genette, Seuils, ed. Seuil, Paris, 1987.

[2]- صدر سنة 2001، وعرفنا تاريخ صدوره من الكتاب الذي تلاه، للمؤلف نفسه، وعنوانه:" **بين النص وصاحبه**".

*- "**العولمة والعولمة المضادة**"، الصادر سنة 1999.

*- "**اتقوا التاريخ أيها العرب**"، الصادر سنة 1999.

لعل أول سؤال يراود كل مطلع على هذا الكتاب، هو ما علاقة السياسة والثقافة بالأدب واللسانيات والسيميائيات؟ يذكر دارس هذا المؤلف أن الإجابة استبق بها المسدي السائلين، المتعجبين، المتعجلين، في العتبة الثانية من الكتاب (الإشارة):" تردد الجاحظ ثم قال: كل شيء سياسة فلو لم يتردد أرسطو وقال ما لم يقله، لقلنا: الأدب هو أن تأخذ من كل سياسة بطرف... شفتاك، والمسامع منك، والفكر الخالص، والذهن المتأمل الصامت وكذلك اللغة، سياسات بعضها فوق بعض."[1]

يحيل الكتاب إلى واقع العرب الذي لم يشهد تغييرا على الصعيد السياسي، فهم اليوم(العرب) في أمس الحاجة إلى تآزر مطلق بين الوعي المعرفي المختص والوعي الثقافي العام. وإن الوعي بسلطان اللغة وبسطوة تركيب الخطاب على المقاصد المتوارية على حد تعبير الباحث (عامر الحلواني) " ليضغط على المثقف المتيقظ ضغطا يجرحه فينطقه، فيصيح".[2]

ألم يضرب "شومسكي" وهو أحد رواد علم اللسانيات في الغرب، وفي أمريكا تحديدا "مثالا رائعا في الوصل بين الوعي المعرفي والوعي الثقافي، بل في الجمع على وجه التخصيص بين البحث اللساني والتأمل السياسي".[3] وقد أورد الباحث تعليقا للدكتور (عبد السلام المسدي) على هذا الأنموذج "تشومسكي" المتميز، بقوله: "ولا يتابع مواقفه في هذا المضمار متابع إلا انتهى إلى التسليم بتحتم ارتباط العلم اللغوي-الذي هو اللسانيات- بالاستكشاف الثقافي الواسع من خلال قضايا الإنسان الفرد، وقضايا الأفراد داخل المجتمعات."[4]

---

[1]- عبد السلام المسدي، العرب والسياسة يوميات على جسر العبور، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ص:7

[2]- سيميائية العتبات في كتاب "العرب والسياسة"، مرجع سابق، ص: 179

[3]- المرجع السابق، ص: 179.

[4]-عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة،في: "سيميائيات العتبات.."، مرجع سابق، ص: 179.

وليس من العسير على المطلع على هذا الكتاب، والموضوعات التي يعالجها أن يستخلص المرجعية النظرية والفكرية التي ينطلق منها في تصوره لعلاقة العرب بالسياسة، وهي: الفكر والتاريخ والفن والثقافة واللغة والسياسة. ومما استخلصه الباحث "الحلواني" "أن السياسة ليست في هذا الكتاب مقصدا في حد ذاتها، وإنما الغرض المنشود وهو المسألة الثقافية بكل أعماقها وأبعادها وسطوتها الشاملة."[1]

فالأمة العربية كما يرى المؤلف "ليست في حاجة إلى شيء ونحن على عتبات العصر الجديد مثلما هي في حاجة إلى مثقفيها حتى يؤكدوا رسالتهم الكبرى عند اندلاع معركة الصراع الثقافي على المواجهة الكونية الجديدة".[2]وهكذا؛ لا تعدو السياسة أن تكون إذن منظومة من القرائن والعلامات والأمارات حاول الكاتب أن يفك شفراتها بواسطة المجهر الثقافي.[3]

-قراءة في عتبات الكتاب:

إن أول ما يلفت النظر في كتاب "**العرب والسياسة**"، كثرة العتبات، باعتبارها خطابا تابعا، يوظف غالبا في خدر النص الأساس. لذلك سنحاول في هذه القراءة على القراءة تقديم الكيفية التي واجه بها الباحث التونسي هذا الموضوع، والمرجعية النظرية التي استأنس بها في هذا التحليل. ينطلق الباحث من معاينة ظواهر هذه العتبات في محافلها النصية، دون أن ينزلق في وهم الفصل الآلي بين الخطاب المصاحب (Le paratexte) وبين النص الذي هو أساس وجود هذا الخطاب. فما الدور الذي تلعبه عتبات كتاب "العرب والسياسة" في البنية النصية العامة لهذا الكتاب، وفي طبيعة العلاقة بين النص والمتلقي؟

---

[1]- عامر الحلواني، سيميائية العتبات، في كتاب "العرب والسياسة"، مرجع سابق، ص:179

[2]- العرب والسياسة، ص:15

[3]- المرجع السابق، ص:179

يتضمن الكتاب مصطلحات عديدة تمثل واجهة نصية قابلة لأن تلعب وظيفة الشروع في النص، فتكون بمثابة عتبات له. وهذه المصطلحات طريفة لأنها تنتهك سلطة المصطلحات المألوفة والعتبات المعروفة كالافتتاحية، والتوطئة، والتمهيد، والمدخل، والإهداء، والشكر.

1-عتبة العنوان الرئيس:

تتشكل هذه البنية النصية من جزأين مركّبين: عنوان رئيس وعنوان مصاحب.

أ-عتبة العنوان الرئيس:

إن العنوان الرئيس "**العرب والسياسة**" وهو من قبيل العناوين الموضوعاتية، عنوان مثير **بالواو** التي تتوسطه. يتساءل الباحث عن طبيعة هذه الواو، ويطرح عدة احتمالات تأويلية: "أهي واو العطف، فتكون العلاقة بين العرب والسياسة قائمة على التوادد والتراحم؟ أم هي واو المقابلة، فتكون العلاقة بينهما مبنية على التنافر والتصادم؟ أم هي واو الطلاق فتكون العلاقة بينهما أساسها الانفصال والانقطاع؟"[1]

قد تكون الإجابة عن هذا السؤال متضمنة في سؤال آخر ورد على لسان المؤلف في بداية متن الكتاب، يقول فيه (المسدي): " هل يقنع المحكومون حكامهم بهذه الحقيقة البديهية، وهي أن حرية الرأي تخدم الحكام ربما بقدر ما تحكم المحكومين: عاجلا وآجلا وعلى بعيد الآماد(..) فيكون من واجبهم حمل المفكر على التفكير وحمل المثقف على التدبير، وحمل أهل الرأي على إبداء الرأي."[2]

العنوان، إذن إشكالي بامتياز، يتشكل من مجموعة من الدلائل اللسانية التي تؤدي وظيفة التعريف بالكتاب وتشير إلى محتواه وتبرز قيمته. وقد يتعدى هذه الوظيفة التعيينية ليؤدي وظيفة الإثارة والمناورة على حد تعبير الناقد (عامر الحلواني). فيصبح العنوان حينئذ بنية

1- سيميائية العتبات، ص:179

2- العرب والسياسة، ص:13

عبور إلى مضمرات المؤلف. لذلك، ألفينا عددا من الكتاب يتخذون من المضمر النصي في العنوان أداة للإفصاح عن المسكوت عنه والمكبوت. إذن، كيف تتضح دلالة الواو في العنوان، وتفك عقدة اللسان في هذه الدراسة النقدية المتميزة..؟

لا نعثر في هذه الدراسة على إجابة مباشرة، وكل ما وقفنا عليه، هو أن الكاتب على غرار أترابه من المفكرين العرب وغيرهم، يربطون ذلك بـ"شرط الأمان"، أو "الأمن النفسي" الذي يوفر للمفكر والسياسي والمثقف جوا من الحرية تشعره بضرورة الانخراط في مسائل الحياة السياسية والفكرية والحضارية، وما لم يتوفر ذلك، فلا أمل في انخراط المثقف في الحياة السياسية.

إن القراءة البسيطة لبعض ما جاء في هذا الكتاب تؤكد أن الكاتب مسكون بهاجس الخوف من التأويل. مرتاب في سوء توظيفه. لذلك نراه يشترط المواثيق حتى يحصن خطابه النقدي وآراءه التحررية من سوء التأويل وتبعاته الأمنية.

إن الكلام على العنوان الرئيس "**العرب والسياسة**" يقودنا إلى الكلام على عنوان فرعي مصاحب له، تناسل منه وتطاول عليه-على حد تعبير الناقد- من حيث المدى اللفظي ومن جهة الحضور النصي، وهو "**يوميات على جسر العبور**".

ب- عتبة العنوان المصاحب: يوميات على جسر العبور

هذا العنوان المصاحب (**Le paratexte**) هو من قبيل العناوين التعيينية، لأنه يمثل وسما مخبرا وعلامة أجناسية، فهو يحيلنا إلى جنس النص، وينبهنا إلى أنه "**يوميات**"، وهذا يعني أن العنوان المصاحب مهم من حيث إنه يؤطر العمل ويحصره في خانة أجناسية محددة. وهذا التحديد، وذاك التأطير يكتسبان أهمية بالغة لأنهما يوجهان القارئ ويؤسسان عقد القراءة بينه وبين الباث (المؤلف).

فمرجعية المحتوى–في ضوء مصطلح "**يوميات**" تحيل على الواقع، وعلى حياة يفترض أن المؤلف عايشها معايشة فعلية، مقرونة بوقائع يومية ومدعومة بوثائق تاريخية، وهذا حسب ما استخلصه الناقد من قراءته النقدية للعنوان المصاحب "يوميات". وإن كنا نعتقد من جهتنا أن اليوميات في المفهوم الجديد الذي كشفت عنه الدراسات النقدية المعاصرة "**للسيرة الذاتية**" ومنها "**اليوميات**"، لا تحيل بالضرورة إلى الواقع الخالص، بل يمكن أن يؤثر الجانب الذاتي، أو البعد التخييلي في بناء نص "اليوميات"، فتكون مزيجا من التاريخ الخالص، والرؤية التخييلية لصاحب اليوميات.

إن أفق انتظار القارئ مرتبط عادة بآثار المواجهة أو الصدمة التي يحدثها الاطلاع على العنوان الرئيس أو العنوان المصاحب أو هما معا في مثل هذه الحالة. ولعل ما يهيئ القارئ لتلقي هذا النص الذي يربطه صاحبه بـ"يومياته" السياسية والفكرية والثقافية في الوطن العربي، ذات الصلة بمسار هذه اليوميات بوجهيها السلبي والإيجابي. كما أن من إيحاءات العنوان المصاحب الحرص على التزام الموضوعية العلمية والأمانة التاريخية في انتقاء المواضيع والقضايا المعروضة، والأخبار المسرودة، لتوظيفها في رصد تطورات الأحداث السياسية العربية خلال الفترة الزمنية الفاصلة بين ألفيتين: (أكتوبر 1999 وسبتمبر 2000).

وقد سجل الناقد (الحلواني) أن المؤلف يتخذ من الجسر مرسى للعبور بين قرنين، يسجل عليه يومياته. ويؤكد في ذات الوقت أن (المسدي) لا يتعامل مع الأحداث تعاملا يوميا، بقدر ما يبنيها بناء فنيا يعقد صلة بين الواقع والمتخيل.[1]وهي إشارة ذكية دالة، لأن العبور لا يخلو عادة من مزالق ومآزق، فضلا عما يضمره لفظ العبور من معاني الطقوس الدالة على التنازع بين إرادة البقاء والخوف من المجهول.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الناقد من توظيف العنوان المصاحب "**يوميات على جسر العبور**"، خروج دلالات اليوميات الاصطلاحية واشتراطاتها الفنية عن المألوف، وبالتالي ألا

---

[1]- سيميائية العتبات، مرجع سابق، ص: 180

معول على العنوان المصاحب بمفرده في فهم استراتيجية المؤلف في التعامل مع الأحداث، ولكن لا بد من الاستنجاد بالعتبة الثانية، وقد وسمها المؤلف بـ"**إشارة**".

2-عتبة الإشارة:

وأول ما يلفت انتباهنا في هذه العتبة قول المؤلف:" بين أكتوبر 1999 وسبتمبر 2000، كانت سنة، وخلالها نذرت أن أصعد جسر العبور بين القرنين، فأطل على جدول الأحداث تمشي الهوينى، ثم أتسلق الجسر الأعلى بين الألفيتين لأرقب النهر الكبير يتهادى بموجه الموار.» يشير الدارس إلى أن هذه العلامة النصية المقتطعة من العتبة الثانية توضح ما ورد مجملا وغامضا في العنوان المصاحب. ويصبح الجسر جسرين: سفليا وعلويا، ويصبح التعامل مع الأحداث في اتجاهين:

- اتجاه أفقي خطي يطل من خلاله المؤلف على الأحداث وهي تسير هادئة بطيئة.
- واتجاه عمودي أفقي متحرك في اتجاه الألفيتين، وخاضع لمبدأ التفاعل وتبادل التأثير لا حالة مستقرة يمكن التحرك فيها من البداية إلى النهاية.

وهكذا، يكون "**العبور**" في هذه العتبة كلمة **مفتاح:**

- فهو عبور زمني تقطعه البشرية إذ تودع قرنا وتدخل قرنا جديدا.
- وهو عبور إدراكي يعيشه الكاتب ويستعير له صورة المتسلق الجسر المراقب هدير المياه.
- وهو عبور حسي يتم فيه الانتقال من ضفة إلى أخرى.
- وهو عبور عسكري تسقط بموجبه أسطورة الجيش الذي لا يهزم(حرب 1973).

- وهو السياسة تعبر حياة الإنسان، وترمي بظلالها على كل شيء.
- والعبور كذلك من أمر القارئ ومن سمات القراءة، إذ تشق النص وتعبره.
- وهو جنس في الكتابة عابر لكل الأجناس، ومن خلاله يعبر المؤلف موضوعه.[1]

3-الصياغة الزمنية للعتبات وإشكالية النوع الكتابي:

تنبه الدارس وهو بصدد تفكيك الخطاب وإعادة تركيبه إلى بعد فني يتعلق بالصياغة الزمنية لليوميات كما وردت في هذا الكتاب، ذلك أن الخطاب في مجمله يحمل بذور السيرة الذاتية التي تتميز بصياغة سردها الخاص، لذلك نلفيه يخصص جانبا من هذه الدراسة للحديث عن هذه الصياغة الزمنية لليوميات، على الرغم من أنها لا تندرج بالضرورة ضمن دراسة العتبات النصية، لأنها تهتم بمستويات أخرى في تحليل الخطاب. ولكن نظرا لأهمية القضايا الفنية التي تتصل بالبعد الزمني؛ والمتمثل خاصة في إثبات التواريخ التي دوّن فيها المؤلف يومياته، والصيغة الصرفية المعتمدة في ذلك، واستراتيجية التأليف لدى الكاتب، نراها جديرة بالإشارة والتنويه.

أورد الناقد معلومات وصفية جديرة بالاهتمام تتعلق بانطلاق المؤلف في تسجيل يومياته من الماضي إلى الحاضر، أي من لحظة التجربة إلى لحظة الكتابة. ويدلل على ذلك بما جاء في الفصل الموسوم بـ"**الشاعر ومأزق السياسة**"، وفيه يتحدث المؤلف عن انبهار أحمد شوقي بمدينة الأنوار واستلابه، وتعود به الذاكرة إلى الماضي ليذكر أولئك المثقفين الذين زاروا المدينة قبل شوقي فلم يصب ذلك الدوار والانبهار الذي أصاب شوقي، أمثال الطهطاوي في تخليص الإبريز في تلخيص باريز سنة 1834، إلى ذكر أحمد بن أبي الضياف في إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (1846)، وعهد الأمان،

[1]- سيميائية التعبات، مرجع سابق، ص:180

وهو المعروف بقانون عهد الأمان المهيئ للدستور (1857)، فخير الدين التونسي، وهو يضع مشروعه الإصلاحي في أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك سنة 1867. فضلا عن جيل آخر لاحق اجتهد في صياغة مشروع نهضوي لا يغفل عن تقدم الغرب.[1]

وقد يمضي المؤلف في مجرى عكسي في حكيه، أي من الحاضر إلى الماضي، ومن لحظة الكتابة إلى لحظة التجربة، كما في الفصل الموسوم بـ"**الإقليمية وتصدع التاريخ**". ففيه يستخلص المؤلف (عبد السلام المسدي) أن العرب كذبوا على أنفسهم "حين قالوا: إن التحالف الفرعي في الدول العربية لا يتناقض مع مبادئ العمل العربي المشترك، وحين استلذوا ما صانعوا به أنفسهم، فتخيلوا أن الجامعة العربية إطار ملائم لتراكب الصيغ."[2]

ويورد الدارس/الناقد عددا من المفارقات لا يتسع لها البحث، يحيل على بعضها في الكتاب، ليذكر بتصدع التاريخ العربي، وسقوط الأمة المدوي عبر تحالفاتها البينية والأجنبية، بالإضافة إلى مكر العرب، وسهولة انخداعهم بوعود الدول الغربية، ويستشهد بإحدى مسرحيات المشاريع المشتركة بين الجانب الأوربي والعرب، وفيها يذكّر بمقولة **(رولان ديما)** وزير خارجية فرنسا –سابقا– مستضيف أحد اللقاءات:" هناك صيغة مهمة من صيغ مقاومة الإرهاب تتمثل في إحياء الحوار العربي الأوربي."[3]

4-إشكالية الجنس الكتابي:

يبدو أنه من طرافة صياغة هذا الجنس الأدبي بالصورة التي نتلقاها في هذا المؤلف، أن مؤلفه متوزع بين تقنيات اليوميات وتقنيات السيرة الذاتية، وإن كان بين الجنسين تعالق وتمازج لا يمكن تجاهله، إلا أن لكل من اليوميات والسيرة الذاتية صيغة معينة، واستراتيجية مميزة في نسج خيوط الخطاب السير ذاتي، وخطاب اليوميات، لكن الطريف لدى مؤلف "العرب والسياسة" هو العزف على الوترين في آن واحد، والمزج بين الصيغتين بشكل

[1]- المرجع السابق، ص: 181
[2]- العرب والسياسة، مرجع سابق، ص،145
[3]- - سيميائية التعبات، مرجع سابق، ص:181

مقصود، وقد أبدى الدارس ملاحظات رشيقة حول هذا التداخل والتمازج ودلالاته، ومن بين ما استخلصه في هذه التجربة الفريدة في صياغة نص "اليوميات":

- أن المؤلف وهو يتعقب الأحداث تعقبا دياكرونيا صارما، إنما يؤكد أن جريان فعل الأحداث لا يتم في اتجاه خطي واحد من نهاية ألفية إلى بداية أخرى، بقدر ما يمثل مشاركة فعالة ومنتجة بينه وبين هذه الأحداث التي تولد عنده مجموعة متفاعلة ومتداخلة من الحوافز والمثيرات، يتم تسجيل تصورات عنها في كل حين.
- أنه كلما استمر الرائي من أعلى الجسر في رصد هذه الأحداث وهي "تمور"، يستكشف أحداثا جديدة تفرض عليه أن يقوم بعملية رجوع أحداث رصدها سابقا ليعيد النظر فيها، ويعيد ترتيبها وتعديلها وتفسيرها في ضوء ما يجدّ.[1]

وهكذا؛ يبدو أن الانطباعات التي كونها المؤلف في المقام الأول من الجسر، من خلال القراءة الأفقية قد تغيرت وتعدلت مرات عديدة عندما أضحى في المقام الثاني من الجسر، لمّا تسلق أعلاه، حيث تحسنت مواقع الرصد، وصار المؤلف قارئا من الدرجة الثالثة، وهي درجة أهلته لقراءة ما فوق المقام، ونبهته إلى قراءته الأولى وما اعتراها من عوار.

وبإيجاز شديد؛ يمكن الحديث ها هنا عن نوع من التقدم والتراجع، والصعود والنزول المتكرر بطريقة غير منظمة، وغير محددة أثناء جريان الأحداث وحصولها. وهو رصد على الرغم من ضبابته يفضح وضع العرب السياسي، من خلال تنقّل وإبحار ضد التيار لا يخلوان من مكابدة فكرية ومعاناة ذهنية.

نستخلص مما سبق تحليله أن قراءة عتبة العنوان الأساس وعتبة العنوان المصاحب لم تنتج لدينا فهما تاما للكتاب، بل ولدت عندنا توقعا احتماليا، وهذه الحالة وجهتنا إلى اتخاذ موقع

---

[1]- المرجع السابق، ص: 182

جديد داخل العتبات الأخرى للنص، لأننا نعتبر أن عتبة العنوان تبني توقعا يبحث لنفسه لدى القارئ تأكيد كل ما سيقرأه لاحقا.

5-اليوميات والقصص السياسي:

يتساءل (**عامر الحلواني**) في هذا المستوى من تطور تحليله لخطاب "العرب والسياسة"، تساؤل الباحث عن الحقيقة، لا المنكر على المؤلف اختياراته الفنية: هل أراد المؤلف (عبد السلام المسدي) أن يكتب "يوميات" فتمرد النص عليه، فاتجه عكس إرادته، وتحول عمله إلى قصة خيالية في أدب السياسة. أم أن المؤلف أراد أن يوضح لنا أن الحمل والعذاب، والوجع والميلاد، والسنة والتسمية، تذكر بالصلة التي تربط الكتابة بالولادة، وتشير إلى أن الكتاب وليد جديد، خليق بأن يسمى باسم جديد. بهذه الأسئلة الوجودية يحاول الدارس فك إشكال التماهي بين اليوميات والقصص السياسي في مؤلف " العرب والسياسة". ونعتقد أنه اهتدى في النهاية إلى تفسير مؤقت للظاهرة من خلال ما صرح به المؤلف نفسه، يقول فيه المؤلف: "أحيانا أفكر وأتمنى ألا أكتب، وأحيانا أكتب فأود أن أمسك عن التفكير.. أرى فأكتب.. أسمع فأكتب.. أتحسس..، ألامس فأكتب.. استيقظ فلا أكتب.. كانت سنة ليست كالسنوات.. كنت أكتب.. وفي يوم من أيامها. حمل الليل بحمله.."[1]

ما نستخلصه من هذا المقطع النصي من عتبة "الإشارة" أنه تصريح من قبل الكاتب، يدفع نحو تراجع المؤلف عن اختياراته الاستراتيجية في الكتابة، فهو لا يكتب "يوميات" ولكنه يكتب "القصص السياسي". وقد يكون هذا التوجه الفني آلية من آليات تعطيل التوقع الذي أحدثه العنوان المصاحب. ويرى الناقد أن من شأن هذا التعطيل إحداث أثر انعكاسي مباشر على الخصائص الكبرى في الإرسالية النصية لهذا الكتاب، لأنه يسمو بقيمته الجمالية عبر مقاومة كل أشكال التوقع الممكنة بمختلف وسائل الكتابة وحيلها، ويحوّل وجهة القارئ إلى علامات جديدة تخرج بجنس النص من دائرته اليوميات، وترشده إلى المواقع المركزية في

[1]- العرب والسياسة، ص: 298

الكتابة ومقاصدها الكبرى، وتتبهه إلى الطريقة المثلى لقراءتها."[1]فمصطلح "قصص" يحيلنا إلى مرجع " تخييلي"، ويضع في اعتبار القارئ أن الثقة في السارد غير مؤسسة على المرجع الواقع بقدر ما هي قائمة على البناء الفني.

فهل نقبل –بعد هذا كله– وفي ضوء عتبة العنونة الإلحاقية/المصاحبة من جهة، وعتبة الإشارة من جهة ثانية أن نكيّف قراءتنا حسب هذين المقتضيين، فتنتج لدينا قراءتين مختلفتين بتأثير من عتبتين وقعهما التوهمي مختلف..؟

6-عتبة الختام: (في علاقة عتبة البداية بعتبة النهاية)

يحيل الناقد في هذه النقطة من البحث على مقولة لـ"كلود دوشيه Claude DUCHET" يرى من خلالها أن "عتبة البداية لا تأخذ معناها إلا في ضوء علاقتها بعتبة الختام".[2]وهو تصور مخصوص لمفهوم القراءة المتعاكسة التي أشرنا إليها سابقا. لأنه يأخذ بعين الاعتبار علاقة التأثير المتبادلة بين العتبات.

واللافت أن من نتائج هذه الدراسة النقدية حول "سيميائية العتبات" أن الاستراتيجية العامة في هذا المؤلف اتجهت نحو الربط الحميمي والصارم بين عتبة العنوان المصاحب وعتبة الختام، من حيث تأطير محتوى الكتاب في خانة أجناسية محددة، وهي اليوميات، فقد وجد "يوميات على جسر العبور " صداه في عتبة الختام على النحو التالي:" والتاريخ الذي تصنعه الأيام تدونه الكلمات على صحائف اليوميات".[3]

وإذا كانت عتبة العنوان مؤشرا على دخول عالم الكتاب، فإن عتبة الختام علامة على الخروج منه بعد امتناع مواصلة الكلام، وتوقف آليات اشتغال النص.

---

[1]- سيميائيات العتبات، مرجع سابق، ص:183

[2] انظر: Claude DUCHET, Idiologie de la mise en texte :ouverture de Germinal, dossier pédagogique de :R.T.S (Français 1971, P. 35

[3]- العرب والسياسة، ص: 417

7-مراجع المؤلف ودلالتها:

في قراءته للمرجعية النظرية للمؤلف، يشير الدارس إلى أنه مما يزيد كتاب " العرب والسياسة" تأصيلا في جنس اليوميات، وفرة المراجع التي كانت ولا تزال التقاليد الأكاديمية ترفضها، وهي المقالات الواردة في المجلات الثقافية غير العلمية، والصحف اليومية التونسية (الصباح)، والعربية (الرياض/ الشرق الأوسط الحياة اللندنية). والمجلات العربية (الوفاق/ العربي). فضلا عن أخبار الشاشة الصغيرة من خلال القناة الفرنسية الثالثة وفضائية الأفق (بالفرنسية). والقناة الأردنية وغيرها.

كما يحيلنا على بعض الكتب النقدية، وأغلبها لطه حسين. بالإضافة إلى هذه المرجعية الحية، يحيلنا (المسدي) على بعض الكتب التاريخية، وأغلبها باللسان الفرنسي ومنها:

-Jean Christophe RUFIN, L'empire et les nouveaux Barbares, Rupture Nord-Sud, Paris, 1991.

-Christian CHEVIOLET, et Pierre ALNIN, Le guide du Rourad, Paris Fachette, 1997.

ومن خلال اطلاعنا على المرجعية النظرية في هذا الكتاب، نلاحظ أن أغلبها يبشر بمشروع نصي، ينأى عن جنس القص ويخرج عن إطاره، ويمكن أن يقترب من جنس "اليوميات"، ليحمل شيئا من التاريخ، وأحداثه المتتالية من خلال محطتين لافتتين يفصلهما قرن من الزمن.

يقف المؤلف بين هاتين المحطتين ليعرض لنا قصص الأحداث التاريخية في تسلسلها، بدءا بالعرض الكوني (l'exposition Universelle) الذي التام بباريس، وتم افتتاحه سنة 1900. وقد دونت موسوعة أحداث القرن يومها.. "أن هذا العرض ضروري كي يثبت للجميع بأن فرنسا أمة جادة. تدفعها رغبة جامحة نحو التوسع."[1]

[1]-سيميائية العتبات، ص: 184.

ويذكر المؤلف في هذا السياق كيف مجد أحمد شوقي هذا المعرض، وصور شدة انبهاره به، ونسي أن ثلثي المغرب العربي كان وقتها يرزح تحت الاستعمار الفرنسي، ليستنتج أخيرا أن قصة أحمد شوقي، هي في الواقع قصة التاريخ الذي يعيد نفسه، وهي قصة المثقف العربي في كل مكان وكل زمان، حين يفلت الأمر من بين يديه. فيقع تحت أضواء الانبهار الحضاري العاجل، فترتبك خطاه، ولا يعرف كيف يوازن بين حقيقة التقدم المدني، وبين حقيقة المظالم البشرية.[1]

هذه بعض اليوميات من هذا الكتاب–كتاب العرب والسياسة–، ولكنها يوميات لا تخلو من نفحة جمالية ممتعة، وكأن (عبد السلام المسدي) يطمح من وجهة نظر الدارس (عامر الحلواني) إلى "تأسيس خطاب ثقافي سردي فيه من عناصر القص ما به يرقى إلى مستوى الكلام السامي، دون أن ينال جمال الكلام من جلال الكلام، فيتعايش المجاز والحقيقة، وتتفاعل الكتابة التاريخية مع الكتابة الإبداعية."[2]

والخلاصة أن عتبات كتاب "العرب والسياسة" تمثل في رأينا رسائل مشفرة لا يمكن فك مغاليق متن الكتاب بتصوراته الثقافية الكبرى وخياراته السياسية الثابتة ورؤيته الفكرية العميقة وآلياته اللغوية الذكية في تفكيك الخطاب، إلا في ضوئها.

ولا يخفى ما لكثرة العتبات في هذا الكتاب من دلالة واضحة على رغبة المؤلف في تأمين رحلة القارئ في عالم اليوميات دون سأم وملل في إطار ما يسمى باستراتيجية الترغيب التي لا تنشأ إلا من العتبات وإن لم تكن حكرا عليها. كما لا يخفى على القارئ لهذه القراءة ما يحظى به الدارس (عامر الحلواني) من حصافة وذكاء وعلم، فقد أقنعنا أن المؤلف ابتكر جنسا كتابيا عابرا، يخترق جل الأجناس، واستدعى القارئ ليكون العبور من أمره ومن سمات قراءته.

---

[1]- المرجع السابق، ص: 184

[2]- المرجع السابق، والصفحة نفسها.

نرجو في نهاية هذه القراءة التي وسمناها في مطلع هذا النموذج بـ"نقد النقد"، ألا نكون قد أخللنا بما تضمنته المقاربة السيميائية في عرضها وتفكيكها لمؤلف "العرب والسياسة"، ونأمل أن تكون قراءتنا حوارا من المعرفة لا ينقطع، لخلق تفاعل مع الخطابات النقدية وهي تفحص المعنى ومعنى المعنى من وراء أقنعة الخطاب.

ثانيا: النموذج التطبيقي الثاني: الناقد رشيد بن مالك(*)[1]

1-قراءة سيميائية في روايتي " ثورة بروا" و " دروب العتمة"

تمهيد:

نحاول من خلال عرض النموذج الثاني من هذا الفصل التطبيقي، تسليط الضوء على جانب مهم في التجربة النقدية السيميائية للباحث " **رشيد بن مالك**"، ويتعلق الأمر بالجانب التطبيقي لهذا الخطاب، من خلال تتبع تمفصلاته، والكشف عن مدى فاعليته، وجدواه في مقاربة النصوص السردية العربية.

وقد أسهم الباحث " رشيد بن مالك" في تحديث الخطاب النقدي العربي المعاصر، وذلك من خلال رؤيته إلى الخطاب السيميائي، على أنه ليس مجرد مجموعة أدوات وإجراءات نقدية، يُتوسل بها في تحليل النصوص والخطابات الأدبية، وإنما باعتباره رؤية منهجية أفرزتها الظاهرة العلمانية الغربية، تحمل في طياتها وفي مضامينها، ومدلولاتها شحنات معرفية وفلسفية وعقائدية، وتعكس أبعاد البيئة والحضارة التي تنتمي إليها.[2]

وفي هذا السياق الذي يراعي الأصول العلمية والمعرفية، والمنطلقات الفكرية والفلسفية التي تستمد منها المناهج والنظريات إجراءاتها وأدواتها التنظيرية والتطبيقية، يقدم لنا الباحث "رشيد بن مالك" **(قراءة سيميائية في روايتي: "ثورة بورا" و"دروب العتمة")** ضمن مشروع **(النص العُماني برؤية عربية)** والذي ضم أربع عشرة دراسة قاربت النص الروائي العماني. وقد انطلق هذا المشروع من قناعات أفصح عنها مقدم هذا المؤلف الجماعي " الأستاذ حسن المطروشي"، عضو مجلس إدارة مشروع "النص العُماني برؤية عربية"، وهي التعريف بالمؤلف العُماني، وحاجة النص العُماني إلى الدراسة والتحليل. وهي حاجة لا تقل أهمية عن

*- أ.د. رشيد بن مالك، أستاذ باحث بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، شغل عدة مناصب علمية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، منها مدير عام مركز بحث في تطوير اللغة العربية بالجزائر العاصمة، ومدير مختبر.

[2]- ينظر: سحنين علي، السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك، مجلة "سيما" العدد:01، جامعة البحرين، 2014، ص:57.

وجود النص نفسه، من منظور نقدي منهجي حديث، يأخذ بعين الاعتبار تنوع المناهج، والرؤى، ويستكتب مجموعة من النقاد العرب، ممن لهم صيت ذائع في هذا المضمار، لإنتاج مباحث علمية متخصصة.

طبعت هذ الأعمال في مؤلف جماعي، عدد صفحاته 477 صفحة من القطع المتوسط. صدر هذا المؤلف عن "دار سؤال للنشر، بيروت، 2016"، بدعم من وزارة التراث والثقافة في سلطنة عمان، وقد شغلت فيه دراسة الباحث "رشيد بن مالك" أكثر من 42 صفحة، وتصدرت باقي المقالات.

1.1 المحددات المنهجية للقراءة:

يشير الناقد **رشيد بن مالك** في بداية دراسته إلى الأسباب التي جعلته يتردد في المشاركة في برنامج " **النص العماني برؤية عربية**"، لعل أهمها افتقاره – حسب الباحث– إلى خلفية سردية تمكنه من بناء رؤية شاملة عن واقع السرد العماني وطبيعة الدراسات النقدية التي رافقته، ثانيها: قصر المدة الزمنية والتي بدت للباحث غير كافية لتقديم دراسة علمية جديرة بهذا الاسم، وثالثها: الصعوبة المنهجية التي تعترض الباحث في أثناء تصديه لروايتين في آن واحد، لينتقل بعدها إلى الحديث عن مشروع " **النص العُماني برؤية عربية**"، والذي من شأنه – حسب ذات الباحث–أن يوحد علميا الجهود النقدية العربية، ويكرس في الوقت ذاته التحري العلمي الجماعي، والذي يراه الباحث السبيل الوحيد للنهوض بالثقافة العربية، وترقية البحث بعامة والتعريف برواية العمانية بخاصة.

وفي هذا المقام تأسف الباحث رشيد بن مالك عن الوضع المأساوي الذي أفرزه غياب التنسيق بين المؤسسات العلمية العربية، مما جعل تواصل الباحث مع المنجزات العلمية والسردية العربية أمرا مستحيلا، ليشير إلى النادي الثقافي، والذي وفر فرصة إقامة وإرساء قنوات التواصل بين النقاد العرب والروائيين العمانيين. وقد أشار الباحث هنا إلى أن الروايتين

أثارتا فيه رغبة حادة في معرفة هذه الأكوان الدلالية فيهما والقيم التي تفرزهما، وفي إثارة مجموعة من الأسئلة المنهجية التي تمكنه من الوقوف على الآليات التي تحكم النصين والمعايير التي يرتكز علبها لتقطيعهما والتيمات الأساسية التي تعبرهما والهيئات السردية التي تضطلع ببلوتهما.

2.1 نحو دراسة نسقية للعنوان:

ولئن كانت هذه الدراسة في الظاهر، ومن الناحية المنطقية، تأتي امتدادا طبيعيا لأسئلة أخرى في غاية الأهمية تقترن بإشكالية الاقتراب المنهجي من عنوان الرواية، فإن صياغة عناصر الإجابة عنها مرتهنة أساسا بالإمساك بالعنوان الذي يعد واجهة حقيقية للروايتين.

ويعتبر الناقد العنوان "المفتاح الذي سيسمح بتجلية العلامات النصية التي لا يمكن رصد مكوناتها الدلالية إلا بربطها بالنسق العام الذي ترتكز عليه والكل الدلالي الذي تحيل عليه. ويعد العنوان الواجهة الأولى لغلاف الكتاب التي تتصدره."[1]

وهكذا؛ فإن إحالة العنوان تجري في اتجاهين: عمودي، أولا، بحيث يتصدر رسومات الغلاف، وأفقيا ثانيا لإحالتها على مرجعه الداخلي. وفي جميع الحالات، فإن العنوان –حسب ذات الباحث–يستفز القارئ ويوجه له دعوة لشراء الكتاب، لأن هذه العملية التجارية التي تسمح له باقتنائه، وقراءته تعد السبيل الوحيد لفهم هذه العناوين المثيرة والوقوف على أكوانها الدلالية. غير أن الإشكال الذي ظل قائما – حسب الناقد– هو أن العنوان تتجاذبه تأويلات كثيرة، وهي في جميع الحالات تتراوح بين ثلاثة عوالم. قد يحمل الأول على انشراح القارئ، وقد يحيل الثاني على انقباضه، فيما يثير الثالث قلقا وحيرة وأملا فيما سيأتي. [2]

وحتى تحسم قيم العنوان الدلالية لابد من الرجوع إلى النص وقراءته، وضبط مستوياته، وتقليب تأويلاته من منطلقات أسقيته والانتباه إلى تردداته سواء جاء كاملا كما هو في صدر

-[1] المرجع السابق، صص:14-15

-[2] المرجع السابق، ص:15

الغلاف أو منقوصا وفي هذه الحالة، ينبغي بناؤه من الداخل وهذا من بداية الرواية إلى نهايتها.

3.1 إشكالية تحليل النص الروائي:

وإذا كانت الدراسات السيميائية الراهنة لم تجد "صعوبة في التعامل مع النص السردي وتقطيعه من منطلقات المقطوعة باعتبارها وحدة خطابية تجري مجرى القصة القصيرة، فإنها في الغالب لم تضع قيد التحليل النصوص الطويلة (الروايات)"[1]، وأشار الناقد في هذا المقام إلى الإشكال الكبير الذي تواجهه النصوص الروائية في التعامل معها. وأنه لابد من إيجاد الحلول الكفيلة بتقطيع النص الطويل. ويقترح رشيد بن مالك من ضمن هذه الحلول، أن يلجأ الباحث إلى التقطيع الذي يتبناه الروائيون في تقسيم روايتهم إلى فصول على نحو ما قام به سلطان بن حميد البادي لمّا جزأ روايته إلى واحد وعشرين فصلا، وعلى نحو ما لجأ إلى ذلك، ولكن بطريقة مغايرة خليفة سليمان الذي وضع ثلاث نجوم للفصل بين مشهد سردي قصير وآخر. ولكن هل يمكن أن نطمئن إلى هذا التقطيع الذي يرتكز على عنصر التشويق، من جهة، وعلى المعنى، من جهة ثانية.

ومع عدم الاطمئنان لهذا التقطيع، يرى الناقد بأنه يستحيل تحليل نص سردي إلا بعد الانتهاء من قراءته وأخذ فكرة عامة عن وقائعه السردية وإدراك المحطات الأساسية لكل قصة والتمييز بين سوابقها ولواحقها. في هذه الحالة فقط ومن منطلقات المعنى، يمكن عزل كل قصة على حدة. وهذا لا يعني – يضيف الباحث– أن كل قصة من قصص الرواية مستقلة بنفسها ولو كان الأمر كذلك لاكتفى الروائي بتسميتها مجموعة قصصية. فعلى الباحث عدم الوقوع في فخ التقطيع الذي يعد عملية ضرورية لقيادة التحليل على أحسن وجه.

---

[1]- رشيد بن مالك، قراءة سيميائية في روايتي " ثورة بورا" و"دروب العتمة"، الكتاب الأول، الرواية في عمان برؤية عربية، دراسات وقراءات، النادي الثقافي العماني، دار سؤال للنشر، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 2016، ص.13.

لذا ينبغي "النظر إلى النص على أنه كلّ دلالي، ولا تستمد كل قصة من قصص الرواية قيمتها الدلالية إلا من خلال العلاقة التي تقيمها بعضها مع بعض داخل النص الروائي"[1]. من هذا المنظور يتبنى الناقد المنطق المعكوس في التعامل مع النص السردي من آخر نقطة وصلت إليها الرواية، مرورا بكل اللحظات السردية الأساسية متوغلا في الأحداث الرئيسية والثانوية في الرواية للوصول إلى بدايتها.

وهذه الطريقة قمينة بالكشف عن كل ملابسات الرواية وتفرعاتها من بدايتها إلى نهايتها وجديرة أيضا بأن تفضي بالباحث إلى تقطيع معقلن من شأنه أن يبرز التوجهات الدلالية الكبرى للرواية. ومن حقنا أن نتساءل الآن عمّا إذا كانت هذه المحددات المنهجية التي ضبطها الباحث كافية لبلورة القراءة الهادفة إلى الوقوف عند البؤرة السردية الساخنة التي تتشظى منها التفرعات الدلالية للنصين. وهكذا؛ لا نستطيع أن نجيب بشكل قطعي، لأن الدراسات السيميائية الراهنة لم تصغ إلى حد الآن إجابات مرضية يمكن الاطمئنان إليها لتحليل يرتكز على معايير واضحة سواء تعلق الأمر بتقطيع النص الروائي أو بإشكالية ضبط دورته الدلالية بالارتكاز على صعيديه الخطابي والسردي. ولئن كانت الحلول الجزئية التي انتهى إليها الدرس السيميائي المعاصر تكاد تقتصر على الأشكال السردية القصيرة، فإن تعميميها على باقي المجموعات الدالة مسألة واردة. ومن منطلقات هذه الحلول، حاول رشيد بن مالك تقديم بعض الإجابات المقيدة أعلاه لمقاربة النص الروائي. حتى ولو لم تكن كافية، فإنها جديرة بإنارة الطريق، في بعض جوانبه، والذي يفضي إلى الإمساك بمعنى النصين.

ويشير الناقد إلى المقاربة المنهجية التي سيلامس بها النصين، والتي يستمدها من السيميائية المحايثة (توجه مدرسة باريس)، وهي في جميع الحالات لن تكون صارمة بالدرجة التي يمل منها القارئ كما يمل وينفر من عدد غير قليل من الدراسات العربية التي ابتعدت كثيرا عن

---

[1]- المرجع نفسه، ص.14.

جوهر الممارسة السيميائية التي تعتبر وسيلة فقط لفض الإشكالات التي تطرحها النصوص المعبّر عنها باللسان وغير اللسان[1].

وهذا ما لاحظناه ونحن نقرأ هذه الدراسات التي تبدو في غاية التعقيد الذي يعد السمة الغالبة فيها، فمهما حاولنا الاقتراب منها وفهم مراميها واستراتيجيات أصحابها لم نلق إلى ذلك سبيلا. وإذا أمعنا النظر في هذه المسألة، فإننا نلاحظ أن هذه المناهج اتخذت غاية في حد ذاتها، لا يهم أصحابها على الإطلاق التفكير في مسألة تلقّيها واستيعابها. ولا التقرب منها بتبسيطها وترويضها بشكل يسهل تواصل القارئ معها.

وعلى حد قول الناقد رشيد بن مالك، وهو بصدد التعليق على ظاهرة التعقيد في الخطاب النقدي السيميائي، "فإن الذي يهمهم بالدرجة الأولى هو تعويم نصوصهم بأرمادة من المصطلحات تكون بمثابة الواجهة التي تتعداها رؤية القارئ لتحط بها الرحال إلى اللاّمعنى والضياع."[2] ومع استفحال هذه الظاهرة في كثير من الدراسات والتي تعد العائق الذي يحول بين القارئ وبين تلقيها، يبدو أن الأوان قد آن "لإعادة النظر بشكل ملي في واقع الدراسات العربية والمآزق الذي آلت إليه في غياب حوار حقيقي والتفكير في البدائل النقدية، والنظر في آليات صناعة خطاب علمي يحتكم إلى مصطلحية موحدة في مختلف التيارات النقدية، والخطاب النقدي العربي الذي تعبره رؤى متناقضة، متضاربة يتساوى فيها الجيد والرديء، المؤسس والمضطرب"[3].

ويمكن أن نختزل المشكلة الأساسية في النقد العربي المعاصر في المفاهيم المقتطعة من سياقاتها والمحركة في اتجاه غايات لا علاقة لها على الإطلاق بأصولها ولا بخطاب علمي جدير بهذا الاسم فتترك فجوات تقوض جهود القارئ العربي في استيعاب النصوص وتنسف حتى استعداداته في المضي قُدما نحو الأحسن.

1- ينظر: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي/ نظرية قريماس (Greimas)، الدار العربية للكتاب، تونس،1993 .
2-قراءة سيميائية في روايتي: "ثورة بورا" و" دروب العتمة"، مرجع سابق، ص:15
3-المرجع السابق، ص. 15.

ومن هنا يقترح الناقد عدم إدخال القارئ في متاهات النظريات، ولا إثقال نص يصعب عليه فك رموزه. وما دامت الكتابة موجهة للقارئ، فمن الواجب أن تكون هذه الكتابة خطابا نقديا يفهمه ومصطلحية لا تشق عليه الإحاطة بها.

وأشار هنا الناقد إلى "صعوبة تصميم خطاب مبسط يفهمه العام والخاص، فليس من السهل أبدا أن تكون عين الناقد على النص وبكل المكونات النظرية التي يستند إليها وعين على ترويض الخطاب وتليينه في آن واحد بطريقة تضمن التواصل مع القارئ"[1]. إن كل هذا – يضيف الباحث–يتطلب جهدا كبيرا يكون مركزا في التوفيق بين الأمرين. وهذا لا يعني أن يتجرد الباحث من النظريات النقدية التي وضعت كوسيلة فقط لمقاربة النص.

وإذا كانت الاستعانة بالنظرية أمرا مفروغا منه، فإن طريقة توظيفها في النص، ينبغي أن تكون سلسة غير مقحمة إقحاما على النص وهادفة إلى ضبط دلالاته بالارتكاز على الوسائل الحجاجية التي من شأنها أن تقنع القارئ وتحمله على الانخراط في رؤية الناقد.

يقرّ الناقد بأن قيادة تحليل من هذا النوع يفرض عليه في أثناء التقطيع التمييز بين الحكاية والخطاب الذي ظهرت تباشيره الأولى عند إميل بنفيست[2]. فقد أقام هذا الباحث مقابلة تخضع للعلاقة التي تستند إليها الشخصيات والفضاءات والزمن. يتميز الخطاب ب " الأنا، الهنا، والآن" والحكاية ب " لا أنا" (هو أو هي). ولتوضيح هذه الظاهرة يذكر رشيد بن مالك مثالا من الروايتين:

- ما رأيك في المزرعة الآن؟
- إنها رائعة، كبيرة وجميلة [3]

[1]- المرجع نفسه، ص. 16.
[2] -Emile Benveniste, les relations de temps dans le verbe français in Problème de linguistique générale , tome1, Gallimard,Paris,1966, p.237.
[3]- سلطان بن حميد البادي، دروب العتمة، بيت الغشام للنشر والترجمة، مسقط، سلطنة عمان، 2014، ص.33.

في هذه الملفوظات، نحن إزاء الخطاب الذي يتجلى في الأنا المتكلم، والهنا المزرعة والآن. أما الملفوظ الثاني: غادر خالد وصديقه مسقط باتجاه القاهرة[1].

ضمير الغيبة هنا (هو) يسمح بنفي الحاضر (الآن) والهنا (مسقط) والأنا بالرجوع إلى الماضي.

تضع السيميائية هذا التباين الوصفي الخالص في إطار نظرية التلفظ[2] وتستبدل مفهوم الحكاية بالملفوظ ومفهوم الحوار بالتلفظ الملفوظ[3]. والملاحظات التي يقيدها الباحث في هذا النص السردي والتي تصدق على أي نص آخر.

تعمل الحكايات باستمرار على إحداث تقاطع بين ما هو ملفوظ (مروي) وبين التلفظ الملفوظ (الكلمة التي تأخذها الشخوص للانخراط في الحوار الذي يكتسي أهمية خاصة في الروايتين). وبناء على هذا، لا يشذ النصان الموضوعان قيد درس الباحث وتحليله عن هذه القاعدة. فالارتكاز على المعيار التلفظي يعد ضروريا لضبط المستويات السردية ومضمون ما يجري في الروايتين.

ويعود الناقد إلى التقطيع الذي وضعه سلفا للمقطوعة [4]، والذي ساعده على إدراك التمفصلات الأساسية للنصين أثناء التحليل، واستعان به في ضبط الأحداث السردية الرئيسة للنصين التي ستمر في التحليل عبر الخطاطة السردية. وفي هذا السياق ينظر الباحث إلى الحدث على أنه تغيير في الوضعية الاستراتيجية لشخوص الرواية التي تتحرك عبر البرامج السردية وفقا لرغباتها وطموحاتها أيضا الرامية إلى الدخول في وصلة بمواضيع القيمة التي تفتقد حينا فتولد وضعية نقص، وتسترجع حينا آخر لتصفية هذا النقص. وستتأرجح هذه

---

[1]- خليفة سليمان، ثورة بورا، الكوكب/ رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2014، ص.09.

[2] -Emile Benveniste, L’appareil formel de l’énonciation in Problèmes de linguistique générale, tome2, Gallimard ,Paris , 1966, p.07.

[3] - Joseph Courtés, L’énonciation comme acte sémiotique in Nouveaux actes sémiotiques, Presses universitaires de Limoge , 1998, pp.58-59.

[4] A .J. Greimas, Joseph Courtés, sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, 1979, p .348.

الوضعيات بين الاضطراب، تارة، والاستقرار واسترجاع التوازن، تارة أخرى. ولا يمكن إدراك وفهم مغزى حقيقة هذه الوضعيات إلا بتحديد موضوع القيمة الذي يعتبر رهانا حقيقيا لشخوص النص.

إن النفس البشرية تواقة عبر أعمالها إلى تحقيق مجموعة من القيم تجسدها المواضيع المتباينة الألوان والأشكال، إنها البغية التي تخطط لها بامتلاكها واستغلالها، ولن تتأتى لها هذه إلا من خلال القيام بالأعمال البطولية والمنازلات الشاقة التي تأخذ هذا الطابع السجالي الذي يمكن أن تبينه في العلاقات الصدامية بين الشخوص التي عادة ما تنتهي بانتصار هذا الطرف وهزيمة الطرف الآخر.

وحسب ذات الناقد، لن نفهم موضوع القيمة الذي يمثل رهانا حقيقيا في النصين إلا إذا وضعناه في صلب التقلبات الحداثية التي تمر حتما عبر الخطاطة السردية. وستمكن هذه الإضاءات المنهجية من النظر عن كثب في التحولات السردية التي تمس رواية " ثورة بورا" بدءا من العنوان ومرورا بمختلف اللحظات الحاسمة. وتعتبر هذه الإجراءات مهمة للإحاطة بالأبعاد الدلالية للنص.

2-قراءة في رواية " ثورة بورا"

1.2 الأبعاد الدلالية للعنوان :

ما يمكن أن نلحظه أن الناقد بدأ دراسته لعنوان الرواية " ثورة بورا" بتقسيمه إلى عنصرين أساسين: الأول الثورة مع كل ما تحمله من قيم دلالية لا يمكن ضبط مسارتها إلا مع نهاية النص. أما الثاني فإنه، يجسد – حسب ذات الباحث- فضاء قد يحمل التباشير الأولى للتغيير ويرتهن في وجوده إلى هيئات بشرية تمارس الثورة من داخله سواء كان هذا الداخل فضاء مغلقا أو مفتوحا.

إن الأبعاد الدلالية للعنوان الذي جاء مكثفا ومع مجموعة الإيحاءات السيميائية التي تحملها تفرض على الباحث تركيز جهوده على كل ما يجري داخل فضاء كازينو بورا الذي تدور فيه وقائع ثورة لا يمكن أن نفصلها عن ثورة " الربيع العربي" وأحداث ميدان التحرير التي ألقت بظلالها على الأعمال الرئيسة المنجزة في إطار البرامج السردية المقترنة بخالد وسالم القادمين من مسقط.

ضمن هذا الإطار العام يتحرك عنوان الرواية ليعكس ثورة من نوع آخر، وهي ثورة جسدية مبنية على خلفية سياسية ينقل وقائعها سالم من خلال ما يشاهده ويقرأه ويسمعه، أما الثورة الجسدية، فإن خالد هو الذي يعلن عن اندلاعها في كازينو بورا. وهذا يقود الناقد إلى القول بأن الثورة لا تفهم إلا من خلال التغيير الذي يأتي في شكل حركة جسدية عنيفة ضد السلطة العقلية القائمة (التمرد، البركان في بعده الإيحائي) وإلحاق الضرر بها. فالثورة بهذه القيم الدلالية المقيدة سيعلن عن انطلاقتها الحقيقية في بورا العنصر الثاني من عنوان الرواية الذي جاء في شكل مرجعية اسمية تفسح المجال للقارئ لأخذ فكرة عن خصوصية فضاء بورا، بمرقصه وعناصر ديكوره وأضوائه وأصواته الصاخبة وأجساده المتمايلة، الذي ستجري فيه وقائع ثورة سيقودها خالد لتحقيق الانتصار التاريخي للجسد على العقل.

2.2 البناء العام للرواية:

يطرح الناقد في دراسته لرواية " ثورة بورا" إشكالات منهجية في غاية التعقيد متصلة أساسا بطبيعة الأحداث والوقائع المتشابكة في النص التي تتداخل فيها الخطابات السياسية والاجتماعية والثقافية. يستحيل على الباحث تناولها بالتحليل دفعة واحدة لأن هذا الإجراء سيفضي حتما إلى بعض المطبات الخطرة التي تضلل القارئ وتقوده إلى إصدار بعض الأحكام القيمية التي لا علاقة لها بالأجواء الدلالية للنص[1].

[1]- نصر الدين بن سعيد، رواية ثورة بورا في أشرعة، عمان، 5 أبريل 2015، ص20.

وقد استبعد الناقد هذه الطريقة في تعامله مع النصوص، لأنه يميل في أثناء الممارسة النقدية إلى عزل هذه الخطابات داخل النص بعضها عن بعض ودراسة كل خطاب على حدة. وهذا العزل ما هو إلا إجراء منهجي عملي، سيقود الباحث في نهاية الأمر إلى توحيد هذه الخطابات والإمساك بالخيط القائد الجامع الذي يضفي على النص هذه المتعة، وهذه المتابعة المشوقة للأحداث والوقائع المروية.

وبتدقيق الناقد في البناء العام للرواية وجد أنه يستمد وجوده إجمالا من منظور شخصيتين محوريتين سالم وخالد. الأولى مسخّرة لنقل الوقائع والتحولات السياسية الخارجية التي يعيشها المجتمع المصري وثورة الربيع العربي في تونس وليبيا وسورية. و يعتبرها الباحث شخصية فاعلة أيضا في الثورة الجسدية من خلال العلاقة التي أقامها مع حنان وانتهت بهما إلى التمرد على العقل. أما الثانية، الممثلة في خالد باعتباره شخصية محورية، فإنها مسخّرة لقيادة ثورة جسدية يتكفل الراوي بسرد مغامراتها مع لوسي وينقل ثورتها التي تنشب في الداخل وتواترتها النفسية المضطربة بين الثابت والمتحول. إن الراوي – يضيف الناقد– الذي لا يعلن عن هويته في هذه الرواية يؤدي دور المنسق، وهو أول هيئة سردية يدركها القارئ في بداية الرواية.

ويعد الراوي هنا المشرف العام على الشؤون السردية من بداية النص إلى نهايته، ويرافق كل شخوص الرواية تارة بمنح الكلمة لهذا وطورا آخر يسحبها منه، وبين الحين والآخر يجمد الأحداث ليُنْطِقَ المكان بما يخلعه عليه من أوصاف تهيّئ القارئ لاستقبال الحدث أو تخفف عنه بعض الشيء من حدّته.

ويحدد الناقد بناء التواصل السردي على هذه الأطراف الثلاثة: الراوي والشخصيتين المحوريتين خالد وسالم، وهذا سيتطلب من الباحث أثناء تحليله لهذه الرواية مراقبة جميع

تحركاتهم، وضبط طريقة انتقال الكلمة من هذا إلى ذاك، كما تحديد كل مشهد سردي في علاقته بالمشاهد السردية الأخرى، وكل تيمة بالتيمات التي تدور في فلكها وكل صورة بالمسارات الصورية التي تنضوي تحتها. بهذه الطريقة يكون الباحث قد أحكم السيطرة على النص وأمسك بزمام الآليات والمستويات التي ستمكنه من تطويق مكامن دلالات الرواية وتجليتها.

1.2.2 بداية الرواية ونهايتها وتحولاتها السردية العامة:

يعود الناقد في هذا السياق إلى بداية رواية " ثورة بورا" بوصول خالد وسالم إلى القاهرة قادمين من مسقط في جو سياسي مشحون. لينتقل إلى نهاية هذه الرواية بالتحاق لوسي بخالد وسالم وهما على وشك مغادرة مطار القاهرة في أجواء حزينة. وبين البداية والنهاية، سيرصد الباحث التحولات الكبرى لهذه الرواية آخذا في الحسبان المضامين التي تتحرك على إثرها، موليا، في كل هذا، أهمية للخطاب السياسي الذي يتصدر الرواية ويغذيها ويعد المحرك الأساسي للمشاهد السردية المتنوعة بدءا من الحوافز النفسية التي حركت خالد وسالم للقيام برحلة إلى القاهرة للوقوف على الثورة المصرية وتداعيتها، وانتهاء بالثورة الجسدية التي غيرت نظرة خالد وسالم إلى الأشياء، فكل هذه المسائل ضرورية لكل تحليل يتوخى الدقة في الوصف العلمي.

2.2.2 التحري المعرفي:

يركز الناقد على الرهان المعرفي الذي يحرك خالد وسالم في هذه الرحلة الاستكشافية للدخول في وصلة بمجموعة من المعارف التي تشكل موضوعا يستثمر فيه السياسي والاجتماعي والثقافي. ويظهر الشوق إلى المعرفة والرغبة في اكتسابها معطى ثابتا في النص، وهذه المعرفة – حسب الباحث– لا تتعلق بامتلاك المعرفة السياسية فحسب، بل إنها

تجري في اتجاهات تتحدد وجهتها بطبيعة المعارف التي يعد امتلاكها شرطا ضروريا للتحري عن المعرفة السياسية التي تبدو أساسية بامتياز في هذه الرواية.

وينظم الباحث مفردات التواتر الدلالي في هذه الرواية بحسب السياقات التي وردت فيها إلى ثلاثة حقول موزعة تبعا للثنائية الزمنية حاضر / ماضي، ثقافي/ سياسي:

الحقل الأول:

قيّد الباحث في هذا الحقل المفردات الدالة على التأمل والفضول المتنامي للمعرفة واكتشاف الفضاء (أزقة القاهرة الشعبية، المقاهي الشعبية، الفندق) واحتوائه باستنطاقه من خلال ملاحظة الممارسات الاجتماعية الدالة للوافدين إليه. وما دام موضوع المعرفة – يردف الباحث– هو البغية التي يستهدفها الخطاب في هذه الرواية، فسؤال خالد أو فضوله هو بمثابة الإقرار الضمني أو المقنعة بجهله ومنه تنطلق عملية التحري، ويأتي الجواب مجسدا في المعرفة المكتسبة باعتبارها نتيجة للتحري.

الحقل الثاني:

يحدد الباحث في هذا الحقل مجموعة من المفردات (الشغف، الرغبة، تجدد في الرغبة، اكتشاف، حب الاستكشاف، الشوق، الاستفسار) التي تبرز، تعلق خالد بكل ما هو مكتوب عن حضارة الفراعنة (الأهرامات) الموغلة في القدم، وبعض الأماكن (قلعة محمد علي، الأزهر) الحديثة العهد نسبيا بوصفها أيقونات ثقافية، وإذا كان المعنى يأتي من الحواس، فإن إدراك الأبعاد الدلالية لهذه الآثار يتسرب عبر الحاستين البصرية والسمعية.

الحقل الثالث:

يقف الباحث في هذا الحقل على قوة الرغبة في المعرفة والتي زادت من حدّتها بفعل أنسنتها. فإن الرغبة تتحول إلى عامل مجسد تدركه الأبصار وضاغط على فاعل لا خيار أمامه سوى

الانصياع لها وتحقيق الرؤية أو هذه الوصلة البصرية بميدان التحرير بوصفه " شاهد إثبات على الثورة"، ثم الرغبة في الوقوف على التغيير الأساسي في الأوضاع السياسية وحقيقة الثورة وتقويمها، والراوي الذي يشارك خالد في رغبته في التغيير يضع كشرط أولي المزيد من القراءات لإشباع رغبته في المعرفة أولا والإحاطة المعرفية بنتائج التغيير ثانيا، والنظر في تداعياتها وانعكاساتها في أثناء تلقيها ثالثا.

3.2.2 التجليات الدلالية لقصة الثورة في مصر:

ينوه الناقد في هذا السياق إلى الصعوبة التي تعترض الباحث وهذا ليس فقط لتداخل أحداث الرواية وأزمنتها وتشابكها بل لدخول بعض أجزائها في البعض الآخر بحيث يستحيل في هذه الحالة إحكام الإحاطة بالنسيج الحكائي العام لوقائع الرواية والإمساك بالخيط السردي القائد والوفي للتسلسل الزمني للأحداث.

ومن الواضح أن السبيل الوحيد للباحث للخروج من هذه المعضلة ذات الطابع المنهجي هو إعادة ترتيب الأحداث في بعدها الكرونولوجي سواء تعلق الأمر بقصة الثورة في مصر أو قصة الثورة الجسدية التي قادها خالد مع لوسي وهي قصص يختلط فيها الواقعي والخيالي. على هذا الأساس ميّز رشيد بن مالك بين قصة الثورة الواقعية بوصفها كونا دلاليا، والقصة الخيالية باعتبارها أحداثا تختلقها وتقوم بها مجموعة من الشخوص.

من منطلقات هذه التحديدات المنهجية، سيسعى الناقد إلى دراسة الأبعاد الدلالية لقصة الثورة في مصر من منظورين أساسين. يتصل المنظور الأول بالقصة في بعدها الدياكروني الذي ينهض على التسلسل الزمني للأحداث، ويرتبط المنظور الثاني بقراءة القصة من خلال المنطق المعكوس.

ويتعلق الأمر، في هذا السياق، بالانطلاق من الوضع النهائي والمضي بخيط القصة من افتراض إلى افتراض حتى النقطة التي تفتتح بها الرواية. وفق هذه المقاربة فقط يبرز

التنظيم المنطقي المضمر في الحكاية[1]. والنقطة الأخيرة التي يعتبرها الباحث في غاية الأهمية كونها مقترنة بالهيئات السردية التي تؤدي دور الوسيط بين القارئ وشخوص الرواية من خلال ما تشاهده وترويه.

وبفضل هذه الهيئات السردية التي تكتسي أهمية بالغة، يعيش القارئ وقائع الرواية من منظوراتها ويدرك الفروق الجوهرية بين هذه الشخوص سواء من حيث طبيعة الأفعال التي تؤديها أو الصفات التي تقترن بها.

وفق هذا التصور العام، سيواصل الناقد تحليل هذه الرواية بوضع التجليات الدلالية لقصة ثورة أو ثورة ميدان التحرير تحت مجهره النقدي. وسيقتصر الباحث في هذا المبحث على ما جاء من أحداث سياسية في النص ولا يتجاوزها إلى ما هو خارج عن نطاقها إلا في حالات نادرة جدا. فما يهمه بالدرجة الأولى هو الإصغاء إلى نبضات النص ومحاولة تطويق دلالاته الجزئية والعامة.

تبدأ رواية " ثورة بورا" باغتيال خالد محمد سعيد واحتجاجات المتظاهرين، وتنتهي بإسقاط نظام محمد حسني مبارك وتنظيم انتخابات رئاسية. ويعد الباحث خالد محمد سعيد شخصية مرجعية بامتياز تحيل على معنى ممتلئ وثابت يرتهن في وجوده إلى النظام الثقافي في مصر، وترتبط قراءته بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة، وتشتغل هذه الشخصية أساسا بصفتها إرساء مرجعيا، وهي ضمانة لما يسميه بارث " الأثر الواقعي"[2].

أشار الباحث في هذا السياق إلى أن النص يسكت عن بعض الحقائق ولو أنه لمح إليها من طرف خفي، وفي جميع الحالات، فإنه بهذه الطريقة يترك فراغات لابد أن يسدها القارئ للوقوف على جميع التفاصيل للنص التي تكون لها من دون أدنى شك تداعيات على الدورة الدلالية العامة للنص. ولتوسيع تحليله يلجأ الباحث إلى أحداث جزئية تاريخية خارجة

---

[1] - Joseph Courtés, Analyse sémiotique du discours , de l'énoncé à l'énonciation, Hachette ,Paris, 1991, p.86.
[2] - Roland Barthes, L'Effet de réel, Communications no11 , 1986, pp.84-89.

عن النص وربطها بالسياق العام للنص، ويعتبر خروجه من النص خروجا اضطراريا هدفه تسليط إضاءات على بعض المفردات التي جاءت مكثفة دلاليا في النص ولا سبيل إلى فهمها إلا بالارتكاز على المرجع التاريخي الذي منحت منه، فالخروج من النص نعتبره بهذا المعنى ولوجا فيه ولكنه ولوج يؤطر دلاليا السياق النصي.

ينتقل الناقد إلى نقل التحويلات التي مست الخطاب السياسي على المستوى السردي، فموضوع القيمة الأساسي هو مجموعة من القيم التي تشكل الهاجس المركزي لشباب الثورة الذي حركه الفقر والتعذيب والظلم والتعسف في استغلال النفوذ للمطالبة بحقوقه الطبيعية في الحياة. وتشكل هذه القيم المرسل الحقيقي الذي هيج الشباب للقيام بالثورة. وما كان للفاعل الجماعي المنفذ أن ينجح في مسعاه لولا وقوف مجموعة من المساعدين إلى جانبه يمكن أن نختصرهم في القنوات الفضائية، والرأي العام الوطني والدولي، والمتعاطفين مع الثورة الذين نزلوا إلى ميدان التحرير للانخراط في مشروع التغيير. وفي الجهة المقابلة نلقى المعارضين للتغيير وهو على التوالي الرموز السياسية للنظام، البلطجية والجهاز الأمني والعسكري الذين يحاولون بكل ما أتوا من قوة معارضة مسعاهم. يوضح الباحث هذه العناصر إجمالا أثناء تحليله، دون أن يدخل في التفاصيل النظرية وذلك تجنبا لإغراق النص بالمصطلحات وتفاديا لتجاهل تلقي القارئ، بشكل صريح أو عرضي.

4.2.2 من الثورة السياسية إلى الثورة الجسدية:

يعود الباحث في هذا السياق إلى طرح إشكالية في غاية الأهمية. هل يدرس القصة بحسب ظهور الشخصيات ممثلين في ذلك للمسار الزمني المتقطع، أم أننا نعيد بناءها بناء يخضع للتسلسل الزمني للأحداث؟ وتفاديا للمطبات الممكنة، يرتكز الباحث على المنطق المعكوس الذي يعينه على بناء المضامين من آخر نقطة تنتهي بها الرواية إلى أول مشهد سردي تتفتح به القصة. ويشكل هذا الاقتراب المنهجي السبيل الوحيد للإمساك بالقصة في تسلسلها الزمني وفي منطقها المعكوس.

***-خالد في رحلة البحث عن معنى الثورة:**

ينصّب الباحث خالد فاعلا منفذا يتحرى عن موضوع يحمل قيما دلالية أخرى للثورة، إنه في رحلة بحث عن المعنى، لكنه معنى ليس كباقي المعاني المقترنة بثورة انحرفت عن مسارها. ومن الواضح أن هذه الرحلة التي تتسم بطابعها المعرفي ستقوده إلى بناء مفهومه للثورة والأدوات التي ستسخر للقيام بها. وفي رحلته هذه أدرك أن شبكات التواصل الاجتماعي كانت أداء للتغيير أيضا ليس فقط في تحريك الحدث السياسي بل في تغيير المجتمع.

يشهد القارئ في هذه اللحظة السردية – حسب الباحث- تحولا عميقا، وتغييرا في الوضعية الاستراتيجية الجديدة لخالد الذي يدرك أن شبكة التواصل الاجتماعي مسخرة للتغيير ولتمرد النفس على التقاليد التي تعبّر عن علاقة الإكراه التي تربط المجتمع بماضيه وتحيل على كون من الدلالات الجماعية ترد فيه التجارب اليومية باستمرار إلى نظام قار سابق في الوجود على الأفراد والمجتمع نفسه، ويفرض على الجميع الامتثال لشفرته الدلالية التي تنتقل من جيل إلى جيل آخر.

ويواصل الباحث الغوص في الرهان الذي يرفعه خالد في مشروع التغيير الجواني، و الذي بدأت تظهر تباشيره باستقلال الجسد عن الروح استقلالا يعمل على تحييد المعوقات التي تقف وجها لوجه أمام التعبير عن نزواته وانفعالاته الطبيعية، حيث يشهد القارئ تحولا عميقا إزاء هذا المشهد السردي الذي يعمل على تكريس الجسد فاعلا ديناميا يحقق ما يرغبه هو لا ما يرغبه الرقيب، وتعزيز مكانته بالدخول في وصلة بالمتغيرات والانفصال النهائي عن سلطان العقل الذي يعد السبيل الوحيد للتغيير.

لهذه الاعتبارات، يمر خالد – حسب الناقد- بمرحلة عصيبة في مشروع التغيير، فهو يمارس قراءته على جبهات عديدة ومدعو لتسليط الأضواء على انعكاسات الثورة والتحري

عن الحلول لكل حالة على حدة والمخارج لجميع احتمالات حدوثها. فالمسألة إذن في غاية التعقيد تستدعي تركيزا كبيرا يستند أساسا إلى المعرفة ليس فقط بوصفها عنصرا من العناصر الأساسية للكفاءة التي تعد معبرا طبيعيا لتحقيق الإنجازات المصممة، بل باعتبارها مقدرة على توقع وبرمجة العمليات الضرورية لإنجاز مشروع ما.

3-قراءة في رواية " دروب العتمة" سلطان بن حميد البادي

1.3مدخل منهجي لدراسة عنوان الرواية:

أما الرواية الثانية، التي تناولها الباحث بالتحليل، فإن عنوانها " دروب العتمة"، والذي يثير لدى الناقد منذ القراءة الأولى إشكالا، ويفجر سؤالا جوهريا: هل يمكن أن تكون للعتمة دروب وهل يمكن أن نفهم ونبصر هذه الدروب في غياب النور؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، يحاول الباحث ضبط المقاربة المنهجية لدراسته للعنوان من خلال الوقوف على آليات بنائه من داخل النص، وهذا لأن العنوان لا يوضع في صدر الرواية مجانا، والإمساك بمعناه مترتب على تتبعه واقتفاء أثره في جميع الأسيقة التي يزرع فيها. وفي هذه الحالة فالباحث مضطر إلى التعامل مع المتن الذي يقتطعه من الرواية ويحدد في الوقت ذاته المرتكزات المنهجية التي تمكنه من تغطية المساحات السردية التي تحرك العنوان داخلها. ومن هنا تأتي طرافة الرواية – حسب الباحث- والتي يولد عنوانها وينشأ في رحم البرامج السردية ويتشكل ويأخذ صورته النهائية عبر المكون الخطابي وتحديدا المسارات الصورية المختلفة التي تخضع للتماسك الدلالي والتلوينات الإيحائية والتي يستحيل فصلها بأية حال من الأحوال عن التموجات السردية لمختلف البرامج التي تنخرط فيها الشخصيات.

يحمل هذا الأمر دلالة منهجية في غاية الأهمية، وهي أن خصوصية نص " دروب العتمة" تقيد الباحث بتقطيع الرواية تبعا للمحطات الأساسية التي ظهر فيها العنوان ، وهو ما يقوم

به رشيد بن مالك بإدراج هذه المحطات ضمن البرامج السردية الأساسية التي تنضوي تحتها مختلف الشخصيات داخل النص السردي.

2.3دراسة تحليلية لعنوان الرواية:

يبدأ الباحث دراسته للعنوان بالإشارة إلى القيمة الدلالية الأساسية لعنوان الرواية " دروب العتمة"، فبمجرد إدراك هذه القيمة يكون القارئ مهيئا وحذرا أمام هذا العالم المجهول الذي يبني أمامه رويدا رويدا وهو يتابع باهتمام كبير دروب العتمة.

لينتقل الباحث إلى الحديث عن كثرة السياقات التي وردت فيها الدروب (أكثر من ثلاثين سياق من بداية الرواية إلى نهايتها)، ما أثار في الباحث الدهشة ودفعه إلى ضبط السياقات الجزئية التي ورد فيها العنوان وربطها بالسياقات السردية العامة والنظر في تجلياتها الدلالية.

وحاول الباحث في هذا السياق الوقوف عند نسبة كبيرة من التمظهرات الدلالية للعنوان الفرعي الدروب في علاقته بالعتمة وبعض المفردات الأخرى التي كان لها عميق الأثر في تلوينه بهذه القيمة الدلالية أو تلك. وتجدر الإشارة هنا إلا أنه لا يمكن ضبط هذه التلوينات الدلالية إلا بعد إقامة حدود واضحة بين استعمالات الدرب من خلال سرد الراوي وقائع الآخرين، ورواياته للأحداث التي كانت تقع له مع شخصيات القصة أو استحضارها عبر الذاكرة.

وقد عرج الباحث في تحليله للعنوان على أهم الإيحاءات الدلالية ل"دروب العتمة"، الذي لم يوضع عنوانا للرواية مجانا، بل كان وظيفيا لا يمكن الإحاطة بمختلف معانيه إلا بالرجوع إلى النص ومنعرجاته ومختلف شخوصه من بدايته إلى نهايته. وقد سمحت هذه الوقفة بأخذ فكرة واضحة عن اللحظات الحاسمة في الرواية، من خلال التدقيق في البرامج السردية الأساسية التي لم تأت دفعة واحدة بل جاءت متداخلة حرص فيها الراوي كل الحرص على تثبيت عنصر التشويق لدى القارئ من خلال التوقف عند اللحظات الحاسمة في كل قصة.

فكلما توقف في السرد عند موقف مأزوم، فإنه ينتقل مباشرة إلى قصة أخرى فيروي وقائعها ثم يتوقف ليعود بالقارئ إلى أحداث سابقة فيتجدد سردها حتى نهاية الرواية.

3.3 بداية الرواية ونهايتها ومشروع كتابة " دروب العتمة"

أشار الباحث إلى أن رواية " دروب العتمة" بدأت باتخاذ قرار الراوي العودة إلى القرية لقضاء عطلة الصيف. وقد أفرز هذا القرار وضعا مضطربا ظهرت انعكاساته الفيزيولوجية بشكل واضح منذ البداية على مساحة وجه متلقي القرار، أما الحجة التي يقدمها الراوي للأنثى غلقت جميع المنافذ التي يمكن أن تبعث أمل بقائه في المدينة. فاختار الراوي أن تكون حاجة أمه إليه الحجة لإفحام الأنثى وحملها على الاعتراف بصدقه وضرورة تنقله إلى القرية. ثم إقراره بكذبه في هذه الحجة ينسف الوضعية السابقة، ويولد وضعية جديدة على الأقل بالنسبة للقارئ الذي يحاول أن يبحث عن مسوغات تنقله إلى القرية. ومن المفارقات العجيبة في هذه الرواية – حسب ذات الباحث– هو أنه أثناء قيامه ببناء المعنى من داخل المعنى من داخل النص ينتظر من الراوي أن يمارس فعله الإقناعي على القارئ لحمله على الانخراط في مشروعه.

فالقارئ ليس متلقيا سلبيا للرسائل على نحو ما هو سائد في التقاليد النقدية، فهو يملك كفاءة تؤهله لبناء معاني ما يقرأ والنظر في المسوغات التي يسوقها الراوي وإدراك التموجات الدلالية للأقنعة ومراميها التي تحملها الشخوص والوقوف على المراوغات التي يحركها الراوي لإخفاء هذا العنصر النصي وإبراز الآخر، وبالتالي فإن القارئ ملزم بامتلاك هذه العدة السردية لإماطة اللثام عن كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين بناء المعنى من داخل النص. ولن يتأتى هذا إلا بالانتباه إلى كل التفاصيل النصية التي ترصد هذه الأكوان السردية والإمساك بمستوياتها والوقوف عند مختلف الأصوات التي تنطق من موقع انتمائها إليها.

4.3الأبعاد الدلالية لنظام الشخوص في "دروب العتمة":

يقف الباحث في هذا العنصر عند شخوص رواية " دروب العتمة" والعلاقة التي تجمع بينهم، كعلاقة طارق بليلى والتي تكتسي – حسب الباحث- أهمية بالغة، ولا يمكن الإمساك بتجلياتها الدلالية إلا بشرحها من خلال علاقات أخرى، فالراوي ينذر القارئ منذ بداية القصة بأمور وإن كانت لا تبعث على الارتياح في جميع الحالات، فإنها تحمل في طياتها شيئا قريبا من المأساة ينبئ به فصل ربيعي موسوم بالشؤم: في ذلك الصيف المشؤوم تم العرس[1].

وهنا يتساءل الباحث حول مقابلة تجمع بين ضدين: من جهة الصيف المشؤوم المتضمن وحدات مضمونية تحيل على الحزن والانقباض، ومن جهة ثانية العرس باعتباره حفلا يبعث على الفرح والانشراح. وللإجابة عن هذا التساؤل يضع الباحث هذه المقابلة الضدية في صلب رهانات حفل زفاف طارق بليلى الذي يأتي نتيجة لمبادرة من أم طارق.

فالزواج الذي هو اقتران رجل بامرأة بمراسيم شرعية تتم عن أساس قبول الطرفين، فإن طارق وليلى مغيبين تماما في مشروع قران يهمهما بالدرجة الأولى. فالأم هي التي تختار شريك ابنها وهو اختيار مبني على علاقة قرابة، فالخالة هنا بحسب الباحث هي المحركة لعملية الزواج والعلاقة هنا هي علاقة إفعالية بامتياز. ليلى وطارق المجردان من فعل الاختيار لا يملكان الرغبة ولا القدرة ولا المعرفة في إبداء الرأي حول مشروع حياتي يعدان فيه الممثلين الحقيقيين.

---

[1]- سلطان بن حميد البادي، دروب العتمة، ص.09.

*-مشروع خاتمة:

إن الباحث أثناء تحليله للروايتين، وفق منظورات منهجية مقيدة فرضتها عليه طبيعة المتون التي وضعها قيد الدرس والتحليل. وعلى الرغم من أن هذه المتون لا يمكن أن تقوم مقام النص السردي إلا أن الباحث اجتهد في جعلها تتسم بهذا الطابع التمثيلي والشمولي الذي لا يشتغل على الإطلاق بقطع النظر عن الأدوات المنجية المسخرة لتحليل النص. وهذا يعني أن اختيار المتون مرتبط ارتباطا وثيقا بالاستراتيجيات العلمية المتبعة لقيادة التحليل والدفع به باتجاه الاستدلال العلمي الذي يتوخاه الباحث.

وعلى هذا الأساس، فلا غرابة في أن ينزع هذا التوجه المنهجي الطابع التمثيلي والشمولي للمتون وقيمتها كعينة، ولا غرابة أيضا في أن ينتهي الباحثون المتعاملون مع الظاهرة نفسها إلى نتائج قد تختلف اختلافا بينا من باحث إلى باحث آخر مع احتمال توافقها بنسبة ضئيلة جدا. ولتفادي هذه المطبات، حاول رشيد ين مالك اقتطاع المتن مع الأخذ في الحسبان السياق الخاص، المباشر الذي اقتطع منه، والإطار النصي العام الذي يتحرك داخله.

من منطلقات هذا التموضع النظري الذي تبناه الباحث، سعى إلى بناء المعنى من داخل هذه المتون معتمدا في ذلك على مواجهتها بحقيقة النص للتأكد من تفادي بعض الانزلاقات التي تؤثر سلبا في الوجهة الدلالية التي يأخذها هذا المتن أو ذاك. كما حرص – ذات الباحث- على أن يكون استدلاله منطقيا ومتماسكا دون مواجهة هذه المتون في أثناء التخريجات الدلالية التي انتهى إليها بحقيقة النسيج النصي والنصوص التي غدته.

وهذا يقودنا للقول إن المدونة النقدية ليست أداة بحثية على الإطلاق بل هي موضوع بحث يمنح علة وجوده من المفترضات النظرية والمنهجية. وينبغي الإشارة في هذا السياق إلى أن الباحث في تحليله للروايتين لم يرتكز على كل المدونة التي بناها انطلاقا من النصين وجاء في بعض الأحيان ناقصا لاعتبارات أساسية عديدة تقف على رأسها استحالة تغطية المدونة

دراسة وتحليلا في مثل هذه البحوث ولسد هذا النقص ولو بشكل جزئي حاول الباحث التقيد بالخيط القائد العام للنصين الذي يفرض على المحلل ألا يهمل المضامين الأساسية للنص السردي التي تعد عموما ضمانة للحفاظ علة سلامة التأويل والفرضيات التي أفضت إليه.

بقي أن نشير إلى أن الناقد قد أولى أهمية خاصة لصناعة خطاب نقدي تجاوز فيه بعض المعضلات التي كانت تعيق تواصل القارئ العربي لعل أهمها هذه المصطلحية المعقدة التي انتشرت بشكل لافت في النقود العربية وأثرت سلبا في تلقي المناهج الحداثية. ومن ضمن الحلول التي اهتدى إليها الباحث الاشتغال على المصطلح في النظرية السيميائية واستيعاب مفاهيمه ومنحدراته العلمية والنظر إليه على أنه وسيلة فقط مسخرة لفض الإشكالات التي يطرحها على الصعيدين النظري والتطبيقي.

وحتى لا يثقل البحث بهذه المصطلحية فضل الباحث النزوع إلى تبسيط الخطاب ليس على حساب الجوانب النظرية التي تظل الدعامة الأساسية التي تغذي الدرس التطبيقي، بل من خلال التعاطي مع المفاهيم المبسطة الكافية من جهة لتعويض نسبة غير قليلة من المصطلحات ومن جهة ثانية لتجاوز عقبات الاختلافات الكثيرة في ترجمة المصطلح السيميائي، وتداعياتها السلبية على صناعة خطاب علمي تتوحد فيه الترجمة المصطلحية، بالاشتغال على اللغة العربية وتطويعها وترويضها بطريقة تضمن التواصل مع القارئ العربي.

النموذج التطبيقي الثالث: عبد الملك مرتاض

تمهيد:

يعد الناقد الجزائري "عبد الملك مرتاض" من السباقين في قراءة النصوص الإبداعية العربية، التراثية منها والحداثية بمختلف المناهج الغربية وما تتضمنه من آليات وأدوات واقتراحات علمية في مقاربة النصوص بمختلف أجناسها، واستطاع أن "يتمثل هذه المناهج دون ان ينساق وراء منطلقاتها الفلسفية وخلفياتها الفكرية. ويحافظ في الوقت نفسه على أصالة النصوص العربية التراثية".[1]

1-<u>الإطار التأصيلي للعلامة عند مرتاض:</u>

نقب الناقد في المصادر والمراجع العربية عن الدلالة المعجمية لمصطلح " سمة" فوجدها لا تبرح إطار " السمة" أو "العلامة" ف: السمة Signe آتية من مادة (و س م)، والوسم هو إحداث تأثير أو علم: بكي، أو وشم، أو قطع...و" كل ما يجري من هذا التركيب يدل على إحداث عل امة تغتدي صفة بادية للعيان- عارضة أو دائمة- في صفحة سوائها"[2].

*-أما "العلامة" فهي مأخوذة من مادة (ع ل م)، وهي آتية من " العلامة والعلم، بمعنى الجبل، ومنه أخذوا الثوب لدى القصار حتى تتميز الأثواب بعضها عن بعض"[3]. وعلى الرغم من استخلاص أوجه الاختلاف من قبل " عبد الملك مرتاض" وإقراره بأن التركيبين (وسم- علم) متقاربان في الأصل العربي، وعبر المعاجم المؤسسة، فإن ترجمة المصطلح الأجنبي (Signe- Sing) إلى العرية تباينت بين النقاد والسيميائيين العرب واستعصى الأمر عليهم " فإذا منهم من يصطنع " السمة" وهم قليل، وإذا منهم من يصطنع " العلامة"، وهم خلق كثير،

---

[1]- شارف فضيل، مستويات الخطاب النقدي عند "عبد الملك مرتاض"، قراءة في المنهج، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، السنة الجامعية:2014/2013، المقدمة.

[2]- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط2، 2010، ص.147.

[3]- المرجع نفسه، ص.147.

بل ألفينا منهم من يستعمل " الدليل" مقابلا للمصطلح الأجنبي، والاستعمال الأخير مزعج إلى حد الإيذاء، ومحير إلى درجة السمود"[1].

ويختار لنفسه مكانا بين هؤلاء مصطنعا مصطلح " السمة" تحت جملة من المبررات وهي[2]:

*- أن " العلامة" استعملت في الفكر النحوي العربي بمعنى لاحقة تلحق فعلا من الأفعال، أو اسما من الأسماء – دون الحروف- فيستحيل من حال إلى حال أخرى للنهوض بوظيفة دلالية يقتضيها المقام، ولعل اصطناع ذلك المصطلح النحوي في أصله في المفاهيم السيميائية، على عهدنا هذا مما يزيد في الأمر اضطرابا والتباسا.

*- إن إطلاق " السمة" على مفهوم " Signe"، عوضا عن " العلامة" سيحل لنا مشكلة أخرى من مشكلات المصطلح- وهي أننا، حينئذ، نمحض مصطلح " العلامة" لمفهوم آخر قريب منه وهو ما يطلق عليه في الفرنسية" La marque"[3].

إن محاولة " مرتاض" تحديد طبيعة المصطلح عبر محور الحداثة، أي تحديدها من منظور "بيرس" الفلسفي، ومن منظور " سوسير" اللغوي جعلته يتوصل إلى أن اللغة ما هي إلا نظام من السمات.

2-المنحى التراثي:

لم يتعامل الدارسون العرب مع السيميائة كنظرية عرفتها الدراسات الغربية المعاصرة، لكن لامسوها في كتاباتهم المبثوثة هنا وهناك في ثنايا كتبهم، كما مارسوها عمليا في حياتهم الاجتماعية كوسم الإبل مثلا، والناقد بهذا الصنيع يحاول أن" يكسب الشرعية لبحثه، فتناول ماهية" السمة"، ودلالتها من منطلق رؤية " الجاحظ"، " عبد القاهر الجرجاني". فقد لاحظ "مرتاض" أن " الجاحظ" حينما حصر أضرب الدلالة السيميائية في كتابه " البيان والتبيين"

1- المرجع نفسه، ص.148.

2- ينظر: شارف فضيل، مستويات الخطاب النقدي عند "عبد الملك مرتاض"،ص:122.

3- المرجع نفسه، ص.148-149.

فقد ربط الدلالة باللغة السيميائية، كما ربط السمة باللغة على نحو ما، في أثناء حديثه عن نظرية " البيان" ونظرية " الإرسال" "[1]، وقد استدّل الناقد بشرح "الجاحظ" لنظرية الإرسال والاستقبال معا بقوله:" فيرى أن الله جعل اللفظ للسامع، وجعل الإشارة للناظر، وأشرك الناظر واللامس في معرفة العقد، إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على قدر اللمس. وجعل الخط دليلا على ما غاب من حوائجه عنه، وسببا موصولا بينه وبين أعوانه(...)، ولم يجعل للشام والذائق نصيبا".

يرى الناقد في حديث " الجاحظ" التفاتة حداثية، لأنه يتحدث بوعي معرفي بخصوص أنواع التبليغ السيميائي، حيث أنه جعل السمة اللفظية- المنطوقة- أداة للاتصال بالسامع (المتلقي أو المستقبل)، فهي سمة مرقونة، والخطّ (الكتابة) سّمة حاضرة دّالة على سمة غائبة وهي المعنى، في حين جعل سمة الإشارة للناظر والمعروفة عند الناقد بالسمة البصرية [2]، ومن هنا يعدّ الإشارة واللفظ متكاملي الدلالة لأنهما " شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط"[3].

وعلى نفس المنوال "يواصل البحث في دراسات (الجرجاني) عن ما يشير فيه إلى السيميائية، وأيا كان مفهوم العلامة، أو السمة، أو الدليل أو الأمارة أو الإشارة، فإننا نجد حقل البحث قد توسع في ضوء هذه الآراء النقدية المتصلة بإشكالية مفهوم العلامة ودلالتها ويعد "مرتاض" واحدا من النقاد الذي تبنى منهجا شموليا في تعامله مع "السمة"، يجمع فيه بين التراث وايجابيات الحداثة، ساعيا في الإفادة من القطبين للحديث عن سيميائية العلامة وتصنيفاتها المختلفة"[4]. فكيف تناول هذا المنهج في مقارباته الشعرية والسردية؟

---

[1]- شارف فضيل، مستويات الخطاب النقدي عند "عبد الملك مرتاض"،ص:123.
[2]- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص.167.
[3]- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج1، ص.55.
[4]- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق، ص:124.

3- ملامح المنهج السيميائي عند مرتاض في مقاربته النصوص الشعرية

*- بنية الخطاب الشعري

أثار صدور كتابه :" بنية الخطاب الشعري (دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية)" نقاشا واسعا في الأوساط النقدية، وتعرض فيه إلى ما تعرض من قدح ومدح ، واستهجان واستحسان، ولعلّ أشدها تجريحا تلك المقالة التي نشرت في مجلة فصول للباحث (عبد الحكيم راضي) حيث جاء فيه:" أن كتاب مرتاض، أقرب إلى مجال الدعاية لنفسه وللمقال...منه إلى العمل النقدي الموضوعي". فرّد الناقد بكتاب آخر عالج نفس القصيدة بقراءة مركبة أخرى تعجيزا ودحضا لافتراءات "راضي" بل إلى أبعد من ذلك ذهب حين رأى أن لا مانع في إعادة قراءتها قراءة ثالثة. واعتبر وغليسي صنيع بهاتين القراءتين المختلفتين " حدثا نقديا متفردا في العالم بأسره"[1].

أما عن منهجه في الدراسة فإن الناقد استهله بمقدمة كما في كتبه تنظيرا لبعض المسائل النقدية، حيث عالج خلالها مفهوم الكتابة التحليلية ساعيا لمنهجتها، فيصطنع مصطلح " منهجية" وهو " محاولة منح مفهوم " الكتابة التحليلية" إطارا جديدا تتبرؤه وتتبنّك فيه"[2] معالجا قضايا " الإبداع والابتداع، الواحد المتعدد، وقراءة القراءة".

أما دراسة القصيدة فقد تمّت في خمسة مستويات، كان للمنهج السيميائي أربعة منها." فأفرد المستوى الأول للتشاكل: حيث كان قراءة تشاكلية انتقائية لنص أشجان يمانية ويستهلّ في مطلعه مخلصا لمنهجه وللدراسات العربية التراثية العربية"[3]، مبرزا وجوده واستعماله عند العرب القدماء من أمثال "الجاحظ" استعمالا راقيا يلامس فيها أحدث استعمالاته عند المنظرين الغرب:" والذي يؤوب إلى كتب البلاغة العربية ويتأمل الأمثلة النصية التي جيء بها تطبيقا هذه المفاهيم المجسّدة في المصطلحات التي ذكرنا، ثم إن الذي يتأمل، أثناء ذلك،

1- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض،ص.75.

2- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994،ط1، ص.5.

3- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق،ص:125.

التعريفات النظرية التي عرفت به تلك المصطلحات البلاغية لا ريب إذا ألّم بالنظريات القريماسية حول التشاكل بالذات فإنه سيقتنع بأن هؤلاء البلاغيين مسوا فعلا، من قريب، هذا المفهوم لكن أدواتهم...لم تمكنهم من تأسيس النظرية"[1] .

لا ريب أن كل دراساته السيميائية تتخذ من التشاكل مستوى لغاية محددة:" والمشاكلة أو التشاكل، فرع من فروع السيميائية وغايتها تتمخضّ لخدمة الدلالة عبر الجملة، وبالتالي عبر النص، وبالتالي عبر الخطاب الأدبي"[2] فالغاية إذن من التشاكل هو الكشف عن الدلالة.

أما المستوى الثاني فخصّصه لدراسة القصيدة قراءة تشاكلية تحت زاوية الاحتياز، ويثير لنا قضية منهجية بالغة الأهمية مضمونها أنه:" من السذاجة الساذجة أن نعتقد بأنّا قادرون على تأسيس منهج ما، ثم نحمله إلى نص أدبي لنحللّه بمقتضى إجراءاته بكفاءة ونجاح"[3] .

ولعلّ هذه القناعة جعلته في كل مرة" يغيّر في أدواته الإجرائية، فكل قراءة تختلف عن أخرى حتى اعتقدنا أن هناك خللا منهجيا يعاني منه، فتقسيماته للتشاكل والحيز والزمن...ليست موضة نقدية كما زعم البعض في خطابه النقدي، وإنما مرّده إلى النص. فالنص هو الذي يحدّد منهجه، فإذا انطوت كل النصوص تحت نص واحد، جاز تناولها بمنهج واحد وبأدوات واحدة. وهذه الدعوة التي يقيمها الناقد هي جوهر النظريات المعاصرة التي خلصت في نهاية المطاف أنه من الخطأ الشنيع أن يقبل الناقد على النص محمّلا مسبقا بمنهج معين وأدوات معينة، ويطبقها على النص. بل عليه أن يقبل أولا على النص ويتركه هو من يختار ويحدد له المنهج الذي يفجر كوامنه"[4]، وهو ما يفسر قراءته المتعددة التي تقوم كلها:" انطلاقا من الخصائص اللسانياتية والبنيوية والسيميائية التي تتضافر مجتمعة على تشكيلة، لا من قواعد منهجية جاهزة، فجة، نهجم بها عليه ونحشره في غياباتها حشرا أعمى"[5].

---

[1]- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص.33.
[2]- المرجع نفسه،ص.42.
[3]- المرجع نفسه،ص.85.
[4]- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق،ص:125.
[5]- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة ، ص.86.

أما المستوى الرابع فكان قراءة تحت زاوية الحيز، والمستوى الخامس فقراءة سيميائية مركبة وهي التي سنحاول الوقوف عندها.

أما ما كان ينشده من هذه الدراسة فهو ترسيم قواعد تنهض بها القراءة السيميائية وهو ما يوضحه بقوله:" إن مسعانا هذا، يندرج كما سنرى ضمن هذا المفهوم الجديد نفسه للتعامل مع الإبداع أي لن يكون مسعانا في هذا الكتاب، إلا من أجل ترسيخ مفهوم القراءة بالمفهوم السيميائي لهذه القراءة التي أثرناها أن تمتد على خمسة مستويات"[1].

تناول الناقد في المستوى الخامس قصيدة " أشجان يمانية" وفق أربعة فرعيات سيميائية متلازمة ومتداخلة ومتقاربة، أسهب في مطلعه منظرا لها فرعية، ثم أردفه بممارسة تطبيقية. وهذه الفرعيات هي:

***<u>الأيقونة</u>:** حافظ على التسمية الغربية، وتصنف هذه السمة في دائرة السمات غير اللغوية، وتتجسد في العلاقة بين الأثر وفاعله. بعد ذلك يعرّب المصطلح بقوله:" إننا بصدد التفكير في مصطلح لائق، وليكن على سبيل الاقتراح "المماثل"[2] والتي تغتذي بعد مراس مستوى من مستويات القراءة. وهو ما يصطلح عليه (المماثلة) في تحليله لقصيدة "شناشيل ابنة الحلبي".

***<u>القرينة</u>:** وهي علاقة علّية توضع بين حدث لسانياتي والشيء المدلول عليه:" رفع صوت ما بصورة غير مألوفة قرينة للوقوع تحت وطأة عدوان"[3].

***<u>الرمز</u>:** ينزعج الناقد من كبار اللسانيين من شاكلة بيرس وسوسير ويامسليف الذين لم يستطيعوا إقناعنا بهذا المعطى السيميائي، حتى طلب من (قريماس) تجنّبه مؤقتا. ومن ثمّ فإن الناقد يتوسع في مفهومه ويجعل منه:" يتخذ له أثوابا شتى ويتشكّل في أشكال مختلفة:

---

[1]- عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص.18.
[2]- عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، ص.234.
[3]- المرجع نفسه، ص.237.

مجسدة حية أو ناطقة مسموعة، أو خرساء منظورة، كالنار العربية والكتابات الاشهارية، والكتابات الشعارية"[1].

*__الإشارة__: لغة طبيعية من غير خطاب.

من التعريفات السالفة الذكر فإن مرتاض يضيف في هذه المفاهيم: قدرة كل فرعية من الفرعيات الأربع أن تقبل قراءتين سيميائيتين أو أكثر في وقت واحد:" فإن واحدة منهن يمكن أن تكون قابلة لقراءتين سيميائيتين أو ثلاث بحيث تؤول على سبيل المماثل، أو القرينة أو الرمز وربما الإشارة أيضا في بعض الأطوار، في نفي وقت واحد. وليس على اللغة بمستنكر أن تجمع العوالم في واحد"[2].

وعلى المستوى التطبيقي انتقينا وحدة "يتسوّل في الطرقات الصّدى" لتحديد كيفية تعامل النّاقد مع مصطلح "السمة" من مبدأ الفرعيات الأربعة، يرى الناقد أن العلاقة السيميائية الجاثمة في معنى "الصدى"، وهو معنى غني بالدلالات السيميائية، حيث صرفه إلى عدة أوجه[3]:

*المماثلة (الأيقونة): يعدّ مجرد صوت حاضر لصوت غائب و" أن هناك عالما غائبا هو نداء اليمانيين وأصواتهم المرتفعة بصرف النظر عن طبيعة هذا النّداء، ومعناه كما أن هناك سمة صوتية حاضرة وهي "الصدى"[4] .

*القرينة: الصدى ما هو إلا صوت صدر نتيجة لحدوث صوت آخر هو العلة في وجوده، فالصدى من هذه الزاوية ما هو:" إلا الصوت الآخر الذي هو أصلا معلول لعلة الصوت الأول الأصلي، فلولا الأول لما كان هذا الآخر، فعلاقة العلية فيه لا تدفع"[5].

1- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة،ص.241.
2- المرجع نفسه،ص.238-239.
3- ينظر: مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق،ص:126.
4- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة ، ص.244.
5- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، ص.245.

*الرمز: تعارف الشعراء المعاصرون في إبداعهم على استعمال الصدى إلا تعبيرا عن " اليأس والخيبة والضياع والفراغ"، فيغتدي بذلك رمزا.

إن هذا الإجراء الذي قام به "مرتاض" اعتبره" إضافة وزيادة على مفهوم "بيرس" وهي نقطة لمس فيها البعض شيئا من الاضطراب في رؤية الناقد لدى ترجمته مصطلح "السمة" إلى مصطلح يعادلها وهو القرينة"[1]، كما أنه لم يقف عند هذا الحد بل أضاف لمصطلح القرينة في ثقافة "بيرس" مصطلحين اثنين هما: "المؤشر والعلمية"[2]. غير أن ما دفع به إلى هذا الصنيع هو أن الفكر السويسري يقبل بمبدأ وجود اختلاف جوهري بين الدال والمدلول، من ذلك فاللغة في نظره" نظام من الاختلافات"[3] أساسها السمة من حيث هي دال يثير في الذهن مدلولا.

إن هذه الفرعيات الأربعة كمفاهيم تبناها من أفكار كبار السيميائيين من أمثال (بيرس) و(غريماس) و(دو سوسير)، وبدأ فعلا يخرج عن اللغة الطبيعية إلى لغة الاتصال الصناعية وذلك بإدراجه لمفهوم الأيقونة وسيغتدي مستوى مستقلا في تحليله لقصيدة (شناشل ابنة الحلبي) ل(السياب) فكيف يتحول الصدى الذي تطرقنا له في كتاب "الخطاب الشعري" وذلك في كتابه "**أين ليلاي**"؟

4-دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي":

قام الناقد في كتابه أين(أ/ي) بمقاربة النص الشعري "أين ليلاي" ل"محمد العيد آل خليفة"، رغبة في " الكشف عما يمكن أن يكون فيه من الخفايا والكوامن، بتفكيك بناه الداخلية وملاحظة الشفرات والعلامات التي تطبع لغته، وتحّد دلالته وتتحكم في خطابه"[4] أما العنوان الذي وسم به كتابه وهو العتبة الأولى من عتبات النص، فهو مما لا تستسيغه أسماعنا التي

---

[1]- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق،ص:128.
[2]- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص.125.
[3]- محمد عبد الله الغذامي، الخطيئة التكفير، ص.125.
[4]- عبد الملك مرتاض، (أ/ي)، ص.34.

لم تألف شيئا منه من ذي قبل، والعنوان" سمة دالة من حيث بنيته وإنتاجيته، وطاقته الرمزية، وكذا حمولته التعبيرية، فشكّل من عنوان كتابه (أ/ي) سمة دلالية سيميوطقية رامزة"[1]، لأن الرمز هو سمة السمات "العلامة التي تنتج قصد النيابة عن علامة أخرى مرادفة لها.."[2] من هنا جاءت قراءة "مرتاض" للعنوان تأويلية، أما عن قراءة "وغليسي" للعنوان فيقول:" ليس غير كتاب (S/Z) لرولان بارت"[3] وإن لم يقدّم لنا الناقد حجة دامغة يثبت فيها صحة قوله باستثناء: "المؤلف يثني كثيرا، مشافهة وكتابة على (s/z)"[4] ولا يمكننا اعتبار الثناء حجة علمية وإلا كانت كل أعمال (مرتاض) انتحالا، حيث كان يتوجب على (وغليسي) أن" يشغّل آلة التناص بإسقاطها على كتاب مرتاض لتكون النتائج فيها أقرب إلى العلمية منها إلى الانطباعية."[5]

فتساؤل الشاعر عن "ليلاه" دفع بالناقد للبحث عن الرمز (سمة السمة) المتمثل في "ليلى والحديث عن ليلى في نص شعري عربي في هذا السياق يعني أسطرته"[6]، لأن لاسم "ليلى" دلالة عميقة في التراث وتعني ليلى: الأسطورة، التاريخ. ومن خلال هذا العنوان خلص مرتاض إلى أن" النص تحكمه شبكة من العلاقات والمعطيات والقيم، حيث تتجلى لنا تلك العلاقة الفاعلة بين موضوع النص الشعري والشخصية الشعرية والمتجسدة في عنصر الحرمان"[7].

أما ما تعلّق بالشق السيميائي في هذه الدراسة فيظهر في المستويات:' الحيز والزمن والإيقاع، ودراسة رمز "ليلى"[8]، وقد تعرضنا له في دراسة العنوان والذي خصه بدراسة سيميائية تأويلية. باعتبار التأويلية فرعا من فروع السيميائيات.

1- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق،ص:129.
2- حبيب مونسي، القراءة والحداثة (مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص.233-234.
3- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص.69.
4- المرجع نفسه،ص.69.
5- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.
6- عبد الملك مرتاض، (أ/ي)، ص.96.
7- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للنشر، الجزائر، 1997، ج2، ص.136.
8- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.

أما عن منهجه في الدراسة فيعرفه الناقد بقوله:" اضطررنا إلى تناول هذا النص وهو " أين ليلاي؟"– ويقع في ثلاثة عشر وحدة– من تفكيك المدلول ومن حيث البناء اللغوي، ومن حيث الحيز الشعري، ومن حيث الزمن الشعري، ثم من حيث التركيب الإيقاعي وخصائصه عبر هذا النص فكان لا مناص من تناول كل عنصر من هذه العناصر في فصل مستقل بذاته"[1].

لا يختلف هذا التقسيم الذي أقامه الناقد عن كتابه الخطاب الشعري، حيث" يعتمد في تحليله على مجموعة من الإجراءات التي يطوّرها من مؤلّف إلى آخر، وتكاد تصوّر لنا ملمح مشروع نقدي ضخم"[2] وإلى ذلك يذهب (مولاي علي بوخاتم) الذي يعتبر هذا الكتاب:" البداية الأولى، وهو يشكل جزءا من مشروع نقدي ضخم سار من خلال اللسانيات والسيميائيات في العلوم الإنسانية، ونقلة نوعية في التأسيس الفعلي للاتجاه السيميائي والتفكيكي"[3] .

وقد أثار عنوان الكتاب ومنهجيته حفيظة عدد من النقاد فالدراسة كما أرادها الناقد هي (سيميائية تفكيكية) وفي ذلك يظهر نوعا من النشاز بين منهج لا حياة فيه لصاحبه، وآخر يبعث الحياة في قارئه، أما عن منهجيته فيؤكد (بوخاتم) أن:" المطلع على هذه الدراسة ومنهجيتها، يلاحظ التذبذب الذي لف عدته المنهجية رغم تنبيه ملامح السيميائية كعنوان الكتاب. إلى جانب ذلك، يستشف أن منهجية الكتاب لا تختلف كثيرا عما اعتمده في كتابه " بنية الخطاب الشعري"، فيما عدى تطويره لبعض الإجراءات والتعويل على الإفادة من التفكيكية"[4].

لفظة "الصدى" سمة صوتية يجسد فيها السمع وحده الأداة الواسطة بين الشيء المسموع، والشيء المنبثق عنه، في تكوين الادراك وهنا: " العلاقة المدركة لها هي سمع الشخصية الشعرية، أما الفاعل أو العالم الخارجي، أو صاحب الصوت، وهو هنا، على كل حال، غيُ

1- عبد الملك مرتاض، (أ/ي)، ص.7.
2- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق،ص:130.
3- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص.14.
4- المرجع نفسه،ص.14.

حقيقي، فلا نعرفه، ولكن "الصدى" كان سمة له استطاع أن ينقله من حال الغياب إلى حال الحضور"[1].

ودلالة " الصدى" في الشعر من المنظور السيميائي تأتي لتعبّر عن موقف يمتزج فيه الوهم واليأس والخيبة، وهذا ما يفسرّ لنا خيبة أمل الشّاعر في العثور على ليلاه (الحرية).

وما يميز هذه الدراسة "من حيث المنهج خو مراعاته للشمولية، وتناوله تناولا لا يسمح بانفصال الدال عن المدلول، أي (الشكل عن المضمون)، البحث في تشكيل الشبكة المتحكمة في العلاقات النصية وكذا الانطلاق من المضمون إلى الشكل أو العكس"[2]، مما أقصى تلك الرؤية التقليدية التي يحرص أصحابها على حصر نتائج وإصدار أحكام جمالية حول النص الأدبي المدروس.

كما توسّل بالإحصاء كإجراء وذلك لإحصاء الأفعال والأسماء والحروف. وهذا الإجراء نلفته في كل تحليل. وجعل من التأويلية تمظهرا سيميائيا لتتيح له إمكانية تفسير وتأويل بعض معاني القصيدة.

5-تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية " زقاق المدق" لـ "تجيب محفوظ":

استهل الناقد مدخل دراسته بتوطئة يوضح من خلالها القصد من منهجه التركيبي الذي صار يعول عليه في تعامله مع النصوص، والذي تسبب في امتعاض بعض النقاد حيث دفعه ذلك إلى الذود عنه جهارا في كل مؤلفاته:" التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية، ونرى أن لا حرج في النهوض بتجارب جديدة تمضي في هذا

[1]- عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، ص.235.
[2]- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.

السبيل بعد التخمة التي مني بها الناقد من جراء ابتلاعه المذهب تلو المذهب، خصوصا في هذا القرن"[1] .

وقد تناوله الناقد بالدراسة بتركيب "منهجين سيميائي وتفكيكي، وقد خصّ، القسم الأول منه للبنى السردية للنص الحكائي، والذي تمكّن فيه من رصد السمة "الإشارة" في مواقف سردية كثيرة من خلال تفاعل الشخصيات ونشاطها"[2]، ومن النماذج التي استحضرت فيها سيميائية الإشارة كانت في علاقة "فرج إبراهيم" مع " حميدة" و" التي قامت أصلا على تسخير النظرة الدالة، واصطناع الغمزة كيوم رأته ورآها لأول مرة في السرادق، الذي كان نصب في الزقاق للقيام بالدعاية الحسنة لمرشح الانتخابات البرلمانية"[3] ، حيث جاء اصطناع شخصية "فرج إبراهيم" للإشارة بدل الكلام في تواصلها مع شخصية " حميدة"، نظرا لما يحيط بهذه العلاقة من شبهات داخل مجتمع محافظ تحكمه أعراف وعادات.

فكانت الإشارة قد حققت دلالتها بنفسها في توصيل المراد. وقد جاءت على لسان الكاتب بقوله:" وكان "فرج إبراهيم"، من بعد ذلك، يقبل إلى مقهى المعلم " كرشة"، ثم يتخذ له فيها مجلسا يمكّنه موقعه المختار من التفرج على ما يجري وراء نافذة بيت "حميدة"، فكان يضع مبسم "النّار جلية" على فيه، زاما شفتيه كأنه يقبله، ثم يرسل الدخان إلى عل كأنما يرسل القبلة في الهواء إلى شبحها الجاثم وراء النافذة. وكانت ترى ذلك باهتمام..."[4] .

يرى مرتاض أن هذه الإشارة المعبرة لفتت انتباه "حميدة"، حيث فهمتها، وحدث بعدها اللقاء، وأنها في أثناء مغادرتها الزقاق لم تذكر شيئا مما حدث بينهما. " غير تلك الإشارات التي كان يرسل الفتى بها إليها من مقهى "كرشة" إلى حيث كانت وراء نافذتها وتخيّلته وهو يشير إليها بقبلاته فخفق فؤادها"[5]. وفي مكاشفته لهذه التقنية وجدها الناقد أنها تتكرر " في مواقف

---

[1]- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص.6.
[2]- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.
[3]- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي،، ص.220.
[4]- المرجع نفسه، ص.134.
[5]- المرجع نفسه، ص.220.

أخرى كثيرة كتلك التي جرت بين "عباس" و"حسين"، وبين أستاذ الرقص و"فرج إبراهيم"، ثم بين أستاذ الرقص والفتاتين الراقصتين."[1]

إن الناقد بذل قصارى جهده في "ترصد مواطن السمة" الإشارة"، دون تحديد دلالتها داخل النص أو تقديم شرح سيميائي لها"[2]. حيث كان يروم في دراسته التركيز على أسماء الشخصيات المحورية للرواية، وذلك" بتأويل دلالتها السيميائية لإمكانية البلوغ بذلك إلى اكتشاف سيميائية للتسمية، والتي تحدّث عنها الجاحظ في غير موضع من كتاباته. وظائفها السّردية، ويؤول دلالاتها السيميائية إدراكا منه أنّ للتّسمية سيميائيات، كان قد تحدّث عنها " أبو عثمان الجاحظ" في غير موضع من كتاباته"[3].

*- كما قارب الناقد" عبد الملك مرتاض" حكاية" **حمال بغداد**"، وهو نص سردي مأخوذ من رائعة " ألف ليلية وليلة"، والتي شغلت حيزا زمانيا مقدرا بعشر ليل، أي من الليلة التاسعة إلى الليلة التاسعة عشر، على ضوء منهج مركب سيميائي- تفكيكي، يهدف إلى تحديد المميزات اللسانية والسيميائية. والتفكيكية للنص من خلال دراسة وحداته الخارجية المشكلة لعلامتها، بدراسة نسيجه اللغوي وتشريحه من حيث الحدث والشخصيات والحيز والزمن وتقنيات السرد وبنية الخطاب والمعجم الفني كي يتسنى للباحث تحديد الرؤية وبناء النتائج المترتبة عن المقاربة، أما عن منهجه في الدراسة فيتسم بالشمولية من خلال المستويات التي عالج بها النص السردي ويقول عنه:" أولى لنا أن ننشد منهجا شموليا تكون به القدرة على استكناه دقائق النص، واستكشاف كوامنه، وتعريف مكامنه، دون أن نقع لا في فخ البنيويين الرافضين للإنسان والتاريخ... والاجتماعيون الذين يعللون كل شيء تعليلا طبقيا. ولا في فخ النفسانيين وهم الذين يودون جهدهم تفسير سلوكات المبدع من خلال تفسير الإبداع"[4] .

---

[1]- المرجع نفسه، ص.121.

[2]- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.

[3]- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص.128.

[4]- المرجع نفسه، ص:128.

كما استطاع الناقد تحديد سيميائية الخط وذلك تشبعا بالطروحات الغربية وثقافته العربية، حيث يرى أنه " في أي صورة اعتبرته فيها؟ أو صرفته إليها كان سمة (sing, signe). وقد يختلف صنف هذه السمة بحيث يمكن تصنيفها في صنف المماثلات (icones) ...أو في صنف المؤشرات أو القرائن (indices) بل وربما في صنف الإشارات (signaux) أيضا فكل ممكن"[1].

إن معالجة رواية " زقاق المدق" سيميائيا، تعد الثانية بعد مقاربة النص التراثي" حمال بغداد"، والملاحظ فيها تطلع الناقد إلى إرساء نقد تحليلي إجرائي، من منظور تنظيري مجرد. يجمع فيه بين الحداثة والتراث ويبقى " مرتاض" من خلال هاتين المقاربتين أول من استشعر المنهج السيميائي في المشهد النقدي الجزائري.

مقامات السيوطي:

لقد كانت لمرتاض دراسة لهذا الفن في عمله الشهير " فن المقامات في الأدب العربي" بمنهج تاريخي،" مسح التحركات المقامية لفترة تجاوزت العشرة قرون، دون تعمق في بنياتها، وها هو يؤويها ليعمق في دراستها"[2]، ولهذه العودة أسبابها:" موعدة وعدها... للجنة التحضيرية. لندوة السيوطي المقامة في جامعة مؤتة، وقد تحدد العمل تحت عنوان " تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية"[3] . غير أن الناقد عنونها ب" مقامات السيوطي". فأسهب في الحديث عن ماهية المقامة ونشأتها وعن الوصف فيها وعن السيوطي ومقامته. عبر ثلاث مستويات: لغوي وتناصي وجمالي. ثم انتقل إلى دراستها دراسة سيميائية وفق مستويات أربعة[4]:

1- عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، مسائلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003، ص.113.
2- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.،ص:134.
3- عبد الملك مرتاض، مقامات السيوطي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996، ص.7.
4- ينظر: مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.

-المستوى الأول: التشاكل في المقامة الياقوتية: وتناول ثلاثة نماذج:

*-أنموذج لصاحب المقامة.

*-أنموذج من الحديث النبوي الوارد فيها.

*-أنموذج واحد من الشعر المستشهد به.

-المستوى الثاني: سيميائية الألوان في المقامة الياقوتية.

من الأخطاء المنهجية أنه اقتحم هذا المستوى بعديد الأسئلة وأثناء الإجابة لا يتمم مسعاه حين يحس أنه " تفتق وتفلت، بحيث صعب السيطرة عليه كيما يتوقف عن مواصلة التعميق والتحليل"[1] فيلتمس عذرا " فإننا وقد بلغ منا المطاف إلى هذا الحد من الطول الذي لا نريده...تاركين السائر للقراء ممن يودون متابعة هذا السعي إما حذو النعل بالنعل، وإما الإعراض والتبكيت، فكلا الموقفين سيسرنا سرورا"[2].

-المستوى الثالث: جمالية الحيز في المقامة الياقوتية: وشمل ثلاثة أحياز الثابت والروحي والمتحرك.

-المستوى الرابع: البنية الإيقاعية، ركز فيها على الإيقاع الخارجي والايقاعات المتناصة والايقاع الداخلي. وعن بعض الأخطاء المنهجية التي كان الناقد يقع فيها وذلك مردها إلى التسرع في إنجاز وعده:" أما علتنا في الاختيار فهي وبكل صدق لم تكن على تفكير طويل، ولو استدبرنا من هذا الأمر ما استقبلنا ولكن آثرنا الحديث عن مقامة أخرى غيرها"[3].

---

[1]- خالد بن محمد الجديع، الدراسات السردية الجديدة، قراءة المقامات أنموذجا، جامعة الملك سعود، مركز بحوث كلية الآداب السعودية، 2007، ص.46.

[2]- عبد الملك مرتاض، مقامات السيوطي، ص.110.

[3]- عبد الملك مرتاض، مقامات السيوطي، ص.110.

جعل أحد النقاد يصف المسقطات النصية التي كان يجريها في مستوى الحيز ب(الإرباك للمنهج) حيث يقول عنه حين " يدلف إلى المعالجة من خلال المسقطات النصية وأحسب أن ذلك يربك المنهج"[1]. وما يميز هذه الدراسة أن كل مستوياتها سيميائية.

***السبع المعلقات:**

ولم يغفل الناقد عن دراسة المعلقات دراسة سيميائية أنتربولوجية ، وبذلك يكون "وفىّ الشعر الجاهلي حقه، حيث يؤوب مرة ثانية إلى المناهج الاجتماعية السياقية متواشجة مع المناهج النسقية ليتسنى له عدم الوقوع في الفجاجة والنضوب"[2]، وعن صنيعه يغنينا بقوله:" ونحن إنما نردف الأنتروبولوجيا السيميائية لاعتقادنا أن الأولى كشف عن المنابت وبحث في الجدور، وأن الأخرى تأويل لمرامز تلك الجذور، وتحليل لمكامن من الجمال الفني"[3] .

أول ما يلفت انتباهنا هو استبداله للمقدمة بمصطلح جديد " ما قبل الدخول في القراءة" بعد ذلك يعالج عشر مقالات معالجة سيميائية مركزا على الحيز والتناص والإيقاع ممزجا ذلك بتحليلات أنتروبولوجية حيث جاءت قراءته تقليدية بصبغة حداثية.

الخلاصة:

مع السيميائية بدأت تتضح ملامح منهج (مرتاض) النقدي والذي يرتكز على الخصوصيات الآتية:

–لا يوجد منهج كامل، ومن التعصب التمسك بتقنيات منهج واحد على أساس أنه هو وحده اللائق والأجدر أن يتبع. وإذا سلمنا بأن كل منهج ناقص، اقتنعنا بضرورة تضافر جهود كل الكفاءات النقدية .

---

[1]- خالد بن محمد الجديع، الدراسات السردية الجديدة، قراءة المقامات نموذجا، ص.47.
[2]- مستويات الخطاب النقدي، مرجع سابق.ص:135.
[3]- عبد الملك مرتاض، السبع المعلقات، تحليل انتروبولوجي سيميائي لشعرية نصوصها، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص.13.

-ومن ثم صار تهجين أي منهج أمر ضروري لتكتمل أدواته، وليصبح أقدر على العطاء والرؤية. فمن مبدأ انعدام الكمال في أي منهج، صار تناول النص الأدبي تناولا مستوياتي من خلال القراءة التي يؤمن بها (مرتاض) ويطورها باستمرار، يزيد في مستوياتها، وينقص حسب طبيعة النص، وقدرته العطائية. مع الالتزام بالتجانس في التركيب المنهجي.

الخـــــــــاتمة

أخلص في نهاية هذا البحث إلى رصد وتعداد مجموع النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة، التي تبين لي من خلالها أن المنهج السيميائي الذي حاول النقاد العرب استيعابه منذ اطلاعهم على الفكر السيميائي الأوروبي، يجمع بين فهم وتأصيل النظرية السيميائية، وتمثلها، وتطبيقها على النصوص السردية العربية، وكذا النصوص الشعرية.

مكنت هذه الثقافة المعرفية في حقل السيميائيات النقاد في العصر الحديث والمعاصر من إقامة جسر تواصل بين الخطاب النقدي العربي وصنوه الغربي، في محاولة لنشر ثقافة جديدة تسند المعرفة النقدية العربية الحديثة والمعاصرة وتطورها، في مجال البحث عن الدلالة في النصوص الشعرية والخطابات السردية العربية، وهذا من خلال دراستهم للمصادر المباشرة للسيميائية، بالإضافة إلى تأثر بعض هؤلاء النقاد بالمناخ الثقافي والفكري والنقدي السائد في أوربا ابتداء من النصف الثاني من القرن الماضي وبداية القرن الجديد.

كما تبين لي من خلال هذا البحث، أن التجربة النقدية العربية الحديثة والمعاصرة تقوم على مجموعة من الأسس، أذكر منها:

- ضرورة فهم وتمثل النظرية السيميائية في أصولها الثقافية والفكرية.
- ضرورة ترجمة النصوص العلمية التي مهدت لظهور البحث السيميائي، ومعاينة الوضع المصطلحي السيميائي في النصوص العربية المعاصرة.
- الاهتمام بالنقاط المعلمية الكبرى للنظرية السيميائية، من خلال التأريخ لأهم التيارات التي تعد الدعامة الأساسية التي رافقت البحث السيميائي.

- تطويع اللغة العربية وتبسيط المفاهيم في خطاب نقدي سلس ومتماسك.
- معالجة إشكالية ضبط المصطلح السيميائي والتي تعد من بين الإشكالات العويصة التي أربكت الخطاب النقدي العربي السيميائي، حيث وقفت في هذا الصدد على تفاوت كبير بين النقاد في مفهومهم للمصطلح وتوظيفهم له.

ويؤكد الفصل الثالث من هذا البحث إلى حد كبير، أن التجارب التطبيقية التي تطرقتُ إليها والتي حاولتُ فيها أن أحقق تنويعا يعبر عن مختلف الزوايا التي يمكن أن ننظر منها إلى المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي والمعاصر أثناء الاستثمار التطبيقي. وتبين لي أن تطبيق المنهج السيميائي محكوم عليه مبدئيا بأن يبقى يراوح بين خيارين: الاشتغال على مستوى المحايثة والاقتصار في التطبيق على المفاهيم العامة والأسس الإبستمولوجية للمنهج السيميائي، يعني الاشتغال على مستوى اللغة الواصفة (السيميولوجيا)، حيث تناقش مسائل بناء وتطوير العلم الذي يدرس الأنساق السيميائية، أو الاشتغال، من الجهة الأخرى، على مستوى لسان من الألسنة وبالتالي الاقتصار في استثمار المنهج السيميائي على تصوراته العامة واستعمال مصطلحاته في حدود الإمكان وضبط منهجية مناسبة للدراسة تفرضها خصوصيات اللسان المدروس. أي أن التطبيقات تراوح بين النموذج الغريماسي الذي يعمل على إعادة إنتاجها في إطار مشروع مواز، والنموذج البارتي الذي يستفيد منها بحرية كبيرة على مستوى تأسيس السيميولوجيا،

من جهة، ومن الجهة الأخرى النموذج "البيرسي" الذي يقترح محاولة تأسيسية وتطبيقية ، أثرت المكتبة النقدية في الوطن العربي.

بقي أن أشير في نهاية هذا الدراسة إلى أن الجهد الذي بذلته لا يدعي الكمال والشمولية، في الإحاطة بموضوع البحث، وتناول جميع قضاياه المتنوعة، والمتشعبة، بقدر ما يعد إسهاما فرديا واجتهادا شخصيا يحتمل الصواب والخطأ معا، فالنسبية والنقص هي أبرز مميزاته وإحدى سماته ولكل شيء إذا ما تم نقصان.

وحسبنا من وراء هذا العمل أن نكون قد أسهمنا في إثارة النقاش، وفتح مجال الحوار بين الباحثين والدارسين، ونتمنى أن يقوم بعض الباحثين بمثل هذا العمل مع نقاد آخرين، ممّن تعتبر أعمالهم أساسية في فهم المعرفة النقدية العربية الحديثة والمعاصرة.

ببيليوغـــــــرافيا

أولا: المراجع بالعربية:

- **أحمد مطلوب**، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1989.

- **أحمد يوسف:**

  - القراءة النسقية–سلطة البنية ووهم المحايثة– الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.
  - القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002.

- **أرنولد هاوزر**، الفن والمجتمع عبر التاريخ، الجزء الأول، ترجمة: الدكتور فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،1981.

–**آن إينو**، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، ترجمة: أوديت بتيت وخليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر ،دمشق،1980.

- **بدوي طبانة**، النقد الأدبي عند اليونان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1967.

- **بسام بركة**، معجم اللسانية، جروس، طرابلس، (د.ت).

- **بشير القمري**، شعرية النص الروائي، شركة البيادر للنشر والتوزيع،الرباط،1991.

- **تمام حسان**، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، 1960.

- **ت.تودوروف**، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس،ترجمة: إبراهيم الخطيب ،مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،1982.

- **الجاحظ**، البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج1.

–**جان كلود كوكي**، السيميائية مدرسة باريس، تر/ رشيد بن مالك دار الغرب للنشر .

–**جميل حمداوي**، مدخل إلى المنهج السيمائي، / article/madkhal-hamdaoui.htm. www.arabicnadwah.com.

-**جورج مونان**، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب بكوش، منشورات سعيدان، تونس، 1994.

- **حبيب مونسي**، القراءة والحداثة (مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.

- **حسن ناظم**، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1994.

-**خالد بن محمد الجديع**، الدراسات السردية الجديدة، قراءة المقامات نموذجا، جامعة الملك سعود، مركز بحوث كلية الآداب السعودية، 2007.

-**خليفة سليمان**، ثورة بورا، الكوكب/ رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2014.

-**خليفة الموسوي**، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف –الجزائر، ومنشورات ضفاف الرباط، 2013.

- **دانيال تشاندلر**، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، ترجمة شاكر عبد النجيد، أكاديمية الفنون، القاهرة، 2002.

- **دانيال رايق**، السبيل، لاروس، باريس، 2006.

- **رشيد بن مالك:**

- البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001.
- السيميائية السردية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2006.
- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص(عربي–إنجليزي–فرنسي)،دار الحكمة،2000.
- **رشيد بن مالك** وآخرون، الكتاب الأول، الرواية في عمان برؤية عربية، دراسات وقراءات، النادي الثقافي العماني، دار سؤال للنشر، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، 2016.

- **رولان بارت:**

- مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار قرطبة للنشر بالدار البيضاء، ط1 ، 1986.
- نظرية النص، تر. محمد خير البقاعي، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع5، 1988.

- **سشايفر جان ماري**، ديكرو، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر : منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط2 ،2007.

- **سعيد بلكراد:**

- مدخل إلى السيميائيات السردية، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1994.
- المصطلح السيميائي الأساس المعرفي والبعد التطبيقي في: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية الجزء الأول جامعتا: فاس ومكناس السنة 2000.

- **سعيد يقطين**، انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.2، 2001.

-**السيد إبراهيم**، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

- **سي. ميويك**، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، بغداد،1985.

- **شكري المبخوت**، أحفاد سارق النار في السيرة الذاتية الفكرية، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس.

- **صدوق نور الدين**، البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية،1994.

- **طائع الحدادي**، سيميائيات التأويل. الإنتاج ومنطق الدلائل، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي،2006.

- **عبد الحميد بورايو:**

- القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1989.
- الكشف عن المعنى في النص السردي (النظرية السيميائية السردية)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

-عبد السلام المسدي:

- العرب والسياسة يوميات على جسر العبور، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس.
- قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

- عبد القادر شرشار:

- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.
- مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، 2015.

-عبد الله إبراهيم:

- السردية العربية، بحث في البنية السردية العربية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي،بيروت،1992.
- **عبد الله إبراهيم وآخرون** ، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001.

-عبد الملك مرتاض:

- بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- السبع المعلقات، تحليل انتروبولوجي سيميائي لشعرية نصوصها، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، دار المنتخب العربي، بيروت، 1994.
- الكتابة من موقع العدم، مسائلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003.
- مقامات السيوطي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996.
- نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط2، 2010.

- **فؤاد زكريا**، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت، الإصدار 3، 1978.

- **فرديناند دي سوسير:**

  - –دروس في الألسنية العامة، ترجمة: مجموعة من المؤلفين التونسيين.
  - محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، 1987، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

- **مبارك حنون**، دروس في السيميائيات العامة، دار توقبال للنشر، الدار البيضاء، 1987.

- **محمد بازي**، التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، بيروت والجزائر، ط.1، 2010.

–**محمد السرغيني**، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1، 1987.

–**محمد عبد الله الغدامي**، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي،جدة،1985.

- **مارسيلو داسكال**، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة حميد لحميداني وأخرين، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1 ، 1987.

- **مولاي علي بوخاتم**، الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.

- **ميخائيل باختين**، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،1987.

–**ميشال بوتور**، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، (سلسلة زدني علما)، منشورات عويدات، بيروت–باريس،1982.

–**ميشال فوكو**، مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية، تر: محمد العمري، مجلة دراسات أدبية ولسانية، الدار البيضاء، ع.2، 1998.

- **نور الدين السد**، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للنشر، الجزائر، 1997.

- **يمنى العيد**، تقنيات السرد في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي،بيروت،1990.

- **يوسف وغليسي**، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، 2010.

ثانيا: رسائل وأطروحات جامعية

- **جمال بلعربي**، قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: أ.د. رشيد بن مالك، جامعة الجزائر، 2011-2012.

- **حبيب بن مالك**، رواية الحمار الذهبي او التحولات، قراءة سيميائية، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف: أ.د. محمد سعيدي، جامعة تلمسان أبو بكر بلقايد (الجزائر)، 2010-2011. (مخطوط).

- **دايري مسكين**، سيميائيات جوزيف كورتيس، أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، إشراف: أ.د. أحمد يوسف، جامعة وهران، السنة:2007-2008- (مخطوط).

- **عبد القوي أحمد**، تجليات المثاقفة الغربية في الخطاب النقدي العربي المعاصر -كمال أبو ديب أنموذجا-، مخطوط أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2017.

- **قادة عقاق**، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي المعاصر (نظرية غريماس نموذجا)، أطروحة دكتوراه تحت إشراف: أ. د. رشيد بن مالك، نوقشت بجامعة سيدي بلعباس(الجزائر) 2004-2005، (مخطوط).

- **قادة غروسي**، النص وسيميائيات القراءة -مقاربة تأويلية في إشكالية المقصدية-، بحث مقدم لشهادة الماجستير في النقد المعاصر، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2003-2004،(مخطوط).

-**قوتال فضيلة**، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها، دراسة نقدية في نظرية غريماس السردية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في السيميائيات وتحليل الخطاب، إشراف: أحمد يوسف، مخطوط بجامعة وهران، 2003-2004،(مخطوط).

-**وداد أبو شنب**، التعاليات النصية عند إميل حبيبي، الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل أنموذجا، مخطوط لرسالة ماجستير، إشراف الدكتور: عبد الحميد بورايو، جامعة تيزي وزو،(د.ت).

-**بن يخلف نفيسة**، السيميائيات التداولية قراءة في سيميائيات ش.س.بورس، مذكرة ماجستير، تحت إشراف: الدكتور أحمد يوسف، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2009/2008،(مخطوط).

ثالثا: الدوريـــــات

- **أحمد بوحسن**، مدخل الى علم المصطلح: المصطلح ونقد النقد العربي الحديث ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد (60- 61)، كانون الثاني - شباط 1989، بيروت.

- **أحمد يوسف:**

- تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات، مجلة نزوى، البحرين، ع 12، أكتوبر 1997.
- البلاغة والايديولوجية: مقاربة سيميائية في تحولات المعنى، مجلة سيميائيات تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، العدد: 04، 2013.

-**أمبرتو ايكو** ،"المراسلة الشعرية"، نص مترجم. مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان،1982.

- **بسام قطوس**، شعرية الخطاب وانفتاح النص السردي في رواية إميل حبيبي، مجلة أبحاث، جامعة اليرموك ،الأردن، ع/2، 1996.

- **جان ماري كليكنبارغ** ، السيميولوجيا أو السيميائية؟ تر.رشيد بن مالك، بحوث سيميائية، مخبر عادات واشكال التعبير الشعبي بالجزائر ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، عدد 3 و4، 2007.

-**جمال فوغالي**، شعرية التناص، مجلة المدى،ع/14-1996.

- **حلام الجيلالي**، المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص، مجلة الموقف الأدبي، العدد 365، أيلول/سبتمبر 2001.

-**دانيال باط**، المربع السيميائي والتركيب الدلالي، ترجمة: عبد الحميد بورايو، مجلة بحوث سيميائية، العدد المزدوج:4/3، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي ومركز البحث العلمي والتكنولوجي لتطوير اللغة العربية، الجزائر، 2007.

-**سحنين علي**، السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك، مجلة "سيما" العدد:01، جامعة البحرين، 2014.

-**صبري حافظ**، البدايات ووظيفتها في النص القصصي، الكرمل، العدد،22/21-1986.

-**الطائع الحداوي**، النص الواصف لابن جُزَي: صيَّغه الخبرية وأنماطه الخطابية، دراسات مغاربية، مجلة البحث والبيبلوغرافيا المغاربية، عدد:10، 1999.

-**عامر الحلواني**، سيميائية العتبات في كتاب "العرب والسياسة" للأستاذ عبد السلام المسدي، مجلة "أوان"، دورية ثقافية تعنى بمراجعات الكتب، العدد المزدوج:4/3، جامعة البحرين، 2003.

-**عبد الحميد عقار**، وضع السارد في الرواية بالمغرب، مجلة دراسات أدبية ولسانية، عدد:1،سنة،1985.

- **عبد العالي بشير**، سيميائية أم سيميولوجيا ؟، مجلة بحوث سيميائية، العددان: 7-8، عدد مزدوج خاص بأعمال الملتقى الدولي حول: البحث السيميائي المعاصر-الواقع والآفاق، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، 2011.

-**عبد العالي بو طيب**، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف، مجلة الفكر المعاصر،ع:1992/98.

- **عبد الملك مرتاض**، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، تجليات الحداثة، العدد الرابع، جامعة وهران،1999.

-**عبد النصر العجيمي**، مدخل إلى نظرية غريماس السردية، الفكر العربي المعاصر،ع:78-79،السنة 1990.

-**ماري زيادة**، السيمياء والأسطورة، ترجمة: بسام بركة، الفكر العربي المعاصر،لبنان-بيروت،ع:1986/38.

-**محمد بوعزة**، نحو ابستيمولوجيا جهوية الخطاب النقدي، مجلة "أوان"، دورية ثقافية تعنى بمراجعات الكتب، العدد المزدوج:4/3، جامعة البحرين، 2003.

- **محمد خاقاني ورضا عامر**، المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد 2، أصفهان، 2010.

- **محمد ماليك**، مشروع علم "سيميائيات الجهات"، مجلة مجلة سيميائيات تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، العدد: 04، 2013.

- **محمد مفتاح**، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، ع03، مجلد 35، يناير-مارس 2007، الكويت.

- **ميشال فوكو**، مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية، تر: محمد العمري، مجلة دراسات أدبية ولسانية، الدار البيضاء، ع.2، 1998.

- **وذناني بوداود**، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد)، الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، محاضرات الملتقى الثاني السيمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة أفريل 2002.

Bibliographie en langue Française

1- Dictionnaires, Encyclopédies

1- Ducrot Oswald et Todorov Tzvetan, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Seuil, Paris, 1972.

2- Greimas (A.J) et Courtes (J), Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette Université, 1986.

3- Encyclopédia Universalis, CD.

4-Greimas (AJ) et Courtes (J), Sémiotique, dictionnaire Raisonné de la théorie du langage, Hachette Université, Paris, 1976

5--Agiradas Julien GREIMAS et Joseph COURTES, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979

6-O. Ducrot, J.M Sshaeffer et autres, Nouveau Dictionnaire Encyclopédique des sciences du langages, édition du Seuil, Paris, 1972.

7- P. Grimal, Dictionnaire de la Mythologie grecque et Romaine, P. U. France, Paris, 1951

2- Travaux et études des théories littéraires :

1- Courtes Joseph, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette, 1976.

2- C . L. Strauss, Anthropologie structurale, Ed. Plon, 1973

3- Donzé, Roland. La grammaire générale et raisonnée de Port-Royal. Edition francke Berne, 1967.

4- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale,T.1, Gallimard, Paris

5-G. Granger, Essai D'une Philosophie du Style, Paris, 1968

6- Greimas (A.J.), Du Sens : Essais sémiotiques, Ed. Seuil, Col. Poétique, Paris, 1970

7- Greimas (A.J.), Du Sens II : essais sémiotiques, Ed. Seuil, Col. Poétique, Paris, 1983

8 Groupe d'Entrevernes, Analyse sémiotique des textes, Presses Universitaires de Lyon , 1979.

9-- Henault Anne, Narratologie, Sémiotique générale. Les enjeux de la sémiotique, P.U.F,1983.

10-A.Hennault, Questions de sémiotique, Paris, PUF, 2002, P.107 - Henrik PREBENSEN, La glossématique est-elle une théorie ?, In. Langages, n° 6, 1967

11 Jacques Fontanille, Sémiotique et littérature. Essais de méthode, PUF, Paris, 1999.

12-Jean-Marie Klinknberg, Précis de sémiotique générale, de Boeck université, Paris, 1996

13-Joseph Courtes, Analyse Sémiotique du Discours de l'énoncé à l'énonciation, Hachette, Paris, 1991.

14- J. Kristéva, Sémiotiké, Recherches pour une sémanalyse, Paris, éd Du Seuil, 1969

15-Roland Barthes, Gréimas (A.J), Brémond (C) et autres, L'analyse structurale du récit, communication 8, Points, Seuil, Paris, 1981.

16- R . Barthes, Introduction à l'analyse structurale du récit, Paris, Ed. Seuil, 1977

17- Saussure Ferdinand, Cours de linguistique générale, Payot, Paris, 1972.

18- Todorov Tzvetan, Théorie de la littérature, Textes des formalistes russes réunis, présentes et traduits par Tzvetan, Préface de Roman Jakobson, Tel que, Seuil, 1965.

19- T.Todorov, Les catégories du récit littéraire, In.« Communications » n°8, Du Seuil, Paris, 1966,

20- Strauss (C.L.), Anthropologie structurale, Ed. Plon, 1973

21-- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, éditions Gallimard, Paris, 1974

22-Samir HEGAZ, Littérature et société en Egypte.(De la guerre de 1967 à celle de 1973), ENAL,Alger,1986

23-André ROUSSEAUX, Le monde classique, Editions Albin MICHEL, Paris,

24- Goldmann, Pour une sociologie du roman, Idée/Gallimard, Paris, 1964

25--Laurent Jenny, La stratégie de la forme, In. Poétique, n°27/1976

26-Gérard Genette, Figure III, collection Poétique, Editions du Seuil, Paris, 1972

27-Hjelmslev, L, Prolégomènes à une théorie du langage, Paris, les éditions de Minuits, 1968-1971

28- R . Barthes, Introduction structurale du récit, Paris, Ed. Seuil, 1977

29-C.Brémond, Logique du récit, Paris, E/ Seuil, 1973

30-J.Courtes, Analyse sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation, Hachette, Paris, 1991

31- A.Hennault, Questions de sémiotique, Paris, PUF, 2002

32-O. Ducrot, J.M. Schaeffer et autres, Nouveau Dictionnaire Encyclopédique des sciences des langages, édition du seuil, paris, 1972.

33- Jean-Marie Klinknberg, Précis de sémiotique générale, de Boeck université, Paris, 1996

34-CS C S Peirce, Le Raisonnement et La Logique des Choses, tr.Ch .Chauviré-cl . Tiercelin-P. Thibaud, Paris, éd Du Cerf, 2002,

35-Peirce, Ecrits sur le signe, éd. Seuil,

36-A.J. Greimas, du Sens, 1970

37--Gréimas (A.J.), Sémantique structurale recherche de méthode, Larousse, 1966

38--Greimas (A. J.), Du Sens : Essais sémiotiques, Ed. Seuil, Col. Poétique, Paris, 1970

39-A.J. Greimas, Du Sens II : essais sémiotiques, Ed. Seuil, Col. Poétique, Paris, 1983

40-Groupe d'entre vernes, Analyse sémiotique des textes, Introduction Théorie Pratique , PU de Lyon

41-Courtés (J.) Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Préface de A.J. Greimas, Hachette Université, Paris, 1976

42-Jacques Fontanille, Sémiotique et littérature. Essais de méthode, PUF, Paris, 1999

43- Ricœur Paul, La grammaire narrative de Greimas, In. Actes sémiotiques, Ed. Klincksieck, Paris, 1980

44- T. Todorov, Symbolisme et interprétation, Collection poétique, Ed. Seuil, Paris, 1979

الفهرس

المقدمة...01
المدخل...10
تمهيد:...11
- المنهج السيميائي في الخطاب النقدي :...11
- مفهوم المقاربة السيميائية وموضوعاتها:...13

الفصل الأول

الخلفيات الفكرية والأنساق المعرفية في الثقافة والفكر الغربيين للمنهج السيميائي...........20
تمهيد:...21
أولا: الخلفيات الفكرية والأنساق المعرفية في الثقافة والفكر الغربيين للمنهج السيميائي......22
1-الجذور التاريخية للمنهج السيميائي...23
2-الاتجاهات السيميائية الحديثة...24
أ- سيميولوجيا دي سوسير...24
3-بين السيميائية والسيميولوجيا...26
4- التوجه الأمريكي: سميوطيقا بيرس...28
ثانيا: المقولات المعرفية والمنهجية للسيميات السردية...33
1-السيميائية ومدرسة باريس...33
2- السيميائية: الطموح والآليات المنهجية 36
3-إشكالية السيميائيات كمنهج في منظور النقد الأدبي المعاصر...38
I- موضوع السيميائيات السردية...40
II-الأسس المعرفية والمنهجية للسيميائيات السردية...42
III- مصادر السيميائية المحايثة عند غريماس...46
1-لوي هلمسليف...46
2-السرديات وتأثيرات فلاديمير بروب...48
3- القاموس المعقلن...49

IV-في المفاهيم الإجرائية للسيميائيات السردية..................................50
1-السيمياء والسرد...51
2- البنية العميقة..52
3-التشاكل..56
4- المربع السيميائي...58
5-البنية السطحية 60
6- النموذج العاملي..65
ثالثا: السيميائيات التداولية/التأويلية...................................70
*-الفكر والعلامة..72
*-التداوليات وسيرورة التأويل.................................76
*-الدلالات المفتوحة..77
*-التأويل والاستعمال..79
*-النص وسيميائيات القراءة...................................82
*- النص والخطاب..84
*-السيميائيات النصية..88

الفصل الثاني

التحولات المنهجية في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر 90
مدخل منهجي..91
أولا: الخطاب النقدي السيميائي العربي.......................................94
ثانيا: تطور الدراسات السيميائية في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر..........97
ثالثا: علاقة النظرية النقدية بالمنهج:.......................................101
رابعا: خطاب التأسيس والتنظير والترجمة للمنهج السيميائي..........................107
1- في التأسيس للنظرية السيميائية...107
2- في التنظير للنظرية السيميائية..111
3- في الترجمة للنظرية السيميائية...116

خامسا: المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر.................126
سادسا: إشكالية المصطلح السيميائي النقدي في الخطاب النقدي...........................129
سابعا: آليات اشتغال المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي من حيث المتصورات
والمفاهيم والمصطلحات...140
*-من حيث وضعية تحليل الخطاب..140
*- من حيث منهج التحليل السيميائي للخطاب 141

الفصل الثالث

المنهج السيميائي في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر(نماذج تطبيقية)..........144
تمهيد: إشكالية تطبيق المنهج السيميائي...145
أولا: النموذج التطبيقي الأول: عامر الحلواني
سيميائية العتبات في كتاب " العرب والسياسة " للأستاذ عبد السلام المسدي......154
-مدخل منهجي:...154
-قراءة في سيميائية العتبات في كتاب "العرب والسياسة.."...................................155
-في علاقة اللساني بالسياسي والثقافي...156
-قراءة في عتبات الكتاب...158
1-عتبة العنوان الرئيس..159
أ-عتبة العنوان الرئيس...159
ب-عتبة العنوان المصاحب: يوميات على جسر العبور............160
2-عتبة الإشارة..162
3-الصياغة الزمنية للعتبات...163
4-إشكالية الجنس الكتابي..164
5-اليوميات والقصص السياسي..166
6-عتبة الختام:(في علاقة عتبة البداية بعتبة النهاية)...................................167
7-مراجع المؤلف ودلالتها..168

ثانيا: النموذج التطبيقي الثاني: رشيد بن مالك..........171
1-قراءة سيميائية في روايتي: "ثورة برو" و "دروب العتمة"..........171
1-1 المحددات المنهجية للقراءة..........172
1- 2 نحو دراسة نسقية للعنوان..........173
1-3 إشكالية تحليل النص الروائي..........174
2- قراءة في رواية "ثورة برو"..........179
2-1 الأبعاد الدلالية للعنوان..........179
2-2 البناء العام للرواية..........180
2-2-1 بداية الرواية ونهايتها وتحولاتها السردية..........182
2-2-2 التحري المعرفي..........182
2-2-3 التجليات الدلالية لقصة الثورة في مصر..........184
2-2-4 من الثورة السياسية إلى الثورة الجسدية..........186
3- قراءة في رواية "دروب العتمة"..........188
3-1 مدخل منهجي..........188
3-2 دراسة تحليلية لعنوان الرواية..........189
3-3 بداية الرواية ونهايتها ومشروع الكتابة..........190
3-4 الأبعاد الدلالية لنظام الشخوص في دروب العتمة..........191
مشروع خاتمة..........192
ثالثا: النموذج التطبيقي الثالث: عبد الملك مرتاض..........194
1-الإطار التأصيلي للعلامة:..........194
2-المنحى التراثي:..........195
3-ملامح المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض في مقاربة النص الشعرية..........197
4-دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي..........201
5-تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية لرواية..........204

الخاتمــة..211
بيبليوغرافيا 215
أولا: المراجع العربية 215
ثانيا: رسائل وأطروحات جامعية..220
ثالثا: الدوريات...221
رابعا: المراجع الأجنبية 224
خامسا: الفهرس 226